غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٢٦٣ ـ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ ـ سبتمبر / أيلول ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 263 - SEP. 1998

اليوم الوطني:
ذكرى التأسيس والبناء



حقوق المؤلف
بين الإسلام والفكر المعاصر

الشعراء يعترفون

البعد التربوي لآراء ابن رشد

الكواسر:
عمال النظافة بالصحراء الإفريقية

الطاقة الذرية

بين راحة الإنسان وشقائه!

مصحف شريف

(آيات منه)

وهي من الآية الثانية عشرة من سورة النساء حتى منتصف الآية التاسعة عشرة من السورة نفسها، كتبت على رق الغزال بخط المشق المجود (وخط المشق نوع من الخطوط السريعة التي تطورت من الخط الكوفي).

ويلاحظ على هذا النوع من الخطوط الكوفية ما يأتي:

(١) أنّ بعض الحروف مثل: الباء والدال والصاد والطاء والكاف قد كتبت بشكل ممدود، وهذا هو ما عرف بـ (المشق).

(٢) أن الحروف «منسوجة على خيطين» (أي مكتوبة على سطرين منتظمين).

(٣) أنّ المسافة بين مقاطع الكتابة متساوية في الصفحة الواحدة.

كما يلاحظ أن بدايات الحروف ونهاياتها يظهر فيها طرفا قطة القلم وأسلوب الترويس، وقد أصبحت ظاهرة في الكتابات الكوفية الفاطمية الحديثة، ولا توجد الآن في الكتابات المجوّدة المصحفية الحديثة.

كما يلاحظ في المخطوط وجود بعض النقط الحمر التي تعني:

(١) أن النقطة فوق السطر تعني الفتحة، والنقطتين فوق السطر تعنيان التنوين بالفتح.

(٢) وأن النقطة تحت السطر تعني الكسرة، والنقطتين تحت السطر يقصد بهما التنوين بالكسر.

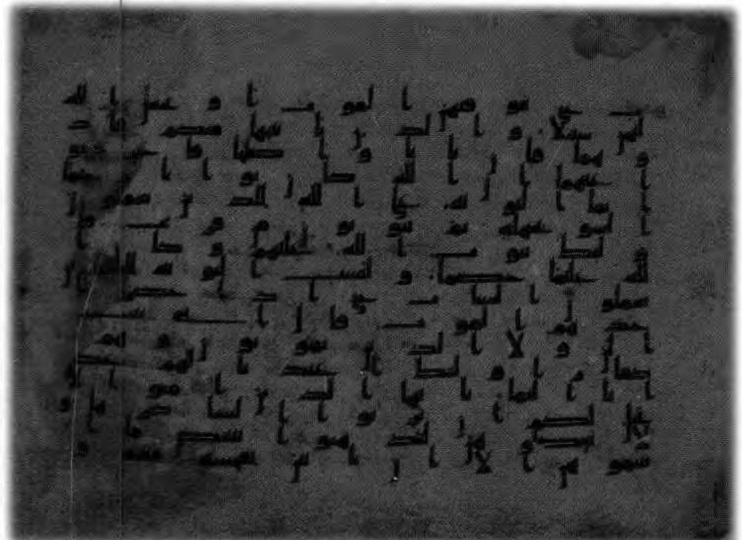
(٣) وأن النقطة في وسط السطر في شمال الحرف تساوي الضمّة، أما النقطتان في وسط السطر فيقصد بهما التنوين بالضم.

يرجع هذا المخطوط النفيس إلى القرن الثاني الهجري تقديراً (الثامن الميلادي)، وهو من ضمن المخطوطات المهداة إلى جلالة الملك فيصل (رحمه الله).

يقع المخطوط في ورقة واحدة، ومسطرته ١٦ سطراً، ومقاسه ٢ر٢٥-٤ر١٩سم

والمصحف المخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٥٨٠.

إعداد : فراج عطا سالم



في العدد القادم

- الاستشراق: الوجه الأخر
- الذاتية عند شعراء الوجدان
- وصفة علاج شاملة

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



عن العدد الماضي

حافظ العدد ٢٦٢ من مجلة الفيصل على ثبات الأبواب الرئيسة والمحققة لرسالتها ومنهجها مع التجديد المستمر في الموضوعات المعالجة. مما أضفى عليه الحيوية والطرافة كالأعداد السابقة كلها، ويرفع عنه الرتابة الملازمة لكل ثابت ومستقر على حالة واحدة.

ونظرة سريعة إلى موضوعات المجلة لا أبوابها تكشف بالفعل أننا إزاء جديد في المعالجة والطرح، ولكنه جديد لا يحيل الماضي قديمًا، ولا هو نفسه يتحول إلى قديمٍ بحكم حركة التجديد المستمرة، بل يبقى في إطار زمانه جديداً وحيوياً.

تبقى موضوعات هذا العدد شأنها شأن كل جديد معينًا لا ينضب للمثقف والمتخصص في الحاضر أو المستقبل القريب والبعيد، وتكفي الإشارة إلى بابي الأدب والفكر والتراث والتاريخ، وما حويا من موضوعات تظل الحاجة ماسة إليها على امتداد الحياة الفكرية والأدبية والتاريخية للمجتمع المسلم.

أما الموضوع الذي أخصه بالذكر، وأعد مادته من أحب المواد إلى نفسي فهو المتعلق بمعالجة الجوانب الشخصية للمفكرين والأدباء، سواء كان تأليفًا أو مذكرات، وهو من ثوابت المجلة المتجددة، وفيه يضيف القارئ إلى تجربته الذاتية تجارب الآخرين، بحيث تجعله وكأنه يعيش حيوات غيره فيزداد بها خبرة وعلماً، وهذا ما نجده في أبواب «حوار مع»، و«من تجاربهم»، و« منتدى الفيصل»، والأخير من الأبواب الجديدة الموفقة للمجلة.

إن هذا العدد عندما يضاف إلى غيره من أعداد الفيصل يشكل بلا شك موسوعة أدبية وعلمية وتاريخية. لا أقول مع د. جنسون عن القائمين عليها بأن حسبهم أن ينجوا من اللوم، بل أقول عنهم مع المقرِّين بالفضل لأهل الفضل: إنهم جديرون بكل تقدير وثناء وشكر.

د. الشفيع الماحي
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود
الرياض.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ـ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

رأي واقتراحات

بعد فترة قصيرة نسبيًا من تعرفي مجلة «الفيصل» الأخاذة، وبعد فترة من التردد قررت أن أكتب لكم شاكرًا جهودكم التي لا يشك قارئ في أنها جهود كبيرة تبذل في سبيل نشر الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة الجادة وتوعية العقول ومن قبلها القلوب.

كانت «الفيصل» بتنوعها وبثقافتها الجادة جديرة بأن تحوز مكانة سامية بين كل تلك المجلات التي تصدر بالعربية في داخل الوطن العربي وخارجه، ومما زاد في رسوخ مكانتها وازدياد قيمتها، سياسة النشر الحكيمة التي تظهر أهداف «الفيصل» الجليلة واضحة للعيان.

كنت أود أن استفيض في الحديث عن مميزات هذه المجلة، مقالة مقالة، وزاوية زاوية، لكن علمي بأن ذلك سيطلب مني الكثير من الوقت والجهد، وعلمي بأن كلماتي قد لا تضيف شيئًا لما ذكره ويذكره قراء المجلة الآخرون، جعلني اقتصر على بعض النقاط:

ـ إن اهتمامكم بالكتب قديمها وحديثها من خلال زوايا كثيرة كزاوية (كتب وردت) أو زاوية (المكتبة السعودية) وزاوية (من نوادر التصنيف) لهو أمر تستحقون عليه الشكر الجزيل، ولكن هل لي أن أقترح عليكم تخصيص زاوية للتعريف بأهم الكتب التراثية المصطلح على تسميتها أمهات الكتب، لأن جيلنا الذي لا يستطيع اقتناء أغلب هذه الكتب أحوج ما يكون للاطلاع على هذه الكنوز المجهولة بالنسبة لنا.

ـ إن كان لا بد لي ولغيري من القراء الشباب أن نخص بشكرنا زاوية معينة فمن المؤكد أننا سنختار تلك الزاوية التي أحدثتموها لنشر بعض المحاولات الأدبية التي يقدمها الشباب، وإتباعكم المادة المنشورة بنقد واضح مبسط هو أقرب للتوجيه الحنون منه للنقد الصارم. لقد فتحت هذه الزاوية بابًا جديدًا أمام المواهب الشابة لتشجيعها على صقل نفسها والمتابعة بأسلوب منظم.

ـ إن هدفكم لتحقيق تواصل عملي مع القراء لهو ميزة فريدة تحسب «للفيصل»، فقد تحقق هذا التواصل بمختلف أنواعه ودرجاته من خلال زوايا: (البريد، ردود خاصة، عناوين ، بين القارئ والقارئ) بالإضافة إلى زاوية (مناقشات وتعليقات) المهمة جدًا والغنية.

للأسف لم أتعرف «بالفيصل» إلا منذ ثلاث سنوات تقريبًا، وكلما قرأت عددًا من أعدادها تحسرت على مافاتني، منها لذلك أعمل جاهدًا للحصول على الأعداد القديمة كلما تيسر لي شراؤها، وقد حصلت بالفعل على بعضها.

أنس ممدوح عبدالكريم
ريف دمشق ـ الكسوة ص.ب ١١٢
الجمهورية العربية السورية

وجدنا في «الفيصل» منبعًا للثقافة المرموقة

كدت أطير من الفرح لما وجدت أحد أعداد مجلة «الفيصل»، فطالما اشتقت إلى مثل الموضوعات التي تحتويها والقضايا التي تطرحها هذه المطبوعة العربية الإسلامية، فالشكر لكل الأحبة العاملين من أجل ترسيخ تراث حضارتنا العربية الإسلامية ونشرها في أنحاء العالم.

إن التراث العربي قد زادته مفاهيم الإسلام العليا والسامية رونقًا، وأعطته زخمًا، وكان لتفاعل أمتنا وأدبائها مع الرسالة العالمية التي حملها الإسلام الدور الكبير في أن تكون هذه الأمة محط احترام العالم وتقديره. وأراكم في الفيصل ماضين في سبيل تعميق هذه المفهومات في نفوس أبناء الأمة العربية.

ويسرني أن أعبر عما يجيش في قلوب قطاع عريض من الشباب العرب في إيران المسلم وجد في الفيصل رافدًا، بل منبعًا يساهم في سد النقص في المصادر الثقافية المرموقة التي تربطه بقضايا أمته العربية والإسلامية.

وفقكم الله.

ليد مازن الزيدي
قم ـ خيابان صفائية ـ كوجة ممتاز
كوجة فتحي، بلاك
دائرة العلوم الإسلامية ـ إيران

عودة العقل العربي إلى مظانه

من المسلم به أن الحرب الإعلامية هي من أهم الحروب العالمية القائمة اليوم، وكان لا بد من التسلح بالثقافة العربية لمواجهة ذلك المد الثقافي ضد مجتمعاتنا، ولمواصلة المسيرة الثقافية وعدم التأخر عن ركب الحضارة الجارف. وقد ارتأينا مراسلتكم والتزود مما جادت به أقلام الكتاب العرب في مجلة الفيصل لرفد منتدانا العربي.

لقد تجمع لدينا من الصحافة العربية كمية لا بأس بها، ونرجو منكم المساهمة في هذا المشروع وإحيائه لتحريك الجو الثقافي وإعادة العقل العربي إلى مظانه.

ولكم جزيل الشكر.

فاضل الركابي
الأمين العام لمنتدى الكوثر
قم ـ ص.ب ١٤٧ ـ ٣٧١٦٥ ـ إيران

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

الدكتور زيد والعولمة

طالعت باهتمام وشغف بالغين ما سطره يراع الدكتور الفاضل زيد بن عبدالمحسن الحسين في عددي الفيصل (٢٦٠، ٢٦١) على التوالي، الصادرين في شهري صفر وربيع الأول من عام ١٤١٩هـ حو ل العولمة كما بدت له والعولمة والأسئلة المحيرة، وقد لامس بمبضع الجراح الحاذق موضع (الدّمّل) والمملوء بالصديد، الذي قد يتحول إلى (خرّاج) يصعب على الأطباء المهرة ضبطه والتحكم فيه، في جسد منهك متعب أضناه السهاد وتنهبته صروف الدهر وعاديات الزمان، وسطرت على وجناته أخاديد الحزن والقهر والاستبداد بفعل الخلافات تارة والحروب من الداخل والخارج تارة أخرى، وبالاستعمار بأشكاله وصنوفه وألوانه وأهدافه ومراميه كافة تارات وتارات. والذي لم يوجد من الأعداء أو شبه الأصدقاء أو ما يمكن أن نسميهم (الأعدقاء) مثيلٌ له على مر التاريخ. أود أن أشير إلى أن كلمتي الدكتور زيد عن العولمة يستحسن تعميمها على جميع الصحف والمجلات المحلية والعربية، كما يستحسن تعميمها على جميع طلاب وطالبات ومعلمي ومعلمات الأجيال في المملكة والوطن العربي. ويستحسن تجزئة ما ورد فيها من عبارات لتكون كل عبارة موضوعاً أو عنوان بحث يطالب القيام به كل منسوبي وزارة التعليم العالي والمعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات ومواضيع لمسابقات في وسائل الإعلام المختلفة وفي الأندية الأدبية ورعاية الشباب. كما أن تينك المقالتين تصلحان لتدريسهما في منهج التربية الوطنية، وادعو أن تتخد الرؤى الواردة في المقالتين، والتساؤلات المحيرة لتكون مجال بحث ونقاش وحوار بين الأدباء والصحفيين والكتاب وقادة الفكر في البلاد لإلقاء مزيد من الضوء عن هذا القادم الجديد الذي يهدد حضارة وثقافة الأمة بكاملها، ويحاول مسخها وتجريدها من أصولها، وزعزعة ثوابتها، التي لم ولن تحيد عنها قيد أنملة ما دمنا متمسكين بكتاب الله شريعة ومنهاجًا وسلوكًا وقولاً وعملاً وتطبيقًا، مستهدين بهديه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

عدنان أحمد كيفي
مكة المكرمة
ص.ب ١٠٠٦٣.

الموضوعية وتطييب الخاطر في تقويم الحملة الفرنسية

اطلعت على الموضوع الذي كتبه د. محمد مورو في العدد ٢٦١ بعنوان «الحملة الفرنسية استعمار أم تحرير» وذلك بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على الحملة الفرنسية على مصر. حقيقة إن الكاتب خدم الموضوع خدمة جيدة، وحاول أن يكون موضوعيًا ما أمكنه ذلك.

إن تقويم الحملة الفرنسية ونقدها قضية أخذت مساحات وافرة في الإعلام العربي، وهي تستحق أن تكون كذلك نظرًا لتأثيراتها العميقة في مسيرة أمتنا طوال قرنين من الزمان، ونتيجة لتناول هذه القضية من جانب أقلام عديدة ومتحدثين كثرة، أمكن القارئ المتابع الوقوف على معلومات كثيرة مهمة وتفاصيل دقيقة ليوميات الحملة، والواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمصر وللأمة العربية إبان الحملة وقبلها.

وعلى الرغم من ذلك أقول: إن الموضوع الذي كتبه د.مورو كان شائقًا وكون طابعه بحثيًا لم يجعله جامدًا. إلا إنني مع وصفي له بـ «التزام الموضوعية ما أمكنه»، لاحظت أنه بعيد من الموضوعية في تناوله مسألة التفوق العلمي، وأنه أطرى على أمتنا أكثر من اللازم بقوله: «كنا متفوقين علميًا حتى مجيء الحملة الفرنسية» وقد ساق بعض الأمثلة، والنماذج لعلماء أجلاء، كما استشهد ببعض من مقولات الجبرتي مؤرخ عصر الحملة الفرنسية، ولكن هل ينكر د. مورو أن الغرب بعامة والفرنسيين بخاصة - كونهم موضوع قضيتنا - كانوا أكثر تقدمًا منا، وأن البون كان شاسعًا بيننا وبينهم - كما هو اليوم - في مجالات العلوم وتطبيقاتها. ثم أليس الجبرتي نفسه هو القائل: «إن هؤلاء القوم - يقصد الفرنسيين - جاؤوا بما لا قبل لنا به»؟ وما لا قبل لنا به هو: تجهيزات جيوش الحملة والأسلحة الحديثة، وغيرها مما عرفه المصريون لأول مرة. أليست تلك التجهيزات التي لا قبل لنا بها من نتاج العلم وتطبيقاته؟ إم أننا فقط نحاول تطييب الخاطر!.

ولكن د. مورو يرى أن التفوق الآلي ليس هو المعيار، بل المعيار هو الإنسان. إلا أنه يصوغ سؤالاً يعيدنا لنقطة البداية إذ يقول: «ما الطريق الذي يمكن أن تسلكه الأمة المتخلفة آليًا لكي تحقق تقدمها الآلي؟»إذًا التفوق الآلي هدف.. أولئك حققوه وماضون فيه، وإذا كان الإنسان هو المعيار، فهذا الإنسان الذي نقوم بإعداده بعد حل المشكلة النفسية والعقدية، سيكون مطلوبًا منه تحقيق التفوق الآلي، ولا سبيل إلى ذلك بغير تجويد العلم وتطبيق نتائجه على أرض الواقع.

سيف الدين مصطفى حاكم
مكة المكرمة

- بإذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة



اليوم الوطني:

إن في إقامة المساجد والمراكز الإسلامية دليلاً بارزًا على الاهتمام الذي تلقاه الدعوة الإسلامية والمسلمون في أرجاء المعمورة من المملكة العربية السعودية، وإن ما يصاحب ذلك من إرسال الدعاة وبناء المدارس لمن الجهود التي تعين على التعريف بالإسلام، الذي - مع كل أسف - قد شوهت صورته في أغلب وسائل الإعلام العالمية التي تستمد مادتها من كتابات الأعداء والمغرضين ممن يصورون الإسلام خطرًا يواجه الغرب بعد انهيار الشيوعية، وهؤلاء لا مجال لأي إنسان أن يشك في ثبات عداوتهم للإسلام، ناهيك عن صاحب فكر أو ثقافة.

ولكن بمثل هذه الجهود الخيرة يستطيع المسلمون أن يتعاونوا فيما بينهم، لإبراز الصورة الحقيقية للإسلام، ومساعدة إخوانهم المسلمين في مجتمع الأقليات على أن يستمدوا تعاليم الإسلام وقيمه من مصادرها الأصيلة، فتتحقق بذلك صورة من التعاون البناء فيما بينهم من أجل الغايات التي ارتضاها الله لهم.

ومثل هذا العمل ليس جديداً على المملكة، ولاغريبًا عنها، فما بدأ الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - تأسيس دولته إلا بعد أن جعل إطارها ومرجعيتها الشرع الحنيف، وحرص على إشاعة الإرث الحضاري المتين لأمة حمّلها الله رسالة خالدة إلى البشرية بأجمعها.

وهذا الارتباط الوثيق بالإرث الحضاري يمثل الحصانة ضد الدعاوى التي تستعمل مفاهيم مُموّهة كالحرية والتمدن والتحضر لخداع البسطاء من المسلمين، تحقيقًا لمآرب أصحابها المغرضين وأهدافهم، وهذا ما يؤكده الملك عبد العزيز بقوله: «إن الحرية التي جاء بها الإسلام هي أوسع من تلك الحرية المهيضة الجناح التي يدعيها الغير، وإن المدنية الإسلامية التي سطع نورها في العالم، وكانت أساسًا لنهضات الأمم والشعوب لم تكن مدنية مزيفة تقتصر على الماديات، أو على الزينات والملابس فحسب، إنما كانت مدنية علم وعمل، وحث المسلمين على التمسك بالشريعة السمحاء».

وكان تطلُّع الملك عبدالعزيز إلى أن تكون الأمة في المكانة التي تليق بها، بوصفها أمة تحمل مسؤولية إبلاغ الرسالة الخاتمة إلى الناس كافة، قد قاده إلى التعمق في دراسة أحوال الأمة، ومعرفة مكامن الضعف فيها، فكان أن رأى أن الاستعمار الجاثم على معظم أجزاء العالم الإسلامي من أهم أسباب هذا الضعف والخمود، إضافة إلى ما كانت تلاقيه الأقليات المسلمة من ظلم واضطهاد في كثير من أجزاء العالم، وقد كان - يرحمه الله - حريصًا على تدارس تلك الأحوال مع علماء الأمة وزعمائها، وكان الحج أحد قنواته في الاتصال بهم، فأصبح مؤتمرًا سنويًا لتبادل الآراء والأفكار فيما يصلح حال الأمة، ويؤدي بها إلى أن تستأنف دورها الحضاري.

وكانت قناعته أن معرفة المسلمين بأمور دينهم من منابعها الأصيلة كفيلة بتحقيق نهضة فكرية، تقودها إلى أن تعود لتتبوأ المكانة التي تليق بها، وبالرسالة التي تحملها، وانعكست هذه القناعة في كل أعماله، التي منها طباعة الكتب وإرسالها إلى البلاد العربية الإسلامية وغيرها من البلاد التي بها أقليات مسلمة.

واستمر في تحمل نفقات طباعة الكتب التي تبين للناس أمور دينهم من خلال ما طبع من هذه الكتب في الهند، ثم أعقب ذلك قيام الشيخ محمد رشيد رضا بطباعة عدد من المؤلفات على نفقة الملك عبدالعزيز بمطبعة المنار في القاهرة، كما أنه - يرحمه الله - تحمل نفقات طباعة بعض الكتب في الشام.

ولم تكن هذه الجهود المخلصة لنشر عقيدة التوحيد، وتعريف المسلمين أمور دينهم إلا تجسيدًا حيًا للمبادئ التي قامت عليها الدولة السعودية منذ أن تعاهد الشيخان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب على نصرة دين الله وإعلاء كلمته، ومحاربة كل أنواع البدع والخرافات التي تشكل حاجزًا يحول دون الفهم الحقيقي للشريعة الإسلامية ومقاصدها.

وفي هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل الغزو الفكري، وتنوعت فيه أساليب الاستقطاب والاستمالة، تبدو أهمية نشر قيم الإسلام ومبادئه بين أبناء الأمة، ليتحصنوا بها في مواجهة تلك الوسائل والأساليب.

وفي عصر أصبح فيه الإعلام وسيلة مهمة لتشكيل الرأي العام، وازداد فيه تجني كثير من وسائل الإعلام على الإسلام، والإساءة إليه بشتى السبل، وإبرازه على نحو مشوه يتنافى مع حقيقته، فإن توضيح الصورة الحقيقية لهذا الدين الخاتم بقيمه الإنسانية وتعاليمه المثلى من خلال نشاطات المراكز الإسلامية يشكل وسيلة إعلامية فاعلة لوضع الأمور في نصابها الصحيح، ونافذة لغير المسلمين يطلون من خلالها لمعرفة حقيقة الإسلام وتعاليمه ومثله.

وهذا النهج الذي يعبر عنه الحرص على إقامة المراكز الإسلامية برز منذ تأسيس الملك عبدالعزيز هذه البلاد وإلى هذا اليوم، إذ إنه نهج سار عليه أبناؤه من بعده، فحرصوا على إعمار بيوت الله، والسعي إلى توحيد كلمة المسلمين، حتى غدت سياسة ثابتة، تدعمت بالدعوة إلى التضامن الإسلامي التي رفع لواءها الملك فيصل - يرحمه الله -، ورسخ ذلك إنشاء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية في أنحاء العالم المختلفة.

واستمر هذا النهج - بعون الله وتوفيقه -

تجدد الذكرى وثبات المنهج

إلى هذا العهد الذي نرى فيه مزيدًا من هذه المراكز التي تقام سنويًا في قارات العالم جميعها.

وتلبي هذه المؤسسات حاجة أساسية وملحة، وتمثل وسيلة لمواجهة خطر ذوبان الهوية الذي يواجهه المسلمون في أماكن متفرقة من العالم، فهذه المراكز بما تضمه من مساجد ومدارس منارات للدعوة إلى الإسلام والتعريف به وتحقيق التواصل بين أبناء المسلمين.

وما بناء المراكز الإسلامية وفق هذا التصور إلا إحياء للدور الفاعل للحضارة الإسلامية، وما أدته من رسالة للعلم والتعليم شملت الإنسانية كلها دون أدنى تمييز.

والمراكز الإسلامية حين تستلهم دور المسجد في هذه الحضارة، فإنها تقدم الإسلام برؤية جديدة، وعقل مستنير، وباستعمال النظرة الموضوعية والحوار الهادئ الذي يستند إلى الاستقصاء والتحليل، ويضع المشكلات تحت مجهر الحيدة، مما يمكنها من تفنيد ما يشاع عن الإسلام من دعاوى وأكاذيب، وأن تكشف الوجه الحقيقي للإسلام لأولئك الذي يتجنون عليه من غير علم، وأن تساعد على إغناء الحوار الحضاري مع المنصفين من أهل تلك المجتمعات.

والمراكز الإسلامية بعمارتها المستمدة من التراث المعماري الإسلامي تعكس ما يتمتع به هذا التراث من غنى وعراقة، وتقدم نموذجًا حيًا لتفرد خصائص الحضارة الإسلامية، مما قد يلفت انتباه الباحثين والمهتمين بفنون العمارة من الذين لم يتح لهم تعرف خصائص العمارة الإسلامية.

وهذه المراكز حين تجمع المسلمين على اختلاف بلدانهم وأعراقهم، فإنها تعبر عن وحدة المسلمين، وعدم وجود فوارق بينهم، بعد أن جعلهم الله أمة واحدة، لتنفي عمليًا تلك التقسيمات والتصنيفات الواهية التي تريد شق الصف الإسلامي ليبدو متفرقًا ومختلفًا، بينما لا فرقة ولا اختلاف في الواقع إذا احتكم الجميع إلى مبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة، إذ إن الإسلام جاء بلاغًا من الله، وآخر بلاغ منه ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقد تم خلال عام واحد افتتاح عدة مراكز إسلامية في مدن لها أهميتها في بلاد الغرب، ولها ثقلها التاريخي والحضاري، فكان افتتاح مسجد جبل طارق ووضع حجر الأساس للمركز الثقافي الإسلامي في ملقا تواصلاً حضاريًا مع ما كان للأمة الإسلامية من أمجاد في الأندلس التي مثلت أهم منافذ إشعاع الحضارة الإسلامية على الغرب، لتنتشله من ظلمات القرون الوسطى إلى أنوار العلم ودروب التقدم.

وشهد هذا العام افتتاح مسجد خادم الحرمين الشريفين في مدينة لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، وافتتاح مسجد الملك فهد والمركز الإسلامي بمدينة أدنبرة عاصمة اسكتلندا، وإن مثل هذه الأحداث الثقافية لتُدخل البهجة إلى نفس الإنسان، وهو يرى الدعاة من الشباب السعودي يجوبون أنحاء العالم ناشرين دين الله، ومرسخين عقيدة التوحيد الخالص في نفوس إخوانهم من المسلمين في تلك البقاع البعيدة.

وكم هي فرصة طيبة أن يلتقي علماء الأمة ومفكروها في رحاب الحوار والتفكير في القضايا الملحة التي تواجه العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية، وأن تسود الحوارَ بينهم روحٌ إسلامية خالصة بما فيها من رحابة الصدر وسماحة الخاطر، وحسن النية، ونبل القصد.

وقد تجسدت هذه الروح الإسلامية في ملتقى خادم الحرمين الشريفين الثقافي الأول الذي عقد في جبل طارق في العام الماضي تحت عنوان «الحضارة الإسلامية وإسهامها في الحضارة الإنسانية»، ثم ملتقى خادم الحرمين الشريفين الأول للجاليات الإسلامية في أدنبرة الذي نظم بعنوان«فقه الأقليات».

وأكد هذان الملتقيان عظم مسؤوليات المراكز الإسلامية، وما ينبغي أن تقوم به من دور في تبني القضايا الملحة للمسلمين من أبناء الجاليات والأقليات الإسلامية، والنقاش الهادف حولها، كما تقدم لهم الأساليب الحضارية التي يتعاملون بها في ظل المجتمعات غير الإسلامية، والتي تنبثق من تعاليم الإسلام وقيمه الأصيلة، وتبصيرهم بعطاءات الحضارة الإسلامية، وما قدمه العلماء المسلمون في مجالات العلم والفكر، وإسهامهم الفاعل في دفع عجلة الحضارة الإنسانية، لتترسخ في نفوسهم قيم الاعتزاز بانتمائهم.

رحم الله الملك عبدالعزيز رحمة واسعة جزاء ما قدم لبلاده ولأمته، فما هذه الأعمال الخيرة التي يمتد أثرها الطيب ليشمل كثيرًا من أبناء المسلمين في هذا العالم، إلا نتاج النهج الذي أسس عليه هذه البلاد لتقوم بمسؤولياتها في خدمة دين الله، والعمل على نشره قدر المستطاع، استجابة لأمر الله تعالى الذي منّ على هذه البلاد بأن جعلها مهبط الوحي ومنطلق رسالة الإسلام الخالدة.

وما الاحتفال باليوم الوطني للبلاد إلا تمثلٌ لهذا المنهج بكل ما يحمله من مضامين إنسانية مستمدة من شرع الله الحنيف الذي به تستقيم أحوال الأمة، لتبلغ غاياتها، كما يؤكد ذلك الملك عبدالعزيز بقوله: «نحن نريد أن نسير إلى الأمام، ولكن بأقدام ثابتة، وعلى ضوء النهار، إن رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام يجب أن يكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقًا للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفًا للدين نبذناه».

وما الاحتفال باليوم الوطني للبلاد إلا تمثلٌ لهذا المنهج بكل ما يحمله من مضامين إنسانية مستمدة من شرع الله الحنيف الذي به تستقيم أحوال الأمة

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

اليوم الوطني: ذكرى التأسيس والبناء



يمثل اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية مناسبة لتخليد ما قام به الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ من أعمال بطولية رائعة لتوحيد الجزيرة العربية وبناء دولة حديثة تقوم على العلم والإيمان، وبداية لمسيرة بناء طويلة، سار أبناؤه البررة على نهجه يوطدون دعائم هذه الدولة ويعززون النهج الذي قامت عليه، فتحقق ـ بفضل الله ـ إنجازات ومكتسبات حضارية شملت جميع أوجه الحياة، ولا يزال البناء الحضاري مستمرًا في ظل القيادة الرشيدة لهذه البلاد.
تخليدًا لذكرى هذه المناسبة العزيزة، أعدت الفيصل صفحات تلقي الأضواء على دلالاتها العميقة.

الكواسر: عمال النظافة في الصحارى الإفريقية



في القارة السوداء تنتشر الأمراض بسرعة كبيرة بسبب طقسها الحار، ومناخها الجاف وقلة هطول الأمطار فيها، كما أنها معرضة لتفشي الأوبئة، فتأتي الكواسر لتقوم بدورها في تنظيف الغابات والصحارى من جيف الحيوانات المتعفّنة التي تركتها الوحوش الكاسرة بعد أن جزرتها وأكلت منها ما تحتاج إليه. وتقضي بذلك على التعفّن والتلوّث الناتجين من جراثيم تلك الجيف التي إن بقيت فشتنشر الأمراض الفتاكة، وتلوث البيئة. وبعض الكواسر يتمتع بقدرة عجيبة يستطيع من خلالها إفراز سائل هضمي يقضي على جميع السموم التي يبتلعها عند التهامه الجيف المعفّنة، وهو لا يتأثر بها مطلقًا.

طالع هذا الموضوع في ص١٨.

الطاقة الذرية: سعادة أم شقاء؟



ليست الطاقة الذرية شيئًا جديدًا، أما الجديد فهو اكتشاف تقانة مختلفة لتوليدها، إنها تقانة تعتمد على ظواهر الانشطار الذري، وإن الشيء الجديد حول الطاقة الذرية المتحررة هو تمكن الإنسان من التحكم بها، وفي حالة انشطار الأورانيوم تتحرر الطاقة فجأة أو تدريجيًا بمعدل يمكن من التحكم بها، فإذا تحررت على نحو فجائي خلال عدة أجزاء من المليون من الثانية كنا أمام انفجار ذري (قنبلة ذرية)، وإذا ما تحكم الإنسان بتحرر هذه الطاقة ببطء خلال أدوار طويلة كنا أمام مايدعى المفاعل النووي. وتعتور المفاعلات النووية مشكلات رهيبة كالإشعاعات المنبعثة منها بالأطنان، والتخلص من نفاياتها التي تعد خطرًا كبيرًا يهدد الإنسانية، فلو دفنت تحت الأرض فإن هذه المدفون سيبقى ينبض بالحياة، ويصدر الإشعاعات التي تحمل الموت للجميع.
عن هذا الموضوع الخطير كتب د. صلاح يحياوي متناولاً جوانب الإيجاب والسلب فيه

طالع ص٨٤

من كتاب العدد



د. رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

- من مواليد مصر ١٩٥٦م.
- حاصل على الدكتوراه في العلوم الجنائية، من أكاديمية الشرطة المصرية، ١٩٩٢م.
- يعمل ضابط شرطة برتبة مقدم، وهو رئيس قسم الشؤون القانونية والبحوث الفنية لمديرية أمن الشرقية.
- له مشاركات في الصحافة المحلية والعربية.
- من مؤلفاته:

التهرب الضريبي بين الإسلام والفكر المعاصر، والبث المباشر وتأثيره في تكوين السلوك الإجرامي، وجرائم التقدم التكنولوجي في السياسة التشريعية المعاصرة، والجريمة الإرهابية وحق اللجوء السياسي.

د. نورة خالد السعد

- من مواليد المملكة العربية السعودية.
- حصلت على الماجستير في الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية من جامعة ميتسونا الأمريكية عام ١٩٩٢م، وحاصلة على الدكتوراه في علم الاجتماع، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ.
- عملت في مجال التعليم العام في مدارس البنات قبل التحاقها بالعمل في الجامعة، وتعمل حالياً رئيسة قسم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، قسم الطالبات. وتتمتع بعضوية مجلس كلية التربية للبنات بجدة.
- لها مشاركات إعلامية وثقافية واسعة، ولها زاوية في جريدة الرياض، عنوانها «ربيع الحرف».
- صدر لها كتاب «ربيع الحرف»، وكتاب «التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي» دراسة النظرية الاجتماعية، ولها تحت الطبع كتاب «دور المرأة السعودية في التنمية».

د. عزة عوض بدر

- من مواليد القاهرة، مصر، ١٩٦١م.
- حاصلة على الماجستير من قسم الصحافة، في كلية الإعلام، بجامعة القاهرة، ١٩٩٠م، وكان عنوان الرسالة «مجلة الثقافة (١٩٣٩ - ١٩٥٣م) دراسة تاريخية وفنية، ثم الدكتوراه من الكلية نفسها، عن «المجلات الأدبية في مصر (١٩٥٤ - ١٩٨١م) دراسة تاريخية وفنية».
- تعمل في الصحافة المصرية منذ عام ١٩٨٥م، وصدر لها ديوان شعري بعنوان «ألف متكأ وبحر».



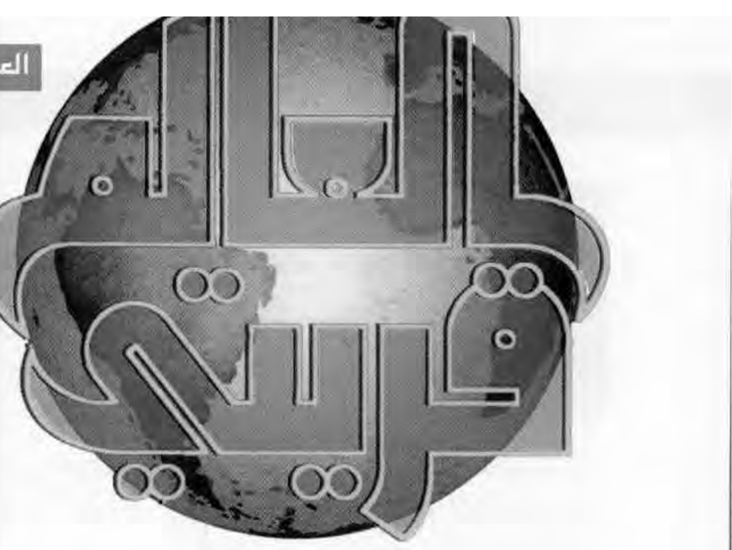
د. عمر خلّوف

- من مواليد سورية ١٩٥٥م.
- حاصل على الدكتوراه في الطب البيطري، من جامعة حلب، سورية.
- من مؤلفاته: فن التقطيع الشعري، الرياض ١٩٩٣م، وله تحت الطبع «العروض: تحديد وتجريد وتجديد».



محمد بو عزة

- من مواليد فاس، المغرب ١٩٧٢م.
- حاصل على دبلوم الإجازة في اللغة العربية وآدابها، عام ١٩٩٥م، وعلى شهادة استكمال الدروس بالسلك الثالث عام ١٩٩٦م، من جامعة الإمام محمد الخامس بالرباط، يتابع دراساته العليا في الجامعة نفسها.
- شارك في الدورة الخامسة للتظاهرة الجامعية لجامعة ناصر في ليبيا عام ١٩٩٣م، وفاز بحثه «المغامرة الروائية» بالمركز الأول في المهرجان الأول لقصيدة النثر بالجديدة في المغرب.
- له كتابات نقدية منشورة في المجلات المتخصصة في المغرب وغيرها من الدول العربية.



الأطفال في سن العاشرة يرون في المخدرات سبيلاً للحياة

يقول مفتشو المدارس في بريطانيا: إن أعداد الطلاب القصّر، بما في ذلك طلاب المدارس الابتدائية، الذين يتعاطون المخدرات، أخذت تتنامى باستمرار.

ويحذر كريس وودهيد رئيس مفتشي المدارس من أن تضارب آراء الكبار يقوض جهود المدرسين لمكافحة هذه المشكلة.

وقد تحول بعض المراهقين من تعاطي مخدرات الهلوسة، إلى إدمان الكوكايين مما يدخلهم في دوامة العنف ضمن عالم العصابات المسلحة.

والعديد من الصبية، وخصوصاً من الفئات المحرومة، ممن يعيشون في منازل تعد المخدرات فيها مادة استهلاكية عادية، هؤلاء الصبية تتوافر لهم المخدرات، إما من خلال مصادرهم الخاصة بهم، أو من خلال ما يستخدمه والداهم في المنزل.

وفي تقرير صدر عن السلطات المحلية لخدمات الشباب خلص إلى أن رذيلة استخدام المخدرات أصبحت طريقة حياة لفئة لابأس بها من الشباب، ومشكلة المخدرات أنها لا توجد فقط في المجتمعات المحرومة. بل أيضاً في المجتمعات الراقية، أو جميع المجتمعات ذات الزيادة السكانية السريعة مما يزيد من احتمال تورط من هم دون العاشرة بالإدمان.

ويقول وودهيد: إن تورط طلاب المدارس الابتدائية في المخدرات ما هو إلا دليل يثير الفزع »ويضيف أن المدارس تعمل جادة للتحذير من هذا الداء، ولكن هذا الجهد يضيع هباء عندما يتخذ الكبار في المنزل تعاطي المخدرات عادة يومية.

ويضيف وودهيد أن بعض الآباء لا ينوون اتخاذ موقف حازم من المخدرات الخفيفة مثل مخدر (القنب الهندي) مما يجعل مهمة المدرسين أكثر صعوبة، كما يتحدث تقرير حكومي عن أن ٣٠٪ من المدارس لديها سياسات محددة للتعامل مع مشكلة المخدرات، ويحذر التقرير من أن الحانات الشعبية تشجع الأطفال على تناول المشروبات الكحولية ذات التأثير العالي نسبياً.

نبات أكثر حلاوة من السكر



تعادل حلاوة أوراق عشب ستيا ستيفيا stepa stevia ثلاثمئة ضعف حلاوة السكر العادي، ولكن دون سعرات حرارية، ويتظر أن يكون حلاً لمرضى السكر، ولمن يسعون إلى النحافة.

ولقد استخدم مواطنو أمريكا الجنوبية هذه «النبتة العسلية الحلاوة» ذات المذاق السكري الضارب إلى طعم عرق السوس، ثم جلبها الأسبان إلى أوربا.

والجدير بالذكر أن العلماء البلجيكيين أخذوا الآن يستنبتون هذه العشبة لتحسين حلاوتها لكي تغطي الطلب الهائل عليها. وعندما طرح البروفيسور جان جوينز من الجامعة الكاثوليكية في لوفن بيع النبتة الواحدة بـ ٣ جنيهات إسترلينية من أجل الاستعانة بثمنها على تحسين بحوثه في ذلك المجال باع مئتي ألف نبته خلال أسابيع، وأخذت تنهال عليه المكالمات الهاتفية حتى إنه غيّر رقم هاتفه. وفي الوقت الحاضر، فإن الأوراق الجافة أصبحت تطحن وتباع كمادة محلية، ولكن يرجح أن تطرح العصارة البلورية في الأسواق العام القادم.

وتنمو هذه النبتة المعمرة إلى ارتفاع ٤ قدم (٩٠سم)، وهي تنتمي إلى فصيلة الطرفشقون «الهندباء البرية» ودوار «عباد الشمس». وتخطط مجموعة الحدائق المركزية في بريطانيا للبدء في بيع تلك النبتة كما أن المتاجر الكبيرة تعرضها استجابة للطلب المتزايد المتوقع.

الفقراء يدفعون ديون الأثرياء

السواد الأعظم من الناس في دول العالم النامي لا يستفيدون إلا القليل من الاستدانة، بل إنهم في الواقع يعانون بشكل باهظ من نتائج الديون، فمنهم الذين يتحملون أعباء الدفع بالإضافة إلى دافعي الضرائب.

وكان يمكن التقليل بشكل حاد من ديون أمريكا اللاتينية التي وصلت إلى حد الأزمة اعتباراً من عام ١٩٨٢م، عن طريق إعادة رأس المال الهارب.

وقد قرر البنك الدولي أن رأس المال الهارب. من فنزويلا قد تجاوز ديونها الخارجية بنسبة ٤٠٪ في عام ١٩٨٧م، وحسب بعض التقديرات فإن رأس المال الهارب من عام ١٩٨٠م - ١٩٨٢م بالنسبة إلى ثماني دول مستدينة قد بلغ ٧٠٪ من الديون.

إن «صفقة الإنقاذ» التي قدمها النقد الدولي إلى أندونيسيا تقارب ثروة أسرة سوهارتو. ويقدر أحد الاقتصاديين الأندونيسيين أن ٩٥٪ من ديون أندونيسيا الخارجية البالغة نحواً من ٨٠ مليار دولار يعود إلى خمسين مستديناً فقط وليس إلى ٢٠٠ مليون من سكان أندونيسيا الذين يعانون من تكاليف تلك الديون.

وقد سبق أن ألغيت بعض الديون في الماضي فعندما عجزت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا عن الإيفاء بديونها للولايات المتحدة في الثلاثينيات عملت واشنطن على إعفائها «أو نسيان دينها» كما أفادت صحيفة وول ستريت، وعندما استولت الولايات المتحدة على كوبا قبل ما يزيد على مئة عام ألغت ديون إسبانيا على كوبا على أساس أن العبء الأكبر كان مفروضاً على شعب كوبا دون موافقتهم وبقوة السلاح ، هذا وقد أطلق على مثل هذه الديون اسم «الديون الكريهة» لأنها ديون الهيمنة التي استهدفت الأمة..

وعندما تحدت بريطانيا محاولات كوستاريكا لإلغاء الديون على عهد الدكتاتور السابق إلى بنك رويال الكندي، فإن رئيس المحكمة العليا وليم هوارد تافت من الولايات المتحدة الذي يعمل محكماً في تلك القضية خلص إلى نتيجة مفادها أن البنك لم يقرض الأموال بناءً على استخدامات قانونية، ولذلك يجب إسقاط مطالبته بالديون.

وهذا المنطق ينطبق في الوقت الحاضر على كثير من الديون، وفي السبعينيات عمل البنك الدولي على تشجيع الاقتراض، وقد أعلن البنك رسمياً في عام١٩٧٨م أنه لا يوجد مشكلة عامة في الدول النامية بالنسبة إلى قدرتها على خدمة الديون .

ويستمر هذا السجل حتى الوقت الراهن، وقد تم الترحيب بالمكسيك كسوق حرّة، وكنموذج يحتذى لدول أخرى إلى أن انهارت اقتصادياً في شهر تشرين ثاني/ ديسمبر في عام ١٩٩٤م.

وقد أشاد تقرير البنك الدولي في عام ١٩٩٧م بالنموذج الفذ، والتقدم المكثف بشكل خاص في أسواق رأس المال البالغة الفعالية التي برزت في كوريا وماليزيا وتايلند وأندونيسيا والفلبين. و ظهر، في الوقت الذي انهارت به الحكاية الخيالية، أن الإخفاق في التنبؤ ليس بخطيئة، ولكن من الصعوبة إغفال الجدل الذي أثاره الاقتصادي بول كروجهان بأن الأفكار السيئة تزدهر، لأنها في صالح الجماعات المهيمنة.

وعبر القرون فإن نظرية السوق الحرة هي سلاح ذو حدين، وإن انضباط السوق هو شيء مفيد إلى الفقراء ومن لا حيلة لهم، ولكن الأثرياء والأقوياء يتخذون ملجأ تحت أجنحة الدول الراعية.

وهناك عامل آخر في الأزمة الاقتصادية، وهو تحرير تدفق الأموال منذ أوائل السبعينيات. إن نظام بريتون وودز Bretton Woods الذي وضعته الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لتحرير التجارة، في الوقت الذي يتم فيه تنظيم حركات رأس المال، قد فككته إدارة نكسون، وكان ذلك عاملاً رئيسياً في الانفجار الهائل لتدفق رؤوس الأموال في السنوات التالية، وفي عام١٩٧٠م ارتبط ٩٠٪ من المعاملات التجارية بالتجارة والاستثمارات الطويلة المدى، أما بقية المعاملات فكانت من المعاملات التجارية الخاضعة للمضاربة ومعظمها لمدة قصيرة الأجل جداً (٨٠٪ منها لمدة أسبوع أو أقل).

ومن ناحية أخرى أصبحت الأسواق أكثر تقلباً وتعرضاً لأزمات متكررة، وخلال ربع قرن مضى هبطت نسب النمو والإنتاجية بشكل كبير. إن الأجور والدخل في الولايات المتحدة قد أصابها الركود، أو انخفضت بالنسبة إلى الأغلبية، بينما استفادت النسبة القليلة من الفئات العليا..

أما الآثار فهي أكثر كآبة في بلدان العالم الثالث، والموازنة بين شرق آسيا وأمريكا اللاتينية هو مثال صارخ، هذا وإن سجل أمريكا اللاتينية الأسوأ بالنسبة للظلم وعدم المساواة، أما سجل شرق آسيا فهو من بين أفضل السجلات في هذا الشأن.





كارثة في البحر المتوسط أنهت العالم الجليدي

يوحي أحد التقارير الحديثة أن ثمة انزلاقًا أرضيًا هائلاً تحت سطح البحر قد أدى إلى تغييرات في المناخ عند نهاية العصر الجليدي الأخير، ومضى التقرير يقول: إن الانزلاق الأرضي الذي نشر طينًا فوق مساحة واسعة من الأرض أطلق مقادير ضخمة من غازات الانحباس الحراري، من زاوية ثانية أظهرت الدراسات الزلزالية لأعماق سهل الأرخبيل الواقع غربي سردينيا أظهرت طبقة شفافة عظيمة للموجات الصوتية سمكها عشرة أمتار تحت سطح البحر، ويقول جاي روثويل من معهد ساوثمبتون لعلوم البحار بأن تلك الطبقة نتجت عندما غطى انزلاق أرضي تلك المنطقة بطبقة طينية يراوح ارتفاعها من ثمانية إلى عشرة أمتار، وأرجع روثويل تاريخ ذلك الانزلاق إلى ما قبل ٢٢٠٠٠عام، وذلك بفحص إشعاعي كربوني يحدد عمر الترسبات.

يذكر أنّ انخفاضًا طرأ على منسوب مياه البحر قُدِّر بخمسين مترًا خلال مدة زمنية قدرت بآلاف السنين الماضية ثم أخذ المنسوب بالارتفاع بعد فترة وجيزة من تلك الفترة الزمنية.

وفي تقرير أوردته مجلة نيوسنتست الأمريكية في آذار/مارس الماضي فسر جاي روثويل نظريته بأن الغطاء الجليدي للأرض في ذلك الوقت كان في أقصى ارتفاعه، ومنسوب مياه البحر في أدنى مستوى له لمدة ١٢٠٠٠٠ سنة.

فمنسوب مياه البحر قد انخفض ٥٠ مترًا خلال مدة، ثم بدأ بالارتفاع بعد فترة قصيرة من ذلك. ويرى يوان نيسبت من كلية رويال هولوي في جامعة لندن أن شيئًا ما مثيرًا قد حدث بسرعة خلال بضعة عقود، وأنه من المثير جدًا معرفة السبب الذي أحدث ذلك.

ويظن نيسبل أن هيدرات (ماءات) غاز الميثان في قاع البحر كان لها دور حاسم في ذلك، حيث ترسبت تحت طبقة الانزلاق الأرضي رسوبات غنية بالمواد العضوية تنتج غاز الميثان عند تعفنها، فالضغوط العالية، ودرجات الحرارة المتدنية في المحيط تحتجز الميثان على شكل هيدرات جليدية في مسامات رسوبات تحت الأرض.

وعندما انخفض منسوب البحر نقص الضغط على قاع المحيط مما تسبب في عدم استقرار هيدرات غاز الميثان. ومن جانبه يرى روثويل أن سبب انزلاق البحر الأبيض المتوسط غير واضح، ولكن حالما بدأ قاع البحر بالانزلاق بدأ غاز الميثان بالهروب من أسفل داعمًا ذلك الانزلاق (مزودًا إياه بالوقود)، فالغاز الهارب يعمل على تزييت (تشحيم) الانزلاق. والنتيجة كانت سقوطًا مفاجئًا نشر ما قدره ٥٠٠ كيلو متر مكعب من الطين على سطح قاع البحر. ويظن روثويلب أن الانزلاق الأرضي أحدث موجات مدِّيَّة على امتداد ساحل البحر الأبيض المتوسط. وكان يجب أن تكون تلك القوة مدمرة بشكل هائل. ومن المحتمل أن يكون قد تأثر المناخ أيضًا، وقد يكون أطلق ذلك الانزلاق وحده نصف بليون طن من غاز الميثان، وهو غاز يسبب انحباس الحرارة بشكل كبير، وهذا مما قد يكون له أثره في إنهاء العصر الجليدي في الوقت الذي كان يوجد في الجو نحو ٨٠٠ مليون إلى ١٠٠٠ مليون طن فقط من غاز الميثان. لا يدوم غاز الميثان طويلاً في الجو، ولكن نيسبل يقول: إن التسخين على المدى القصير يمكن أن يحدث تغييرات، وقد يكون الجليد الذائب قد أدى إلى فيضان الجليد القابع في مستويات منخفضة تحت سطح الأرض مطلقًا المزيد من غاز الميثان.

عملية رائدة في جراحة القلب لطفل عمره عشرة أيام بالمظلة

هاري أوليفر طفل صغير أصيب بمرض في قلبه بعد عشرة أيام من ولادته. تقول والدته : كان عادة يستيقظ في الليل على الأقل ثماني مرات، ويبكي ويحاول التقاط أنفاسه، وعندما يحبو بضع بوصات يشعر بضيق تنفس شديد، ويضطر لوضع رأسه على الأرض. إنه مشهد يقطع نياط القلب، وكان علينا أن نربطه بجهاز يصدر صوتاً للإنذار عندما يتوقف نفسه، وكنا دائماً نتنقل به بين المستشفى والبيت. وكنا عندما نراه بهذه الحال كأننا في جحيم لا يطاق للجميع».

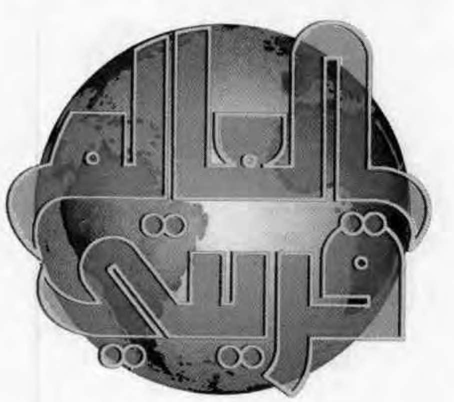
ولد هاري وثقب في الجدار الفاصل بين الحجرتين العلويتين (الأذينين) في قلبه، وتعرف هذه الحالة بعيب حاجزي أذينيّ. والأطفال في هذه السن لا يعانون من ضعف في الصحة. وعادة يقوم الجراحون بعملية لغلق هذا الثقب عند سن الخامسة تقريباً لمنع أي مضاعفات في المستقبل. لكن عند هاري بدأت تظهر أعراض خطيرة بعد ولادته بعشرة أيام. وعندما بدأ الثقب يتوسع كان لابد من خيار وحيد هو الجراحة. والطريقة المألوفة والتقليدية هي جراحة القلب المفتوح، ولكنها تجربة صعبة أو خطيرة لأي مريض في أي عمر كان. ولكن اختصاصي قلب الأطفال د. مايكل ريجبي قرر أن يحاول إجراء العملية باستخدام جهاز المظلة الذي أصبح أكثر شيوعاً في السنتين الماضيتين. وقال: إن هذه العملية أفضل بكثير من العمليات المألوفة التقليدية التي توجب إقامة المريض في المستشفى سبعة أيام، وتجعل صدره مفتوحاً بكل ما في ذلك من مخاطر ومجازفات. أما جهاز المظلة فهو يشبه مظلة مزدوجة مصنوعة من شبكة سلكية دقيقة من التيتانيوم والنيكل، وتدفع وهي في وضع مغلق بواسطة أنبوب بلاستيكي ضيق إلى داخل القلب عبر ثقب في فخذ المريض، ومن ثم في الوريد الرئيس (الوريد الفخذي للمريض) وعندما تصل إلى القلب تفتح تماماً بحيث تغلق الثقب، وتسمح للدم بالانسياب والجريان في اتجاهه الطبيعي، ولا يمكن أن تسقط هذه المظلة، بل تبقى في ذلك الوضع إلى الأبد.

دخل هاري مستشفى برومبتن الملكي في لندن، وأجريت له العملية، ثم عاد إلى منزله. وهو أول طفل تُجرى له مثل هذه العملية في مثل هذه السن؛ لأنها لم تكن تجرى لطفل عمره أقل من سنتين ونصف السنة.

قالت أمه سارة البالغة من العمر ٣٢ عاماً: بعد خروجه من المستشفى أصبح يبدو طفلاً آخر. إننا نراه يحبو في كل اتجاهات الغرفة من دون توقف. كان مدهشاً حقًا. إنها تشبه المعجزة.

ويقول والداه المبتهجان: إن حياته تغيرت تماماً. وإن سرعة شفائه أذهلت عائلته، والعلامة الوحيدة التي تدل على العملية الجراحية هي علامة صغيرة جداً تشبه لدغة البعوض عند أعلى رجله في المكان الذي أدخل فيه الأنبوب.





إنسان آلي يتسم بالجسارة في مواجهة الحرائق

لقد اختبرت فرقة مطافي يوركشير في بريطانيا بنجاح، نموذجًا أوليًا لإنسان آلي «ربوت» ، مصنوع من الفولاذ الذي لايتأكّل. وهذا النموذج هو أول جهاز لمكافحة الحرائق، يعمل من بعد، وقادر على التعامل مع الحرائق الكبيرة من مسافة قريبة، ولا سيما تلك الحرائق التي تؤدي برجال الدفاع المدني لمواجهة مواقف أشد خطرًا.

أطلق على النموذج «الإنسان الآلي المتفوق» وهو مزود برافعة شوكية باستطاعتها الوصول إلى قلب الحريق وإطفائه، والعمل في درجة حرارة تصل إلى ٨٠٠ درجة مئوية، لمدة عشر دقائق متواصلة، دون أن تصاب بالتلف أو ينصهر معدنها.

ومن المميزات التي تجعل هذا الجهاز متفوقًا فعلاً أن ذراعه الداخلي القابل للتبديل، بوسعه التقاط الأوعية والبراميل الممتلئة بالمواد السامة القابلة للانفجار، وكذلك بمقدورالذراع رفع حطام السيارات وإزالة الأنقاض الثقيلة.

وإضافة إلى ذلك يمكن تزويد الذراع بسطل معياري وشوكة، وجهاز قابض على شكل كماشة، ويتضح في التقرير الذي أوردته Daily Mail اللندنية، أن سطح الرافعة مزود بآلتي تصوير مهمتهما التقاط صور ملونة لمشهد الحريق، وبثها إلى غرفة التحكم، ليمكن رجال الدفاع المدني من الوقوف على تفاصيل الحادث، وربما أمكنهم تحديد مواقع صمامات الغاز، ومن ثم يهرعون لتأمينها حتى لا يتفاقم الحريق.

وتزن الرافعة ٢.٤ طنًا، وسعة محركها الديزل ٢.٢ ليتر، ويمكن حمله إلى موقع الحريق على ظهر مركبة أخرى، وسيزود النموذج بخزان ماء سعته ٦٠ لترًا، وجهاز نفاث بضغط عال قادر على إطلاق رزاز الماء.

ويعد هذا النموذج من ثمرات تعاون الدفاع المدني ورجال الصناعة، يقول أحد الناطقين باسم الشركة الصانعة للنموذج: نحن مسرورون بهذه المركبة، لقد قدم لنا الدفاع المدني الفكرة، وأبلغونا بما يريدون من الجهاز، ونحن بدورنا نفذنا الفكرة على أرض الواقع.

هذا وقد أُختبر نجاح نموذج أولي من الفولاذ الذي لا يتآكل من قبل فرقة مطافئ يوركشير، وأن تلك الرافعة تصنّع الآن في مصنع JCB بمدينة تشيدل بـ ستافوردشير.

يقول مالكون سوندرز نائب رئيس مركز الدفاع المدني في ويست يوركشير إنه لا يوجد لديه شك أن تقانة الروبوتات «الإنسان الآلي» أثبتت أنها تتقدم إلى الأمام فيما يتعلق بتحسين صحة مكافحي الحرائق ووسائل الأمان والسلامة، وأن هذه الرافعة ستعمم على جميع مراكز الدفاع المدني في بريطانيا.





الكواسر:

عمّال النظافة في الصحارى الإفريقية

س. نعيم شلالا

الطير أمّة رافقت الإنسان منذ بدء الخليقة يقول تعالى:

وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم. **الأنعام**: ٣٨.

والطيور أنواع متباينة وأجناس مختلفة، منها الأليف المغرّد القريب من الإنسان، ومنها البعيد السابح في هذا الفضاء الواسع الرحب، ومنها الذي استعمله الإنسان لأغراض عسكرية، وذلك إبان الفتوح الإسلامية، مثل حمام الزاجل الذي كان ينقل الأخبار ويوصل الرسائل بين الأمصار. ومنها الذي استعمله الإنسان للقنص والصيد كالصقور والبزاة، لما أودعه الله فيها من تقنيات معينة، وأشكال مهيأة لهذه الغاية. فأجادت القنص، وقطف الإنسان ثماره. وقد سخر الله سبحانه وتعالى هذه الطيور جميعها للإنسان، وأودع فيها غريزة العبودية لله فكلها تسبح بحمده، وتصلي له.

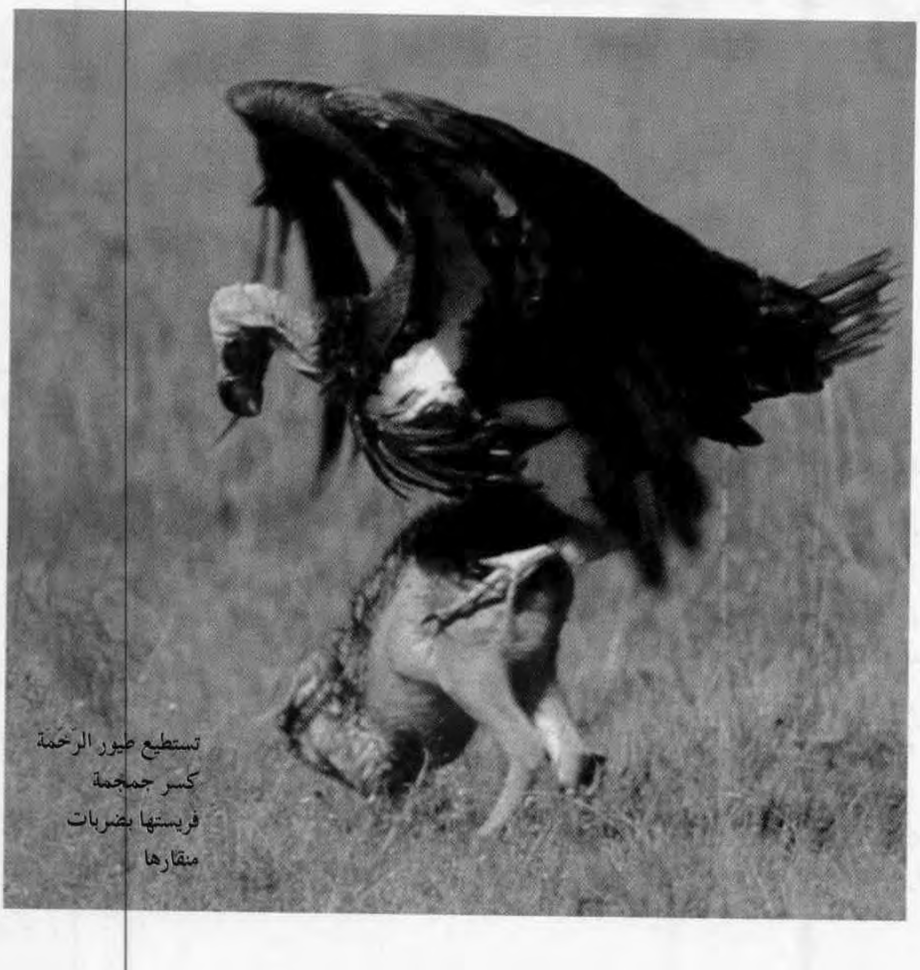
قال تعالى: *ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطيرُ صافات كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه، والله عليمٌ بما يفعلون.* **النور**: ٤١.

ولقد أنعم الله على سليمان وداود



مخلوقات مسخَّرة

تبلغ فتحة جناحي بعضها ٣ أمتار



تستطيع طيور الرخمة كسر جمجمة فريستها بضربات منقارها

عليهما السلام، بميزات وصفات ليست لغيرهما، فقد علمهما منطق الطير، يقول تعالى: *عُلّمنا منطق الطير*. **النمل**:١٦. وسخر لهما الجبال والطير ، يقول: وسخرنا *مع داود الجبال يُسبحن والطير*. **الأنبياء**:٧٩.

إن الذي يتأمل هذه الطيور، ولا سيما الكواسر منها، وهي تحّلق في أجواء السماء العالية، وكأنها أسراب الطائرات تحملها التيارات الساخنة فتبقى ساعات طوالاً باسطة أجنحتها، ورأسها يتحرك يمنة ويسرة كأنه يراقب هدفًا له يريد أن ينقض عليه، فتبصر بنظرها الحاد القوي من هذا الارتفاع كل ما يدب على الأرض، ويتحرك عليها، وإذا ما أبصرت إحدى الفرائس فسرعان ما تنقض عليها كأنها شهاب ثاقب، إنها فريسة لذيذة اللحم تشتاق إليها هذه الطيور، وربما أبصرت جيفة من مخلفات الأسود والنمور فتهبط فوقها، وكأن رائحة هذه الجيفة النتنة تجذبها إليها جذبًا شديدًا،

الكواسر: عمّال النظافة في الصحارى الإفريقية



ان معدة الكواسر مهيئة لهضم جميع سموم جيفة معفنة

فتأكل نصيبها منهـا، ثم تترك البقية للغربان والضبـاع والكلاب، وبنات آوى وكل منها قـد انتظر دوره مما تبـقى من فتـات مـائدة الكبـار. فـمن الصـعب جـدًا أن تعـمل أو تأكل وحدك في تلك الأصقاع.

وفي إفريقـية تلك القارة السوداء تنتـشر الأمـراض بسرعـة كبـيرة، بسبب طقسـهـا الحار، ومناخها الجاف، وحـرارتها المرتفعة، وقلة هطول الأمطار فيها، كـما هي معرضة لانتشـار الأمراض، وتفـشي الأوبئة ، فـتأتي هذه الكـواسر لتـقـوم بدورها في تـنظيف الغابـات والصحارى مـن جيف الحيـوانات المتعـفنة التي تركتـها الوحوش الكاسـرة بعد أن جـزرتهـا، وأكلت منهـا مـا تحتـاج إليـه. وتقضي بذلك على التعفن والتلوث الناتجين من جـراثيـم تلك الجـيف التي إن بقـيت فستـنشر الأمـراض الفتاكـة بواسطة الذباب الذي يحـمل تلك الجـراثيم إلى ينابيع الميـاه العـذبـة، أو إلى طعـام الإنسـان المـكشـوف ملوثًا بذلك الإنسان والبيئة.

ويعيش فـي القارة السوداء مـايربي على عشرة أجناس من الجوارح الكواسر منها:

- كـواسـر النخـيل: وقـد شـذت هذه الفـصيلـة عن البقـيـة، لأنها تقـتـات فواكـه الأشجـار، والنخيل وتسمح لنفـسها أحيـانًا ببعض الأسماك الصغيرة والرخويات.

- كـواسر الرخـمة المصرية، والكواسـر السوداء، وهمـا فصيلتـان تستطيعـان العيش في أصـعب ظروف القـحط، وقلّة مـوارد العيش، متبنية أسلوبًا غـريبًا في الحمية، فهي تقـتـات خـلالهـا البـراز، وتصيـد الأفـاعي والضفـادع وصـغـار الـلبـونات القـارضـة «القـواضم» وتكتـفي في أحـيـان أخـرى بالقليل من الخضار والفواكه، ويطلق علماء الطبيـعة عـلى هذه الفصـيلة: ورشـة عـمل قائمـة بنفسها، فـلا يستعصي عليـها شيء، بينـمـا هنـاك أجناس أخـرى من الكواسـر تفـوقهـا أضعـافًا في القوة والوزن لا تقـوى على كسر بيضة نعامة.

- كواسر العنقاء الإفريقـية، تشتهر بلون ظهرها ورأسهـا الأبيض الريش، وهي تعيش بالقـرب من الضبـاع وغـيرها ملـتقطة بقـايا جيـفهم، وهـي ترافق صيـادي وحيد الـقرن والفيلة. كانت كـواسـر العنقاء في السـابق قليلة الكرّ والـفرّ بحـيث إنهـا كـانت تنتظر أيامًـا طوالاً على رؤوس الأشـجـار ترقب نفـوق واحـد منهـا لتنقض عـليـه، لكنـهـا فقدت هذه الرغبة اليوم.

وهناك الـكواسـر ذوات الـرأس الأصلع التي تقطن منطقة شمال إفريقية.

كواسر «الأوريكو» تتـواجد في جنوب



عندما يمرون، لا يبقى شيء

القـارة السـوداء، وهي مـن أقـوى كـواسـر إفريقية على الإطلاق. تصور أيها القارئ أن امتـداد فتـحة جناحيـهـا تبـلغ ٣ أمتـار، واعتادت على صيد الأيائل الفتية والنعام والأرانب، وهي تفضل اللحم الطازج على غيره من أنواع القوت.

كواسر الحملان الكثيرة الريش، وتعرف هذه الفصـيلة بذكـاء حاد، وتقنيـة فطرية عالية في اصطياد فريستها، ولكنها تبقى غير قادرة على كسر بيضة نعام، أو جمجمة فريسة، وتعود في ذلك إلى تقنية كواسر الرخمة لكسرها، وتتلخص بالتالي:

تعاين كواسر الرخمة صخرة كبيرة، ويقوم واحد منها بحمل البيضة بين فكية معتليًا بها في الفضاء، ويخر بعد حين من أجوائه نحو تلك الصخرة بسرعة كبيرة تاركًا البيضة ترتطم بالصخرة فتنكسر البيضة، وبفضل لسانه القادر على القشر والبشر يستخرج منها مادتها الحية.

وبعض الكواسر يتمتع بقدرة عجيبة يستطيع من خلالها إفراز سائل هضمي يقضي على جميع السموم التي يبتعلها عند التهامه الجيف المعفّنة، وهو لا يتأثر بها مطلقًا.

لقد عرف الناس في العصر الحديث الكواسر على اختلاف أجناسها، وذلك لسهولة الانتقال والحل والترحال، وتعززت تلك المعرفة بفضل التقدم التقاني والاختراعات، من تلفاز وسينما وحاسب وإنترنت، حتى أمسى كوكبنا قرية صغيرة!! واختلف الناس في مشاعرهم تجاه تلك الجوارح، فدعا بعضهم إلى صيدها والتخلص منها، لكن الآخرين من دعاة حماية البيئة نادوا بضرورة الحفاظ على الثروة الحيوانية ومساعدتها على البقاء.

وكانت هذه الكواسر تجسّد عند الأقدمين الخلود. فراحوا يقلدونها، لكن محاولة التقليد سرعان ما باءت بالإخفاق إلى أن استطاع إنسان العصر الحديث اختراع الطائرة التي حملته إلى الأجواء والكواكب والنجوم. ويبقى تاريخ الشعوب زاخرًا بحكايا الصيد وقصصه التي كانت لا تخلو من بعض الأساطير الخرافية.

قصيدة

ضياء في سماء الشرق

السيد الصديق حافظ

بربك «نجد» هل أدركت «شيخا»(١) … نقيَّ القلب وضّاء المحيا؟!
جلال العلم يُكسبه وقارا … يفيضُ سنًا ووعيًا عبقريًا!
على هَدْيِ السماء سرت خطاه … تجوب البيد تطويهن طيا!
ضياء في سماء الشرق يحدو … رِكَابَ النُّورِ مؤتلقًا نديا!
أباد الشرك في زمن عَصي … فما بالي أرى شِرْكًا عصيا؟!
وعادات خلت من عصر جهل … أرى نفرا لها خرُّوا بُكِيّا!
وقد ضمّت ثيابهمو قبورا … من الشهوات بل داء دويا(٢)!
وسادت بينهم قيم قباح … محاها يوم كان الدينُ حيّا!
ألم يكن «الإمام» يرى زمانا … شقيًّا بالمفاسد جاهليّا؟!
غدا الإنسان للشيطان عبدا … فسخّره وكان له رَئيّا
وأنعام تساق مقلَّدات … وتحمل فوق أظهرها مطيا!
تشد رحالهن إلى قبور … وقد ضمت وليا أو غويا!
وهبه صالحا. ملكا. نبيا … فهل يغني عن الإنسان شيًّا؟!
فكانت غضبة لله حقا … دوى صوت «الإمام» بها دويا
أإشراك؟! تعالى الله ربي! … لقد جئتم إذن شيئًا فريا!
فشَبُّوا نار حقدهمو عليه … وقد كانوا بها أولى صِلِيّا!
وأمَّ(٤) «الشيخ» دار بني «سعود» … إمام الناس أنداهم نديا
ألم تر أنهم للدين حصن … وأن الله كان بهم حفيا؟!
أعان على بناء «الملك» شيخا»(٦) … أبيَّ النفس شهما أريحيا!
حمى «شيخ الدعاة»(٧) فكان حصنا … لدعوته وقَرَّبَهُ نجيّا!
وأمّن خائفا من غدر سيف … جهول يبتغي دمه الزكيا!
وكرَّمهم بأملاك كرام … أحلوا شعبهم شعب الثريا!
ومن «كأبي الملوك»(٨) هدًى وأيْدًا … ورأيا في المواقف ألمعيا!
موحد دولة خلقت لتبقى! … ليبقى العدل معتزًّا قويا!
بهم بُعثَ الزمان فعاد حيا … قرير العين محترمًا رضيا!
أعزُّوا الدين والدنيا وأعلَوْا … شعار الحق وضاحا جليا(٩)!
تعانقه القلوب بكل أفق … وتفديه نسيجا سندسيا!
طلعتم في الجزيرة نجم سعد … وسحبا تغمر الأنحاء ريا!
تعالى الله باركها وأجرى … بأعلاها وأدناها سريا!
وزكّى حرثها فغدت جنانا … ونخلا أثمرت رطبا جنيًّا!
أدامَ الله مجد «بني سعود» … ولا زال الزمان بهم سخيًّا!
يجود بمثل «فهد» نِعْمَ «فهد» … إماما صالحا برا تقيا!
وفود الله في الحرمين تدعو … أعز الله دولته وحيا!
وآزره «بعبد الله» دوما … «كهارون» أخي «موسى» وليا!

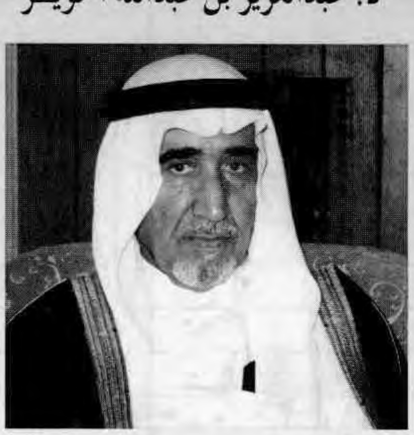
الهوامش

١ـ الإمام محمد بن عبدالوهاب.
٢ـ الداء الدوي الذي لا علاج له.
٣ـ مليا: طويلا.
٤ـ أمّ: قصد.
٥ـ أكرمهم سماحة.
٦ـ الإمام محمد بن سعود.
٧ـ الإمام محمد بن عبدالوهاب.
٨ ـ الملك عبدالعزيز.
٩ـ علم المملكة العربية السعودية الذي يحمل شعار التوحيد في نسيجه السندسي الأخضر.

أقوال الماضي للحاضر

ثمرة الفصاحة

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر



الفصاحة ثمرة عقل وتدريب، ودقة ملاحظة، وغرف من ينابيع سبق إليها فطاحل هذا الفن، وهذه الموهبة.

وكانت العصور الأولى للإسلام، بعد عصور الجاهلية، مسرحًا لعرض ما تميز من هذا، فكان الفصيح مرموقًا، ومقدرًا في مجتمعه، خاصة من علية القوم، والعصر الأموي والعصر العباسي كان فيهما فصحاء، عربًا ومستعربين، جمعوا الفكر الحضاري الذي كان سائدًا في العصر العباسي خاصة، نتيجة دخول أفكار الأمم المتحضرة السابقة مع من دخلوا في الإسلام؛ ففكر الهند اقتُبس، وفكر الصين استُقي منه، فاحتكت الأفكار، فقدحت شرارات لامعة، سُجِّلت لذلك الزمن.

وخير من يقدر الفكر والفصاحة، وهي وعاؤه، هم الحكام، والرؤساء، لتميزهم فكرًا، وحاجتهم إلى مثل الفصحاء، يحملون منهم، وإليهم، ما هم في حاجة إليه، لتغذية أفكارهم ونقل آرائهم، وإذا كان الخلفاء الأمويون قريبين من عصر الجاهلية، وعهد الخلفاء الراشدين، وزمنهم لم تَتغشَّهُ العجمة، التي أفسدت اللغة، فإن أوائل الخلفاء العباسيين كانوا يتميزون بأنهم أُهِّلوا قبل أن يأتوا للحكم، فكان عندهم من الوقت، والمقدرة، ما جعلهم على رؤوس العلماء، وقد سمعنا عن كثيرين منهم أنهم تابعوا تعليم أولادهم لغة قومهم، وفكرهم الرصين؛ وشجعوا على تأليف كتب خصصت لهم، تتماشى مع سن أحدهم، وترتقي معه، وكان هذا من أسباب ازدهار الرواية، والتسجيل، والتأليف، وأبرز من عرف بتكليف الأدباء على جمع ما شرد من نصوص الأدب: المهدي والهادي، وهارون الرشيد، والمأمون، تقديرًا منهم لما درسوه في صغرهم، ولما آمنوا به من فائدة.

وهذا موقف للخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد يكشف فيه عن تقديره لجواهر الكلام عندما يسمعها، ودرر الفكر عندما يلحظها، وكان قد أخذه الغضب الشديد على أحد جلسائه، فأزالت كلمات صيغت بعناية، وسبكت سباكة بديعة حسنة، هذا الغضب، وأعادت المياه إلى مجاريها. ولعل المأمون كان سعيدًا بأن يعود إلى حظيرة رضاه أحد من افتقد صحبتهم، وهو سهل بن هارون، والقصة هي: «يروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل، إلى أن دخل عليه يومًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ظلمتني، وظلمت فلانًا الكاتب.

فقال: ويلك! وكيف؟

قال: رفعته فوق قدره، ووضعتني دون قدري، إلا أنّك له في ذلك أشد ظلما.

قال: كيف؟

قال: لأنك أقمته مقام هُزء، وأقمتني مقام رحمة.

فضحك المأمون، وقال:

قاتلك الله! ما أهجاك!

ورضي عنه». (سرح العيون: ٢٤٥)

وقيل: إن هذه الحكاية لغيره؛ وقيل: إن سبب رضاه غير هذا، وإنه قول لا يخرج عن حد الأقوال، وفصاحتها، إلا أن فيه جانبًا سياسيًا مخفيًا، وهو مهم، والقصة كما يلي:

«حكي عن سبب رضى المأمون (عن سهل) أنه تكلم بكلام حسن في محفل، فقام سهل، وقال: ما لكم تسمعون، ولا تعون، ولا تعجبون! أما والله إنه ليقول، ويفعل، في اليوم القصير مثلما قالت، وفعلت، بنو مروان، في الدهر الطويل.

فأعجب المأمون قوله، ورضي عنه».

(سرح العيون: ٢٤٥)

أدب وأدباء

أشعر الأولين والآخرين

د. محمد بن صالح الجاسر

أشعر الأولين والآخرين هو الكميت بن زيد الأسدي (ت: ١٢٦هـ). فقد حُكي أن سائلاً سأل معاذًا الهَرَّاء (ت: ١٨٧هـ) وهو من علماء اللغة المعدودين: مَن أشعر الناس؟ فقال: من الجاهليين أم من الإسلاميين؟ قال: من الجاهليين، قال: امرؤ القيس وزهير وعَبِيد بن الأبرص. قال: فمن الإسلاميين، قال: الفرزدق وجرير والراعي والأخطل. فقال له السائل: يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت! قال: ذاك أشعر الأولين والآخرين.

وأعظم من هذا ما روته كتب الأدب من أن الكميت بن زيد كان أول ما قال من الشعر (الهاشميات) وقد سترها مدة من الزمن عن الناس؛ مخافة أن يكون رأيهم فيها في غير صالحه، ولهذا قصد الفرزدق وقال له: يا أبا فراس، إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد. قال له: صدقت فما جاء بك؟ قال: نُفِثَ على لساني فقلت شعرًا فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسنًا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحًا أمرتني بستره، وكنت أول من ستره عليّ. قال له الفرزدق: أمَّا عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني ما قلته.

فأنشده قصيدته الرنانة التي يقول في مطلعها:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ
ولا لَعِبًا مني وذو الشيب يلعبُ

فلما انتهى من إنشاد القصيدة، قال له الفرزدق: يا ابن أخي أذع، ثم أذع، ثم أذع، فأنت ـ والله ـ أشعر من مضى ومن بقي.

ومعاذ الهَرَّاء من أصدقاء الكميت الخُلّص، فربما يكون لتلك الصداقة دخل في حكمه للكميت، أما الفرزدق فهو من أقرباء الكميت، وربما يكون لصلة القرابة دخل في عَدِّه أشعر من مضى ومن بقي.

وليس معنى هذا أن الكميت أقل منزلة، وأدنى مكانة من العديد من الشعراء، ولكنه ليس على كل حال أشعر الأولين والآخرين، أو أشعر من مضى ومن بقي؛ لأن هذا الوصف لا يمكن أن ينطبق على أيّ شاعر مهما بلغت قريحته وذلاقة لسانه. ولكن الكميت بن زيد، على ذلك، يُعَدّ من أفذاذ الشعراء، فأغلب الظن أنه عندما لجأ إلى الفرزدق لم يكن يستشيره في مستوى شعره؛ لأنه لم يكن من ضحالة التفكير وفقدان ملكة التمييز بحيث لا يعرف قيمة شعره، وإنما كان يستشيره في موضوع شعره؛ لأنه ينصب في غرض معين، هو نتاج رأيه واعتقاده، وهل هو مما يجوز عرضه وإذاعته. وقد حثه الفرزدق على إذاعته لأنه يرى رأيه، ولأنه أيضًا قد أعجب بقصيدته، وما تتميز به من حرارة دافقة، وشعور متلهب.

ومما يدل على اعتقادنا هذا أن الكميت اجتمع يومًا من الأيام بحمّاد الراوية (ت: ١٥٥هـ) في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حمّاد في شيء، ونازعه، فقال له الكميت: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال حمّاد: ويحك، والله ما هو بالظن، وإنما هو اليقين، فغضب الكميت، وما زال يناقشه حتى أفحمه.

فهل رجل يُفحم مثل حمّاد الراوية ـ وهو من كبار الرواة، ومن أعلم الناس بأخبار العرب ـ يجهل قَدْر شعره، ويستعين بمن يدلّه على مستواه؟

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الشخصية الإسرائيلية ١



د. حسن ظاظا

هناك قول مأثور ردّده التلمود أكثر من مرة، هو:

«كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل»(١)

وهذا القول وحده كاف لوضع علامات على حدود الشخصية الإسرائيلية. إذ يمكن بسهولة أن نستنتج منه النزعة العنصرية التي تجعل الإسرائيلي يشعر أنه من جوهر غير طينة البشر جميعًا، وأن هذا الجوهر منفرد بأسرار ومواهب لا توجد في غيره، وأن الإسرائيلي قد خُلق كذلك بتدبير سماوي، لأن الدنيا التي أبدعها الله سبحانه وتعالى ما كان يمكن أن يستقيم أمرها من غير اليهود!

فنحن نرى كيف يتحول الإحساس بالقلّة والذلّة إلى صورة لا مثيل لها من الغرور وجنون العظمة والصّلف والكبرياء، التي تجعل عودة تلك الفئة من الناس إلى إطار المجتمع الإنساني السليم أمرًا مُستعصيًا، يحتاج إلى إصلاح عميق وعلاج طويل؟!!

وإذا كانت القاعدة أنه لا دواء قبل معرفة الداء، فإن معرفة الشخصية الإسرائيلية تكاد تكون فرضًا على النفوس المحبة للإنسانية، وضريبة على العقول الباحثة عن العدل والإخاء والسلام. وهي اليوم أكثر أهمية منها في أي عصر مضى، ثم هي في مجتمعنا العربي أشدّ إلحاحًا منها في أيّ مجتمع آخر، على الأقل، لأن القضية الفلسطينية ما تزال تستنزف في قلب وطننا قدرًا هائلاً من العرق والدمع والدم، ومن الحبر الذي تجري به أقلام الكتّاب والباحثين.

وقولة التلمود التي افتتحنا بها هذا المقال قد تضعنا على طريق هذه المعرفة، ولكنها لا تكفي للبحث ولا الحكم. فالشخصية الإسرائيلية أشدّ تعقيدًا من ذلك بكثير، تدخل في تركيبها عناصر شتى، تجمّعت في ظروف شديدة التنوع والتباين، عبر مسافات شاسعة بعيدة في الزمان والمكان، حتى أصبح من أصعب الأمور أن يصف الباحث الحدود الخارجية لهذه الشخصية - فضلاً عن القسمات الدقيقة، والملامح الجزئية - وصفًا ناطقًا بحقيقتها، جامعًا مانعًا مقنعًا. ولكن على الرغم من كلّ الصعوبات التي تقف في هذا السبيل، فإن تعرّف الشخصية الإسرائيلية يظل ممكنًا ما دام استعدّ له الباحث بأكبر قدر من التجرّد والموضوعية التي لا ينساق فيها وراء خرافات اليهود، ولايأخذ فيها بخرافات أعدائهم كذلك.

ما هي الشخصية؟

ولنبدأ هنا بالاتفاق على دلالة بعض الألفاظ التي يكثر دورانها عند الخوض في هذا الموضوع، فنسأل مثلاً: ما هي الشخصية؟

تقول المعجمات في تعريف الشخص: «إنه سواد الإنسان وغيره الذي تراه من بُعد. وقد يُراد به الذات المخصوصة. ولا يطلق في اللغة إلا على ما له جسم. وقد يخصص للإنسان فقط، ذكرًا كان أو أنثى(٢). والشخصية لفظة مولّدة مشتقة منه، تدل في علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة على العلامات المميّزة للإنسان أو لمجموعة من البشر، وليست هذه العلامات مقصورة على السحنة أو القامة أو شكل الجمجمة أو لون البشرة أو الشعر والعينين، أو حتى اللغة. بل لعل ذلك كله يتعرض للاختلاط والتغيير والتبديل، حتى يصعب الاعتماد عليه في تحديد الشخصية. على حين تدخل عناصر أخرى أثبت وأعمق وأهم عند الباحثين، كالعادات والتقاليد، والمأثورات الشعبية، والتراث الحضاري القديم، والتماسك حول نواة اجتماعية قد تكون أسطورية، ولكنها مع ذلك قد ظلّت نشيطة وفعّالة في سبك الطباع، وتكوين الشخصية.

فهذه الخطوط الفكرية والاجتماعية المميزة أقدر على صب الشخصية في قالبها المعين، من كثير من الاعتبارات الأخرى. فالبريطاني والأسترالي شخصيتان مختلفتان على الرغم من وحدة الأصل والدين واللغة وتشابه السحنة، لأن كلاً منهما تطور في ظروف إقليمية واقتصادية تغاير ظروف صاحبه. ومن السهل تعقّب هذه الظاهرة في شخصية الإيطالي والفرنسي والإسباني، وهم جميعًا أوربيون مسيحيون كاثوليك من أصل لاتيني. ولكن اختلاف الزمان والمكان، وانبثاق ثقافة محلية قديمة لكل من هذه الشعوب، جعلها في النهاية شخصيات مستقلة عن بعضها، وقد ساعد على ذلك طبيعة اختلاط كلّ منهم بعناصر بشرية مختلفة، فالفرنسيون خالطوا النورمانديين والقوط والكلت، والإسبان امتزجوا بالوندال والقوط والعرب، كما امتزج

الإيطاليون باليونان والأترورين وغيرهم. وهي هجنة تركت مميزات واضحة في شخصية كلٍّ من هذه الشعوب.

وعلى ذلك فإن البحث الجاد عن «الشخصية» ينبغي أن يطل على مجموعة كبيرة من الظواهر التي أدت دوراً - قلّ أو كثر - في حياة فئة من الناس، وفي ظروفها ومقدراتها. على أن هناك درجات في الأهمية يجب ألا تغرُب عن البال عند اختيار الظروف والعناصر والظواهر التي تخلق الشخصية. فقد تكون الأسطورة التي تؤمن بها فئة من الناس أعمق أثراً من الوثيقة التاريخية. وقد تكون البدعة التي اختلطت بالدين أقوى عندهم من الدين نفسه، وقد تكون ذكرى حادثة قديمة عندهم أضخم بكثير من الحادثة نفسها، وكل ذلك يمثل وقوداً تنصهر فيه النفوس، وتنسبك به السجايا، وتتبلور فيه الشخصية.

ما معنى الإسرائيلية؟

وإذا كنا قد وصلنا إلى تصور ما لمدلول لفظة الشخصية، فإننا ما نزال بحاجة إلى استيضاح معنى «الإسرائيلية».

ومن الممكن - فراراً من الجدل الطويل - أن نقول: إن الإسرائيلية تعني كل ما يتصل بإسرائيل، أو باليهود. لكن يكون الخطأ جسيماً مع هذا الاكتفاء، فاللفظتان غير مترادفتين تماماً، وقد تقفز أمامنا ونحن نتأملهما مصطلحات أُخر لا تقلّ عنهما تعقيداً، نحو «العبريين» أو «الصهيونيين» أو «شعب الله المختار» أو «الشعب الأبدي» أو حتى «اليهودي التائه».

من هو إسرائيل الذي إليه تنتمي الإسرائيلية؟

في توراة اليهود أنه سيدنا يعقوب. وهي تروي في ذلك قصة تذكر أنه شهدها عند هجرته إلى أرض الكنعانيين - فلسطين - وهو قادم إليها بأهله شريداً غريباً هارباً من أصهاره بالعراق، يخوض جدولاً صغيراً في منطقة الأردن اسمه «البيوق».

قال الراوي: «فبقي يعقوب وحده، يصارعه رجل ما حتى مطلع الفجر، فلما رأى أنه لا يقدر عليه، ضرب حُقّ فخذه، فانخلع حُقّ الفخذ من يعقوب في صراعه معه. ثم قال: أطلقني فقد طلع الفجر. فقال لا أُطلقك إلا إذا باركتني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لن يُدعى اسمك يعقوب من بعدُ، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله والناس، وغلبت» - (التكوين ٣٢:٢٤ وما بعدها).

وواضح أن هذه القصة تروى موقفاً خارقاً للمألوف، وقد طال النقاش بين الباحثين حول مضمونها جملةً وتفصيلاً، وقد رأينا مثلاً أن الذي صارع يعقوب مذكور في النص أنه رجل لا أكثر. ولكن سعديا الفيومي، علاّمة اليهود في بغداد في أيام العباسيين، يضع مكانها في ترجمته العربية للتوراة لفظة «ملاك»، ثم يحاول في آخر القصة الابتعاد عن إثبات حدوث مصارعة بين الله ويعقوب، فيتصرف في النص ويقول: «لأنك ترأست عند الله وعند الناس وطقت ذلك»(٣).

واهتمّ علاّمة الفولكلور البريطاني فريزر بهذه المصارعة العجيبة، في فصل كامل من كتابه «الفولكلور في العهد القديم»(٤)، أشار فيه إلى أن المشهد قد حدث ليلاً بجانب مجرى ماء، طبقاً لاعتقاد أسطوري بدائي في وجود مخلوقات غامضة من قبيل الأرواح والعفاريت تسكن مجاري المياه، وتظهر للناس في الظلام.

وقد قُدّر ليعقوب أن يكون شيخ عشيرة تنتمي إليه، هم بنو إسرائيل. فراحوا يتناقلون هذه المفخرة المأثورة عن سلفهم القديم المبارك، الذي فعل العجائب في تلك الليلة الرهيبة، وأثبت أنه من الأقوياء الجبابرة، القادرين على المصارعة وعلى التغلّب على الأنداد، لا من البشر فحسب، بل عندما يصارع الله أيضاً!! وعبادة القوة البدنية من شيم المجتمعات الفطرية البدائية، وقد تكرر ذلك كثيراً في آداب اليهود، ويكفي أن نشير إلى ما يروونه حول رجل آخر من أبطالهم الأسطوريين هو «شمشون» الذي كُتب لمغامراته أن تشيع وتذيع في جميع الأقطار والأمصار. لكن الغريب في أمر يعقوب أنه في صباه لم يكن يشير بهذه القوة التي تجعله أشدّ المصارعين بأساً في التاريخ كله. فالتوراة نفسها تقارن بينه وبين أخيه التوأم «عيسو»، فتصف هذا الأخير بأنه كان صياداً ورجل بادية، وأنه كان خشناً غزير الشعر غليظ الصوت، وأن يعقوب كان بعكس ذلك تماماً. ثم إننا في قراءة التوراة نلتقي بيعقوب خائفاً من أخيه يهرب من وجهه، ويترك له البلاد ومن عليها، ثم نجده مرة أخرى خائفاً من أصهاره هارباً من حميه، ثم نجده في آخر عمره مستكيناً حزيناً يبكي بكاء الثكلى حتى ابيّضت عيناه، عندما اختفى ابنه يوسف. وفي هذه المواقف كلها يتفرد يعقوب بموقف بطولي واحد يصارع فيه، ويتغلب على ندّه، رجل الليل الغامض، أو الملاك، بل الله، - تعالى عن ذلك علواً كبيراً -

ومهما يكن من شيء فإن هذه المفخرة المأثورة عند الأحفاد تجعله في نهاية تلك المصارعة، عند مطلع الفجر، يستحق لقب «إسرائيل» أي «قوة الله»، من لفظتين ساميتين قديمتين هما «أسر» بمعنى القوة والغلبة، مثل الأزر تماماً، ولفظة «أل» أي الإله، الله.

وقد قدّمنا أن القصة المأثورة قد تكون أقوى أثراً في الشخصية من الوثيقة التاريخية المكتوبة، وليست عندنا وثائق تقول: إن إسرائيل هو يعقوب، ولكن وردت في النقوش كلمات قريبة من لفظة «إسرائيل» تُشير إلى فئة من البشر أو عشيرة من الناس، فقد ذكر البريطاني «فلندرز بتري» أن اللغة المصرية القديمة تستعمل

وفي الشتات اتخذ اسم اليهود معنىً بغيضاً بين الأمم. فهم أبناء هذه الطائفة المتمردة، المنطوية على نفسها الشديدة التعصّب، المتهمة بصلب المسيح، إلى جانب صفات سيئة أخرى

كلمة «أسي آرا» اسمًا لمجموعة من الناس، كما يشير الألماني «شرادر» وغيره من علماء المسمارية إلى أن لفظة «سيرئيلاي» مستعملة في البابلية الآشورية بمعنى «إسرائيل» و«إسرائيلي»(٥)

وهكذا نجد هذه الطائفة من الناس قد تعلّقت بقصة هذا الجدّ القديم، ودرجت على أن تسمي نفسها «بيت إسرائيل» أو «آل إسرائيل» أو «بني إسرائيل»، وكثيرًا ما يختصرون التعبير فيقولون: «إسرائيل» فقط كما رأينا في مأثور التلمود، وكما ورد في الوثائق الفرعونية والبابلية الآشورية.

شيوع كلمة يهودي على الإسرائيليين

ظهر إلى جانب التسمية بإسرائيل منذ القدم تسميتان أُخريان هما: «عبري» من جهة، و «يهودي» من جهة أخرى، وسنعود إليهما بالشرح عمّا قليل. ويكفي الآن أن نشير إلى أن التسمية «يهودي» قد شاعت وذاعت في أيام اليونان والرومان، أي من القرن الرابع قبل الميلاد. واستمرت حتى الآن. إذ كان سبط يهوذا، وهو أحد أبناء يعقوب، قد استقر في جنوب فلسطين، وظهر منه سليمان وداود، ثم قام من بعدهما حكم ملكي في بني إسرائيل كله من يهوذا، يسيطر على العبريين في هذا الإقليم، حتى سمّي الإقليم نفسه يهوذا في السجلات اليونانية والرومانية كما سمّي أهله اليهود ولاحقتهم هذه التسمية بعد جلائهم عن الأرض وتشتتهم في البلاد.

وفي الشتات اتخذ اسم اليهود معنىً بغيضًا بين الأمم. فهم أبناء هذه الطائفة المتمردة، المنطوية على نفسها الشديدة التعصّب، المتهمة بصلب المسيح، إلى جانب صفات سيئة أخرى اكتسبوها من الظروف الشاذّة التي عاشوا فيها بين الأمم الأخرى على شكل أقليّة محتقرة، من أبرزها: الجشع وحبّ المال، والقسوة، وعدم التدقيق في نظافة الجسم والمسكن والثياب. حتى أصبح أمرًا عاديًا أن يسمع الإنسان في بقاع متفرقة من الأرض عبارة مثل «اليهودي التائه»، «اليهودي القذر»، وهو أمر دعا كثيرًا من أثرياء اليهود إلى تجنب هذه التسمية وتفضيل اسم إسرائيلي عليها.

ومع ذلك فإن تيودور هرتسل زعيم الصهيونية الحديثة، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي الأول المنعقد في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧م، لم يتردد في تسمية كتابه المتضمن لدعوته هذه «دولة اليهود». ولكن هذه الدعوة آثرت عند الكتابة عن فلسطين أن تسميها «أرض إسرائيل» لا «أرض اليهود»، وكأنهم حرصوا على تأكيد انتماء هذه الأرض إلى من يزعمون أنهم أسلافهم الأُول، وهم أبناء يعقوب، أو بنو إسرائيل.

كذلك عندما أعلنت الصهيونية عن قيام دولتها في فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، أطلقت عليها كما نعلم اسم «إسرائيل» مفضلة ذلك على الاسم الذي كان هرتسل قد اختاره وهو «دولة اليهود» والأسباب التي دعتهم إلى ذلك يبدو أنها كثيرة أهمها:

ـ إيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين، وهو أرض إسرائيل.

ـ إيثار الصفة العنصرية الكامنة في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظ اليهود.

ـ عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة اليهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين بدون ساحل البحر ، مما يمثّل قيدًا تاريخيًا للمطامع التوسعيّة الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي.

ومن هنا اكتسبت لفظة «إسرائيل» في المصطلح السياسي المعاصر دلالة مختلفة تمامًا عن الإسرائيلي قبل الصهيونية، والإسرائيلي في بداوة العبريين الأولى. وهي ظاهرة ما تزال تمثّل مشكلة معقدة جدًا أمام المشرّعين في دولة الصهاينة؛ إذ لا يزالون يتساءلون من هو الإسرائيلي؟.

وسيجدالقارئ في البحث التالي توضيحًا لهذه المشكلة، وما أصدروه من قوانين لحلّها، رغم أنهم لم يتوصلوا إلى الآن إلى حلٍّ نهائي لها.

من هو الإسرائيلي؟

يبدو أن الظروف الدولية قد اضطرت مشرّعي دولة إسرائيل إلى القول بأن الإسرائيلي هو أي شخص توافق دولة الصهيونية على أن يكون من أبنائها، يهوديًا كان أم غير يهودي. وهو تعريف زاد المشكلة تعقيدًا. فالعرب الذين بقوا في وطنهم فلسطين بعد إعلان دولة إسرائيل هناك، كان لا بدّ أن توافق هذه الدولة على أن يكونوا من أبنائها، وكان لابدّ في الوقت نفسه أن تضغط عليهم حتى يغادروها، وأن تتلمس شتى العلل والأسباب لإرهابهم وطردهم وتشريدهم، وأن تتعامل مع كثير ممن تشبث بأرضه منهم وكأنه عدوٌ لا مواطن. وهناك يهود في جميع أنحاء العالم يمثلون الأغلبية العظمى من بني إسرائيل، لم ينزحوا إلى إسرائيل، وهم يتمتعون بحقوق المواطن في بلادهم التي يعيشون فيها، بينما تحرص إسرائيل على إدخالهم في حظيرتها.

ولمواجهة هذا الوضع المعقّد أصدرت الصهيونية قانونين لتنظيم صفة المواطن بما يتفق مع أهدافها:

١ـ قانون العودة، الصادر في ٥ يوليه سنة ١٩٥٠م، وهو يعطي لكل يهودي في العالم حق الهجرة إلى إسرائيل بلا قيد أو شرط، بل إنه ينص في المذكرات التفسيرية الصادرة معه على أن هذه الهجرة ليست حقًا وإنما واجب على اليهود. ويطابق هذا القانون ماورد في إعلان قيام الدولة بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٨م، الذي تسمّيه إسرائيل «وثيقة إعلان إسرائيل»، إذ ينص على أن «الدولة الإسرائيلية ستفتح أبوابها لهجرة اليهود المنتشرين في كافة أنحاء العالم».

٢ـ قانون الجنسية الإسرائيلية الذي أقرّه مجلس النواب الإسرائيلي «الكنيست» في ١٤ إبريل سنة ١٩٥٢م، وأصبح نافذًا منذ ١٤ يوليه من تلك السنة نفسها. وقد عدّ جميع يهود فلسطين مواطنين دون أية قيود. أما الفلسطينيون العرب من سكان البلاد البالغ عددهم حسب الإحصاء الإسرائيلي ـ وهو مزيّف بلا شك ـ ١٧٠ ألف عربي، فقد كان على كل واحد منهم أن يُثبت بالوثائق أنه كان فلسطيني الجنسية قبل ١٤ مايو ١٩٤٨م، تمهيدًا للنظر في منحه الجنسية الإسرائيلية. كما

أن الصهيونية اشترطت شروطًا أخرى لجعل أولئك العرب رعايا للدولة لم تشترطها لليهود؛ في مقدّمتها معرفة اللغة العبرية، وتقديم ما يُثبت أن هذا العربي الفلسطيني لا يحمل أية جنسية أخرى، وهي عراقيل لم تسمح بحق المواطنة إلا لعدد محدود جدًا من العرب، بينما بقيت جماهير كثيرة جدًا منهم محرومة من الحقوق الأساسية للمواطن، بل للإنسان. وبعد سنين طالت فيها المساومات بين أولئك العرب والمغتصب الصهيوني، أصبحوا يعدون في عداد «السكان» المقيمين في بلاد اليهود، أي مواطنين في أدنى درجات المواطنة. وفيما يتصل بمنح الجنسية الإسرائيلية لليهود نجد هذا القانون يكتفي بأن يكون عمر طالب هذه الجنسية ثمانية عشر عامًا، وأن يُقيم في إسرائيل ثلاث سنين يكون قد حصل في أثنائها على حق الإقامة الدائمة، وجعل «الجنسية المزدوجة» مباحة لهم.

ونتيجة للعدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية المجاورة، وضم أقاليم واسعة منها إلى السلطة العسكرية الصهيونية، ازداد عدد العرب الواقعين في تلك الأراضي. ومن ثمّ كثُر وصفهم - حتى في الأوراق الرسمية - بكلمة «فلسطيني» لا «إسرائيلي». ويبدو أن ذلك تمهيد من إسرائيل للسماح بقيام فلسطين عربية يلقون إليها بكل من عندهم من العرب، بعدالتأكد من أن هذه الدولة الفلسطينية لن تمثل خطرًا عسكريًا أو سياسيًا عليهم، ولن تعرقل شيئًا من مشاريعهم المستقبلية.

والخلاصة أن «الإسرائيلي» في مفهوم هذه الدولة هو أولاً وأخيرًا: اليهودي المقيم في إسرائيل، واليهودي المقيم خارج إسرائيل أيضًا، بشرط أن يكون صهيونيًا متمسكًا بالولاء لإسرائيل. وفيما عدا ذلك لا شيء إلا ألفاظًا للتعمية على أبشع صورة من صور العنصرية التي ظهرت في العصر الحديث.

ومع ذلك فإن الدولة الصهيونية عند تطبيق هذين القانونين تواجه مشكلات لا حصر لها، ما تزال تُثير مناقشات حادّة بين الأحزاب الصهيونية حتى الآن. وفي مقدمة ذلك مشكلة الزواج المختلط، ومستقبل الأطفال الذين يولدون من مثل هذا الزواج، فضلاً عن مشكلات الداخلين في الدين اليهودي من غير بني إسرائيل، والخارجين عن هذا الدين منهم، وأتباع بعض الطوائف اليهودية المنشقة كالسامرة والقرّائين مثلاً.

ما معنى لفظ عبري؟

إذا كان ما تقدّم معنا هو ما جرى من تطورات على لفظة إسرائيلي ومدلولها، فما هو مدلول لفظة «عبري».

ترتبط هذه اللفظة في الفكر الإسرائيلي بمعنى عنصري أيضًا، فالروايات المقدسة ترفعها إلى اسم واحد من الأجداد القدامى للساميين، هو عابر، بن شالح، بن أرفكشاد، بن سام، أكثر أبناء نوح خيرًا وبركة. (التكوين١١).

ومثل هذا الاشتقاق الشعبي شائع في تراث الأمم القديمة، وإن كان اليهود هنا قد حاولوا أن يتناسو أن العرب أيضًا هم من أبناء عابر هذا.

فالتوراة تذكر من أبنائه «يقظان» (التكوين ١٠: ٢٥)، وهو المعروف عندنا باسم «قحطان»، الذي تنتمي إليه جميع قبائل العرب الجنوبية في اليمن وحضرموت، وغيرهم. كما أن العرب الشماليين أو «العدنانيين» ينتمون إلى إبراهيم سليل عابر هذا، شأنهم شأن بني إسرائيل. ولكن الفكر الشعبي في تعلّقه بالمأثورات لا يتحرى هذا التدقيق، ولذلك نجد اليهود في انتسابهم لعابر يصرّون على أنهم وحدهم العبريون لا شريك لهم في ذلك. وهكذا يقول «يهودا جور» في معجمه العبري الحديث: «عبري، أي أحد أبناء عابر من أحفاد سام، وعلى الخصوص أحد بني إسرائيل أي المنتمين إلى عنصر العبريين». وهكذا تنبثق العنصرية من الأسطورة مرة أخرى.

وفي بعض مراحل التاريخ اليهودي كانت كلمة عبري تستعمل مرادفة تمامًا لكلمة يهودي. جاء في سفر أرميا ٣٤: ٩: «حتى يطلق كل امرئ عبده وأمته، العبري والعبرية حرّين، فلا يستعبد أحد إنسانًا يهوديًا من إخوته» وقبل ذلك في أيام النبي صموئيل يبدو أن الفلسطينين كانوا يستعملون الاسم «عبري» مرادفًا للاسم إسرائيلي، إذ يقول أحدهم في التحريض على قتل بني إسرائيل: «تشجعوا يا أهل فلسطين، وكونوا رجالاً، حتى لا تُستعبدوا كما استُعبدوا هم لكم. فكونوا رجالاً وقاتلوا»(صموئيل ٤: ٩).

وبعد العودة اليهودية من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، أصبح استعمال اسم «العبريين» مخصصًا بالرعيل الأول من أمة اليهود، أي من أيام يعقوب ويوسف وموسى إلى ما قبل السبي البابلي؛ بينما جرت العادة باستعمال تسمية «اليهود» أو «إسرائيل» للأجيال التي جاءت بعد السبي. وكانت اللغة العبرية قد أوشكت أن تموت في ذاك الوقت، وكانوا يسمونها «لسان عابر».

وفي العصر الحديث نجد كلمة عبري ترتبط على ألسنة اليهود بالمقدسات التراثية القديمة. فبينما يُسمَّى أتباع الشريعة الموسوية «اليهود» وتنظيمهم العنصري الاستعماري «الصهيونية»، ودولتهم «إسرائيل»، نجدهم يحرصون على عبارة «اللغة العبرية»، والثقافة العبرية، والأدب العبري، والجامعة العبرية، والصحافة العبرية.

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن ارتباط لفظة عبري باسم عابر أحد أحفاد سام ليس إلا اشتقاقًا شعبيًا، فما آراء العلماء في مصدر هذه التسمية؟

الإسرائيلي هو اليهودي المقيم في إسرائيل، واليهودي المقيم خارج إسرائيل أيضًا، بشرط أن يكون صهيونيًا متمسكًا بالولاء لإسرائيل

حاول بعض الباحثين المحدثين ربطها بلفظة وردت في لوحات تل العمارنة بصعيد مصر، وفي نقوش من دولة الكشيّين التي أعقبت الأسرة البابلية الأولى في العراق، وفي كتابات حثّية من بوغاز كوي بتركيا، وفي وثائق آشورية من حفائر نوزي القريبة من كركوك في شمال العراق. هذه اللفظة هي «حبيرو» أو «خبيرو» القريبة من «عبري».

وأكثر العلماء يتحفظّون في تقرير أن العبري والحبيرو من أصل واحد. إذ يشيرون إلى أن عبري صفة تدل على النسب أو الانتماء بوجود ياء النسبة في آخرها، بينما الحبيرو لا تعني غير المزاملة والمرافقة، فهي قد تدل على مجموعة من الناس تقوم بعمل واحد، أو تقيم في إقليم واحد، دون أن تنتسب بالضرورة إلى أصل واحد. ولذلك يرفض بعض المحققين الصلة بين اللفظتين، ومنهم المستشرق الفرنسي الراحل إدوار دورم.

أما الرأي السائد فهو أن كلمة عبري مشتقة من «العبور» أي الاجتياز من جهة إلى أخرى. ومن هذا الأصل جاءت كلمة العبر، بكسر العين، أي الضفة الأخرى. نقول: «عبر النهر»، وكذلك: «عبر الوادي»، وهو استعمال شائع في كل لغات الساميين: بالعبرية «عبر هانهر» والأكادية: «أبر ناري» بلفظهم الذي لا يُثبت حروف الحلق وكذلك «أبرتي ناري»، والآرامية «عبر نهرا»، وجاء مثل ذلك في النقوش العربية الجنوبية القديمة أيضًا.

وكان الساميون قديمًا إذا قالوا: «عبر النهر» دون أن يذكروا اسم هذه النهر، يقصدون به الفرات دون غيره. وقد عبر يعقوب الفرات هاربًا من أصهاره في العراق، إذ تقول التوراة: «فهرب هو وكلّ ما كان له، وقام وعبر النهر، وجعله سمته نحو جبل جلعاد»، (التكوين ٣١:٢١). وفي هذه القصة يقوم «لابان» صهر يعقوب بمطاردته حتى يدركه في بادية الشام، فيتفقان على الانفصال: «وقال لابان ليعقوب: «إن هذا الحجر، وهذا النصب، اللذين وضعتهما بيني وبينك، يشهدان أنني لا أعبر هذا الحجر إليك. وأنت لاتعبر هذا الحجر، وهذا النصب نحوي للعدوان»، (التكوين ٣١: ٥١، ٥٢) ولهذا السبب يميل الباحثون إلى اعتبار رحلة يعقوب وعبوره الفرات أساسًا لاسم العبريين، فهم ينتسبون إلى عبر النهر، كما ينتسبون إلى من قام بهذا العبور، وهو يعقوب، الذي سمّي إسرائيل كما أسلفنا(٦).

ويبدو أن عبور يعقوب هذا لم يكن الوحيد من نوعه في التاريخ الإسرائيلي، فمما لا شك فيه أن الراوية المقدس وهو يتحدث عن سيدنا إبراهيم، جدّ يعقوب، وعن خروجه من العراق أيضًا، ومن أور الكلدانيين نحو أرض كنعان، قد تصور أنه عبر النهر وهو كذلك نحو بادية الشام. والواقع أن العبور من العراق إلى الشام ومن الشام إلى العراق لم يكن أمرًا غريبًا على أولئك الساميين، بل كان طريقًا طبيعيًا لقوافلهم وهجراتهم، كما تشهد به النقوش المسمارية والكنعانية المختلفة، بل كما تشهد به أسماء مواضع كثيرة واقعة على هذا الطريق(٧).

وهناك عبور آخر لعلّه أعجب من عبور الفرات، وهو عبور موسى بني إسرائيل من وجه فرعون، واجتيازهم البحر، واندحار فرعون وجنوده، وغرقهم في هذا البحر. فهذا العبور المعجز، الفذّ، المقترن بكثير من البطولات، بقيادة مؤسس الشريعة اليهودية نفسه، موسى عليه السلام، يبدو لنا أولى بانتماء اليهود إليه، وهم من نعلم من الحرص على تسجيل مثل تلك المفاخر. ورواية التوراة تجعل موسى نفسه أول من تغنّى بهذا العبور، وما اقترن به من انتصار على فرعون: «وحينئذ أنشد موسى وبنو إسرائيل هذه القصيدة للرب، قائلين: أغنّي للرب الذي تمجّد بالجلال، فرمى الفرس وراكبه في البحر... سمعت الأمم فارتعدت واستولى الرعب على أهل فلسطين. وقتها خاف قادة أدوم، وجبابرة مؤاب أخذتهم الرجفة، وارتعش كلّ سكان كنعان، نزل عليهم الذعر والهلع، فأصبحوا بقوة ذراعك بُكمًا كالحجارة، حتى يعبر شعبك يا ربّ، حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته» (الخروج١٥).

فمثل هذا الموقف في عقليات الأقدمين أولى بالافتخار به والانتماء إليه من الانتماء إلى عبور رجل خائف هارب من أصهاره. وقد يتساءل بعض المدققين: كيف يسوغ ذلك بينما بنو إسرائيل كانوا يسمّون العبريين قبل عبور موسى؛ كما جاء في سفر الخروج عند الحديث عن نشأة موسى في مصر قبل خروجه مع قومه: «وإذا برجل مصري يضرب رجلاً عبريًا»، (الخروج ٢: ١١)، بل في طفولة موسى نجد بنت فرعون تقول عنه: «هذا من أولاد العبريين»، (الخروج ٢: ٦)، بل قبل مولد موسى تتحدث التوراة عن «المولدات العبريات»، ولكننا نعلم أن أقدم مدارس رواية التوراة إنما كانت بعد موسى بقرون طويلة ـ حوالي سبعة قرون ـ وفي هذا الوقت كانت لفظة عبري قد اتخذت دلالة مقدسة بالأسلاف، ومهما كان هذا الارتباط خرافيًا فلا يقوم عليه دليل. فليس عجيبًا أن نجد اللغويين اليهود المعاصرين يفسرون هذه الكلمة تفسيرًا عنصريًا أيضًا، فيقول أبراهام بن شوشان مثلاً في شرح هذه اللفظة في معجمه العبري الحديث: «عبري أي إسرائيلي، يهودي من نسل إبراهيم وإسحق ويعقوب».

الهوامش:

١ـ التلمود البابلي، عبوده زارة، ١٠/ب ـ تعنيت، ٣/ب ـ مدراش يلقوط على سفر زكريا ١٩٦٩م.

٢ـ لفظة شخص العربية تقابلها في اللغات الأوربية ألفاظ من الأصل اللاتيني PERSON وأصل معناها في اللاتينية القناع الذي كان الممثل يضعه على وجهه للأداء المسرحي، وكان هذا القناع يحمل الملامح المميزة للشخصية التي يقوم الممثل بأداء دورها. ثم استعملت اللفظة عندهم بمعنى المميزات الشخصية في المظهر والأخلاق، واستُعملت أيضًا بمعنى شخص. ويرى علماء فقه اللغة اللاتينية أن لفظة PERSONA هذه أصلها يوناني مع تحريف شعبي في النطق. والأصل اليوناني هو PROSWPON ومن هذه الأصول القديمة اشتق الأوربيون أيضًا اللفظة التي تعني الشخصية، بالفرنسية مثلاً PERSONALITE وفسروها بأنها مجموع الصفات الجسمية والخلقية التي تميز الشخص من غيره. وفي الاستعمال المحدث عندهم تدل الشخصية على الوجيه من الناس والوجهاء، وكما هو الشأن في تطور دلالتها عندنا في العربية.

EUGENE BENOIST ET HERNI GEOLZER, NOUVEA DICTIONNAIRE LATIN - FRANCAIS; GARNIER FRERES PARIS, 1936.

PAUL GUERIN DICTIONNAIRE DES DICTIONNAIRES TOME; PARIS.

٣ـ الجزء الأول من التفاسير والكتب والرسائل، لربينو سعديا جاون بن يوسف الفيومي، أخرجها وصحّحها صحة جماعة من علماء: الفقير المفتقر إلى رحمة ربه يوسف ديرينبورج، تفسير التوراة بالعربية، باريس ١٩٨٣م. صحيفة ٥١.

٤ـ جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم، (مجلدان). ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم، مراجعة الدكتور حسن ظاظا ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الأول ١٩٧٢م ، والثاني ١٩٧٤م، ج١ ص٣٦٤ وما بعدها.

5 - WILHELM GESENIUS UND ARAMISCHES HANDWORTERBUCH UBER DAS ALRE TESTAMENT BEARBEITET VON DR., FRANTS BUHL; LEIPZING; 1921- 17 AUFLAGE.

٦ـ الدكتور حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم ـ دار المعارف بمصر ١٩٧١م، ص٦٧ وما بعدها.

٧ـ «ويبدو من نزول شيوخ العبريين الأول، وعلى رأسهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إلى فلسطين لم يكن له أثر سياسي يذكر، فقد ظلوا كما كانوا بدوًا رُحّلاً يعيشون على هامش المدن والبلدان الفلسطينية التي كان يسكنها أهل البلاد الأصليين، من فلسطين (تسميهم التوراة فلشتيم) وكنعانيين وأموريين وحثيين وحويين وأمونيين .. إلخ» المرجع السابق صحيفة ٧٤.

حقائق لا أساطير:

مواقف من حياة الملك عبدالعزيز



مصطفى محمد مقبول حلاوة

لقد احتوت بطون الكتب التي تناولت سيرة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وتاريخه كثيراً من الطرائف النادرة، صدرت عنه، أو أوردها عنه بعض رجاله، وبخاصة المقربين منه.

والمتابع لسيرة الملك عبدالعزيز لا يكاد يصدق: هل هو أمام قصة حقيقية لملك حقيقي بدأت قصته مع مطلع هذا القرن (العشرين)؟! أم أمام زعيم أسطوري عاش في الأزمنة الغابرة؟ لقد بدأ نجم جلالته يسطع منذ أن كان شاباً يافعاً مع مطلع هذا القرن، ولم يكد ينتصف القرن حتى غدا من أعظم رجالات العالم في عصره، يخطب وده القاصي والداني من زعماء العالم وملوكه ورؤسائه من أمثال: روزفلت، وترومان، وتشرشل، والملك فاروق.. وغيرهم.

لقد بدأت مملكته بفتح الرياض عام ١٩٠٢م مع أقل القليل من العتاد والرجال، ولم تمض سنوات قليلة حتى استطاع أن يوسع ملكه، وأن يوحد - ولأول مرة - أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة تحت مسمى «المملكة العربية السعودية»، وبين هذا وذاك حدث الكثير من المواقف والحوادث النادرة التي لا يعرف عنها الكثير، والتي تمتلئ بها بطون الكتب، والتي في إبرازها ما يلقي مزيداً من الضوء على بعض الجوانب من شخصيته الفذة، وكذلك الصفات الحميدة التي كان جلالته يتحلى بها، والتي قلما تجتمع في رئيس أو زعيم من زعماء هذا العصر.

ولعل السبب في هذا كان ناشئاً عن نشأته البدوية المتواضعة التي لا تعرف غير الشجاعة والكرم، والصدق والوفاء..، وثانيهما ورعه، وتقواه، وتحليه بروح الإسلام، والعمل بشريعته السمحة؛ وقد عبر عن ذلك في إحدى خطبه فقال: «أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء»(١). ولعل في استعراض بعض المواقف والحوادث النادرة ما يؤكد ما يتميز به الملك عبدالعزيز من صفات قيادية وخصال نبيلة.

ورعه وثقته بالله

كان جلالته - رحمه الله - ورعاً متأدباً بآداب الإسلام، فقد كان من عادته كل صباح ومساء أن يرتل ما تيسر له من القرآن الكريم، كما كان يستمع يومياً إلى قارئ يقرأ قسماً من التفاسير المعتبرة، وبعضاً من كتب الحديث والفقه والتاريخ ليأخذ العبر من حوادث الزمان الخالية، فضلاً عن ثقته الكبيرة بالله، وإيمانه به الذي لا حد له. (الغلامي٣١٩)

ومما يروى عنه من هذا القبيل ما قاله يوسف ياسين(٢): سمعت الملك يقول عدة مرات: «إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم، فإن أعدّ المسلمون والعرب آلة واحدة من آلات الحرب، أعدّ أعداؤهم مئات وألوفاً، ولكن قوة واحدة إذا أعدها المسلمون والعرب لا يمكن لأعدائهم أن يأتوا بمثلها هي إيمانهم بالله، وثقتهم به، هذه هي القوة التي لا قبل لأحد بها. (الزركلي ٣٢٩، الغلامي ٣١٩).

ويروي عنه في موضع آخر فيقول: سمعت جلالته يحدث وليّ العهد قبل أخذ البيعة بولاية العهد فيقول له: يا سعود! ربّي أحب إليّ من نفسي، وعلي مراعاته، ولا تطمئن نفسي لتسليمك ولاية الأمر إلا بعد أن أرى أنك عقدت عقداً بينك وبين ربك، لا تكفيني منك المظاهر الدينية، بل يهمني أن أراك حالفته في خلواتك، وتضرعت إليه في لياليك. (الزركلي ٢٩ - ٣٣٠).

ويروي عنه أحد ضباط القصر فيقول: «رأيت الملك عبدالعزيز في الهزيع الأخير من الليل عند صلاة الفجر يتمسك بأستار الكعبة ويدعو الله قائلاً: اللهم إن كان في هذا الملك خير لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي. (المرجع السابق ٣٣٤).

أما الزركلي(٣) فيقول في كتابه، ص١٦٩: «بينما كان عبدالعزيز يحاصر جدة جاءه من أخبره أن الشريف علياً (ابن الحسين) قد جهز طائرة بمدفع رشاش، واحتفل أهل جدة بتجريبها، وليس في معسكر عبدالعزيز يومئذ ما يعصم من غارات الجو.. ولا مدافع مضاده للطائرات، ولامخابئ فقال: يكفينا الله شرها! وجاءت الطائرة، وحلقت فوق الخيام بينما كان مَنْ في الخيام ينظرون، وحامت حول أكبر سرادق في المخيم حيث يجلس عبدالعزيز وخاصته، وكان الوقت قبيل الظهر، ومن في الطائرة يرى من في الأرض بالعين المجردة، وكان مع قائد الطائرة قنبلتين من اللواتي تقذف باليد، وأحكم قائد الطائرة استهداف السرادق، ولكن كانت عناية الله تحفظ عبدالعزيز، فإذا القنبلة تنفجر في الطائرة، وإذا النار تشتعل فيها، وتهوي إلى الأرض، وتصبح ومن فيها كومة من الرماد أمام خيمة عبدالعزيز.

كما يروي عبدالحميد الخطيب(٤) في كتابه «الإمام العادل» (٢/٥٠ - ٥١) فيقول: عندما كنت بالرياض زرت مدرسة الأمراء في يوم الخميس ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥هـ، وكان مديرها إذ ذاك السيد أحمد العربي أحد أصدقائي، فوجدت أحد أبناء الملك الصغار يبكي، فقال له مدير المدرسة: ما يبكيك؟ فقال: إن أخاه فلاناً أدخله أبوه (الملك) السمط (يعني السجن) لأنه لم يصلّ الصبح مع الجماعة، وقد فهمت من المدير المذكور أن جلالته حريص على ملازمة أبنائه للجماعة من صغرهم، حتى إنه ليسجن من يتخلف منهم عن ذلك، وكذلك أفراد الشعب حتى لقد درج أهل الرياض قاطبة على أن يتخذوا لهم في كل مسجد سجلاً تذكر فيه أسماء أهل الحي، فمن كان حاضراً وقت الصلاة عرف، ومن لوحظ أنه تخلف عن الاشتراك في الجماعة فرضين أو ثلاثة أرسل إليه من يسأله عن صحته، فإن كان مريضاً عاده الناس، وإن كان صحيحاً متكاسلاً عن إجابة داعي الصلاة شكوه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإيقاع الجزاء اللازم عليه.

كما يروى أن جلالته كان يوقع بخطه على الصور التي يهديها بعبارة: «الواثق بالودود عبدالعزيز السعود» (الزركلي ٣٥٢).

بره بوالده

البرّ بالوالدين من أهم ما دعا إليه الإسلام، وقد قرنه الله عز وجل بالإيمان به في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: *وقضى ربك ألاّ تعبدُوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحسانًا*. **الإسراء:**٢٣. ومن أجل هذا كان جلالته - رحمه الله - يتقرب إلى الله بحب والده، ويبالغ في توقيره واحترامه، ويحرص على خدمته بنفسه طمعًا في سعادة الدنيا والآخرة، ولقد ضرب في هذا أروع الأمثلة للناس. من هذه الأمثلة ما رواه الخطيب: أن جلالته عندما فتح الرياض بسيفه وبطولته الفائقة، لم يفكر في أن يختص نفسه بالملك، بل اعتبر نفسه عاملاً من عمال والده، ولذلك بادر فأرسل له من يستدعيه، وأجلسه على دست الحكم، وحرص أن يدخل عليه السرور باستعادته لعرشه الضائع، فلم يكن من الوالد العظيم إلا أن تنازل عنه بقوله: «إن ملكًا أسسته بسيفك لأنت أحق به مني»، ولقد تردد جلالته في ذلك ولم يقبله إلا نزولاً على واجب الطاعة لوالده، وبعد أن وعده والده بتوجيهه إلى الخير وبذل النصيحة له في كل وقت، وظل في الحكم بعد ذلك لا يصدر أمرًا، ولا يقضي قضاءً إلا وفق ما يأمر به والده حتى مات. (الخطيب ٢/٤٩).

ويروي الزركلي (ص٣٦٨) لما استقرت الأمور للملك عبدالعزيز في الحجاز حضر والده الإمام عبدالرحمن بن فيصل من الرياض ليؤدي فريضة الحج، فدخل المسجد الحرام يطوف ومعه ابنه عبدالعزيز، وكان الأب قد جاوز المئة من العمر، ضعيفًا، لا يقوى على المشي من التعب، فأدركه الإعياء فهبط على الأرض بعد ثلاثة أشواط من الطّواف، فما كان من ابنه عبدالعزيز إلاأن حمله على مرأى من الناس جميعًا، وأتم به بقية الأشواط، ولم ير في ذلك غضاضة عليه، وكان في وسعه أن يصدر الأوامر إلى خدمه وعبيده بأن يحملوا أباه على أكف الراحة، ولكنه لم يفعل.

ويروي شاهد عيان فيقول: أذكر يومًا عُدنا فيه من مكة إلى الرياض في ركاب الملك عبدالعزيز بعد أن أدى فيها فريضةالحج، وكان الإمام عبدالرحمن حيّا فوصلنا إلى مكان يدعى (مرات) فبعث عبدالعزيز يستأذن أباه في دخول المدينة، وعين الوقت الذي يمكن أن يصل فيه إلى الرياض، وفي صباح اليوم التالي مشى حتى بلغ سور المدينة قبل الميعاد الذي حدّده بخمس وأربعين دقيقة، فلم يشأ أن يدخل المدينة حتى يستأذن أباه مرة أخرى، ثم قصد بيت أبيه فجلس في فناء الدار ما يقرب من عشر دقائق حتى جاء الخادم وأخبره بإذن والده له في الدخول عليه، فدخل، وقبل رأس أبيه، وجلس على الأرض، ووالده على أريكة ويد عبدالعزيز على ركبة أبيه، يقول الشاهد: لم يكن عبدالعزيز في ذلك الوقت ملكًا، وإنما كان في مظهر المتأدب، المخلص، والمطيع. (الزركلي ٣٦٦، الغلامي ٣٢٠).

ويروى كذلك أن جلالته كان كثيرًا ما يساعد أباه على امتطاء صهوة الجواد عندما يهم بالركوب عليه فيرفع رجليه بيديه رغم كثرة العبيد والخدم، وأنه إذا دخل مجلس والده مشى إليه، ولثم يده إجلالاً، وجلس في آخر المجلس احترامًا، فإذا طلب والده طلبًا كان أول من يخف إلى تبليغ الأمر لمن يجب إبلاغه. (الغلامي ٣٢٠).

شجاعته وقوة تحمله

كما كان جلالته شجاعًا صبورًا وبطلاً مغوارًا، فكان يتقدم الجموع أثناء القتال، رابط الجأش، بسّام المحيا، وكثيرًا ما شوهد في وسط المعامع يحصد الأعداء، يلقي الرعب في نفوسهم، ويبث بإقدامه هذا روح الحماسة في رجاله فيقتدون به، ويستبسلون في الحرب. ومما وقع له، ويدل على قوة تحمل فائقة، ورباطة جأش خارقة، أنه حارب مرة ويده معلقه في عنقه، وأنه أصيب في معركة برصاص فشقت بطنه وتدلت أمعاؤه، ولكنه لم يتأخر بل شد بطنه بحزام، وواصل القتال حتى تم له النصر، وكانت آثار تلك الإصابات ظاهرة في جسده وأصابع يده (الغلامي ٣٣١).

ومما يروى عنه أيضًا في هذا المجال ماذكره الدكتور رشاد فرعون(٥) فقال: «أردت يومًا أن أخرج رصاصتين استقرتا في بطن الملك عبدالعزيز أثناء إحدى المعارك فأتيت بالمخدر لأحقنه به، فقال لي: ما هذا؟ فقلت: البنج! فقال: البنج ماذا تنوي أن تفعل؟ قلت: بعد ذلك أشق بالمبضع جلد البطن في موضع الرصاصة وأخرج الرصاص، ثم أخيط الجلد، فطلب مني المبضع وتناوله بيده، وشق مواضع الرصاص، وأخرج الرصاصتين، ثم قال لي: الآن تستطيع خياطة الجرح، ولا تحتاج معي إلى بنج..وهكذا لقد كان - رحمه الله - شجاعًا، قويًا، أقوى من الألم ذاته! (الزركلي ٣٣٤).

بشاشته وحبه للنكتة

وكان - رحمه الله - باش الوجه يكره العبوس، ويحب النكتة ويضحك لها إذا جاءت في وقتها، وكثيرًا ما كان يتخلل أحاديثه مع رجال السياسة مثل يضربه لنكتة فيه، أو بيت شعر يتمثل به، فيتحول المجلس من تجهم وعبوس إلى حركة ونشاط وبشاشة.

ومن أمثلة ذلك ما رواه الزركلي (ص ١٨٩) فقال: سمعته مرة يقول في مجلس دبلوماسي - وكان الحديث عن حلف أوربي يضم دولة لا تتفق أهدافها مع الآخرين - يروى أن حية فرّت من عدو لها فلقيت إنسانًا فتضرعت إليه أن تختبئ في جوفه، فرّق لها فدخلت في أمعائه، فلما مر عدوّها وأمنت، خيرت الإنسان في الميتة التي يفضلها: أتعضه فيتألم ويموت؟ أم تنفث فيه سمّها فيفقد الحياة؟ فذكرها بإحسانه إليها، وإيوائه لها فقالت: أنسيت عداءنا القديم من عهد آدم؟ فقال: هذا جزاء من يجعل عدوه في قلبه.

ويقول عنه أيضًا في موضع آخر: وسمعته مرة يتنادر على بعض الأطباء فيقول: ثلاثة لا تناقشهم: الغريب، والهرم، والطبيب، فالأول يحدثك بالعجائب، فإذا عارضته قال رأيت ذلك في بعض أسفاري، والثاني: يأتيك بما لا يرضاه العقل ويقول: كان هذا في أيام صباي، والثالث: يسمي لك أمراضًا ليست فيك، ويقول: قرأت هذا في المدرسة. (المرجع السابق ١٨٩).

ومن طريف برقياته أنه أبرق إليه معتمده في القاهرة بأن فاروقًا (ملك مصر) ولدت له ابنة، وقد هنأه جميع الملوك إلا جلالته، وتلقى المعتمد البرقية التالية: من جلالته بالجفر: لم يسبق أن هنينا أحدًا بولاية ابنة له، ولم نسمع بمثل هذه العادة! (المرجع السابق ٢١٨).

كرمه

الكرم من السجايا المحمودة قديمًا وحديثًا، والملك عبدالعزيز اشتهر بالجود في حاليه كليهما: ضيق ذات اليد، وعهد اليسر. وكان كرمه هذا مضرب الأمثال، فقد فاق كرمه في كثير من الحالات حد المألوف، إلاّ أنه كان صادرًا عن حكمة، ورأي حصيف، وشغف متناه بعمل الخير.

يروى عن كرمه الشيء الكثير. مّن ذلك ما رواه عنه حافظ وهبة(٦) فقال: ربما كان عدد ضيوف جلالته الدائمين لا يقل عن خمسمئة كل يوم، وقد يبلغ نحو عشرة آلاف أحيانًا تمتلئ بهم بيوت الرياض وبطحاؤها، تأتيهم الذبائح من القصر حيثما كانوا. ومن العجيب أنه كان لا يؤمن بأنه كريم. قال يومًا لبعض جلسائه : يقول الناس إنني كريم، وما أنا بكريم.. إنني أعطي حين يجب العطاء وأمنع حين يجب المنع، وهو بهذه الكلمة يضيف إلى الكرم العقل ووضع الشيء في موضعه. (الزركلي ٣٦٤).

وروي عنه أيضًا: أنه كان في أسفاره البعيدة حين يتنقل بين القبائل يحمل كيسين: أحدهما للنقود الفضة، والثاني للنقود الذهبية، وذات يوم أقبل على سيارته أعرابي هرم فمد الملك يده يريد كيس الفضة، وأخرج قبضته فكانت من كيس الذهب، وبعد طرفة عين من التردد دفعها إليه، ولاحظ أنه أعمى فقال له: ترى اللي أخذته ذهب.. لا يضحكوا عليك. والتفت إلى من كان خلفه في السيارة وقال: سبحان الله! أردت أن أعطيه بعض (الأريل) ودخلت يدي في كيس الذهب فلما أخذت منه راودتني نفسي أن أرده وآخذ من كيس الفضة، ولكنني قلت: هل تكون يدي أكرم مني. (المرجع السابق).

ومما يروى عن كرمه أيضًا: أنه شكا إليه رجل مضايقة الدائنين له، وأن عليه مئة جنية ذهبًا، وطلب من جلالته المساعدة بسدادها، فأمر جلالته أن يحقق عن مقدار الدين، فثبت أنه مئة جنيه كما قال، فكتب الملك بخطه على الطلب بإعطائه مئة جنيه، ولكنه تغلب عليه الكرم فكتب ثلاثة أصفار بدلاً عن صفرين (يعني ألف جنيه)، ولما وصل الأمر إلى مدير مال الخاصة الملكية (ابن شلهوب) لاحظ ذلك الغلط، فذهب إلى جلالته لتصحيح الغلط الملحوظ فما كان من جلالته إلا أن قال: ليس القلم بأكرم مني! اصرفوا له ما قسمه الله له، فأعطي الرجل الألف جنيه، فأخذها وانصرف داعيا. (الغلامي ٣٤٢، الخطيب٧٣).

ويروى عنه أيضًا: أن امرأة عجوزًا استوقفت جلالته مرة في الطريق وقالت له: يا عبدالعزيز! أسأل الله أن يعطيك في آخرتك كما أعطاك في دنياك، فسر

مواقف من حياة الملك عبدالعزيز

لهذه الدعوة أعظم سرور، وأمر أن يعطى لها كل ما لديه في السياره، فإذا بها عشرة أكياس، كل كيس خمسمئة ريال، فلما أعطيت لها عجزت المرأة عن حملها، فأمر لها بذلول (ناقة) تحمل عليها هذا المبلغ، كما أمر لها بخادم يوصلها إلى منزلها في قلب الصحراء (الغلامي ٣٤٢، الخطيب ٧٢) ويروى أن بعض الناس قالو له: إنك تعطي كثيراً فلو اقتصدت؟ فقال: إن الله عودني عادة أن يتفضل عليَّ، وعودت عباده عادة أن أوسِّع عليهم، فأخاف أن أقطع عادتي فيقطع الله عادته عني، وأنا لن ابني قصراً، ولن اشتري مزرعة، كل ما يرد أنفقه على المسلمين، وهذا حق لهم (الزركلي ٣٢٨).

ومن المعروف أنه كان لجلالته قاعدة متبعة في مكة عندما يكون فيها بموسم الحج، وهي إقامة مأدبة كبرى في قصره لأكابر الحجاج من مختلف الألوان والأجناس، وكان يخطب فيهم، ويقع له مع أهل الرأي والحصافة منهم آراء قيمة في التآخي، وتوحيد الكلمة. (الغلامي ٣٢٦).

والجدير بالذكر أن ما خلفه جلالته يوم وفاته، وحينما لقي ربه لم يكن شيئًا يذكر، فلم يجدوا عنده سوى ثلاثمئة جنيه ذهبًا، وزعت صدقة عليه، ولم يرث أحد أبنائه وزوجاته شيئًا حتى ملابسه بيعت في السوق، وأدخل ثمنها في بيت مال المسلمين. (المرجع السابق ٣٢٨).

عدله

كما كان - يرحمه الله - حريصًا على توخي العدل بين الرعية، لا فرق عنده بين أمير أو حقير، أو صغير أو كبير عملاً بتعاليم الإسلام، وبقوله: صلى الله عليه وسلم: عدل يوم أفضل من عبادة ستين سنة(كنز العمال٦/١٤٦٢٣)، ولا عجب في ذلك فقد بنى حكمه على أساس تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، وساس في ضوء هذه التعاليم الغراء رعيته بالحكمة والروية، والعدل، والمساواة بينها في الحقوق، كان ذلك من مفاخر حكمه التي لا تحصى.

وقد روي عن عدله الكثير، من ذلك ما رواه العقاد في كتابه (ص٦٤- ٦٥) فقال: جاء أحد المقاولين متظلمًا أمام جلالته من أحد الأمراء من أبنائه لأن له أرضًا تجاور الأمير، وأقام الأمير على أرضه قصراً في غيابه (أي المقاول) فجار على جزء من قطعة أرضه، وسمع جلالته الشكوى فاستدعى الأمير وسأله عن الواقعة، فذكر أنها حدثت دون قصد منه، وأن عمال البناء هم الذين فعلوا ذلك. وهنا نطق ابن سعود - الملك العادل - فقال: يخير الشاكي بين هدم عمارة الأمير حتى يسترد أرضه من تحتها، أو ينال أربعة أمثال ثمن القطعة مع التعويض المناسب من مال ولدنا الذي اعتدى على أرضه. وافق الرجل على قبول الثمن والتعويض، ودعا للملك بثواب الآخرة.

تواضعه

وكان جلالته جمّ التواضع، بسيطًا، لا يباهي، ولا يفاخر، يستقبل زائريه بثغر باسم ولطف ودعة، ويحادثهم بعذوبة. ومن صور تواضعه أنه كان لا يأبه كثيراً بالمظاهر ولا بالألقاب، فقد كان معظم من ينادونه ينادونه باسمه مجردًا، أو بلقب الإمام أو أبي تركي، ومنهم من كان يخاطبه بكلمة «يا طويل العمر» (الغلامي ٣٢٦)، وكثيراً ما عبر عن ذلك جلالته في أكثر من خطبة، من ذلك قوله: إننا لا يهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا (من خطبته في المدينة في ١٢/١١/١٣٤٦هـ).

وثمة صور أخرى تدل على تواضعه رواها عنه الكاتب المصري إمام أبو شنب فقال: شاهدت بعيني رأسي أعرابيًا قزمًا يدخل على جلالته ويريد تقبيله في جبينه، فلما لم يستطع لقصر قامته، وطول الملك أمسك برأس جلالته، وقربها إليه قائلاً: كيف أنت يا عبدالعزيز؟ (الزركلي ١٨٨).

كما يحدثنا محمد سرور الصبان(٧) عن صورة أخرى من صور تواضعه فيقول: «إن جلالته وصل يومًا من جدة إلى مكة، ووقفت سيارته على باب القصر، ولم تحضر عربة اليد التي كان يركبها من السيارة إلى الباب، فتحامل على نفسه، ونزل من السيارة، ومشى الهوينى، وأهل جدة يمشون وراءه حتى وصل إلى باب البهو، وكنت واقفًا بجانب طريقه، ورآني مبتسمًا فقال لي: ما لك تضحك؟ لأنني مسرور، قال: لماذا؟ قلت لأني رأيت جلالتك تمشي على قدميك، ورآك الناس، وأدركوا أنك بخير ولله الحمد، ظهر السرور على وجه الملك فأمسك بيدي وقال: اجلس عندي، وأمر أهل جدة بأن يدخلوا ويتعشوا، وجلست إلى جانبه فقال لي: إنني فكرت كيف تكون حالتي بعد ظهور عدم وجود العربة؟ أيحملني الناس؟ وهذا أمر لا يليق.. أم ماذا أفعل؟ ومن ثم تحاملت على نفسي ومشيت بكلفة كما تراني، ولكني متأثر. (الزركلي ٣٣١).

حكمته وقوة حجته

كما كان جلالته - رحمه الله - حكيمًا، ذكيًا، قوي الحجة، يتمتع بملكة نادرة تعينه على إقناع المعارضين على اختلاف درجاتهم من المعرفة والذكاء، فإن أجدى الدليل والبرهان في إفهامهم وتجلية الحقائق في أذهانهم،فذلك ما يبتغيه جلالته، ويسعى إليه، وإن أصروا على العناد فهناك ما يجدي وهو الحزم والبأس، فهما يفعلان ما يفعله البرهان. وذلك ما حدث عندما اعترض بعض المحافظين المتشددين، وأنكروا على جلالته استماعه للراديو، واستعانته باللاسلكي والتليفون ظنًا منهم أن بها شياطين تنقل الحديث، كما أنكروا استخدام السيارات كوسيلة من وسائل المواصلات، ومع ذلك فقد رأى جلالته - تلطفًا منه لعلمه أنهم إنما فعلوا ذلك لحرصهم على العقيدة ، ولعدم معرفتهم بهذه المخترعات من قبل - أن يطمئنهم ويزيل شكوكهم فسألهم: هل تجدون في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ما يمنعنا أن ننتفع بالمخترعات الحديثة، والسير على سنن التقدم والحضارة؟ فأجاب بعضهم من أهل الرأي: كلا! ولا حرج في ذلك. فقال: هل الشيطان يطيق كلام الله؟ فأجابوا بالنفي، فقال إذن اسمعوا... وفتح الراديو فإذا يذاع منه القرآن الكريم بصوت رخيم، ثم أمر أحد أتباعه بأن يسمع المعترضين في التليفون بعض آي الذكر الحكيم ففعل... فدهشوا، وأيقنوا بأن هذا العمل الذي ينقل القرآن الكريم لا يمكن أن يكون سحراً، أو من عمل الشيطان. (العقاد ٦٣ - ٦٤، ٧٤).

ويروي العقاد لنا أيضًا صورة أخرى فيقول: إن حديثنا دار في مجلس الملك عبدالعزيز وهم متجهون من جدة إلى السويس على يخت المحروسة، وكان الحديث عن جامعة الدول العربية، فقال الملك: إنها منار لنا لأنها تصدر في أعمالها عن بحوث مشتركة بين ذوي الرأي والبصيرة، يرون في جملتهم ما لا يراه أهل كل بلد على انفراد، وإنها دريئة للدولة العربية لأن حجة الدولة التي تحتج بقرار الجامعة قائمة، وعذرها فيما ترضاه أو تأباه مقبول. يقول العقاد: وشفع جلالته هذا البيان بمثل بليغ كعادته في توضيح آرائه بالمواعظ والأمثال فقال: كان في مملكة من الممالك «منار مغناطيس» يكشف البحار من حولها، وينتزع الحديد من السفن التي تغير عليها فلا يقدر أحد على فتحها، واشتدت شوكة هذه المملكة فحسدها جيرانها، وأخذوا في تدبير المكايد لهدم منارها فدسوا عليها جاسوساً من جواسيسهم يتزيا بزي النساك الصالحين، ثم تركوه يقيم فيها ردحًا من الزمن حتى يستجمع الثقة والمودة من أبنائها، وبعد أن تم له ذلك جاءهم في يوم من الأيام برؤيا يزعم أنه رآها، ويزعم لهم أنه يخاف عقباها، وسألوه عما يخافه، فأحجم ثم أحجم، وهو يغريهم بالإلحاح كلما اصطنع لهم الإحجام وتردد في الجواب، فلما شوقهم غاية التشويق قال لهم: إني مطلعكم عليه والعهدة عليكم، وإن تحت المنار كنزًا من الذهب والجوهر يغنيكم عما في الأرض وما رحبت من النفائس والخيرات، ولكن لا تنالوه إلا بهدم المنار، ولكن حذار حذار! من الإقدام على هدم المنار. وكان الرجل كاذبًا في نية التحذير هذه، صادقًا في نية الإغراء. فما هو إلاّ أن سمعوا منه إغراءه بالنفائس والخيرات حتى دكّوا المنار، فادركوا غفلتهم، واستبيحت حوزتهم ، وفقدوا الدريئة، وفقدوا النور فتمكن منهم من كان يتقيهم من الجيران والأعداء.. ثم قال جلالته: وكل عربي يمس هذا المنار (يعني الجامعة العربية) طمعًا في المال والحطام إنما يصيب قومه بمثل ما أصاب أولئك الغافلين (الزركلي ٦ - ٣٠٧).

وثمة صورة أخرى من صور حكمته وقوة حجته يرويها العقاد أيضًا (ص٧٤).

فيقول جاءت امرأة إلى مجلس جلالته وهي ممسكة بتلابيب رجل من البادية، وطلبت منه أن يحكم لها بقتل الرجل لأنه قتل زوجها، ويتّم أطفالها، فسألها جلالته عن القصة فقالت: إن زوجي كان ينام تحت نخلة في العراء، وكان هذا الرجل يجني الثمر منها فسقط عليه وهو نائم فقتله. قال الملك: ولكنه لم يقصد قتله. قالت الزوجه: لا أبالي قصد أم لم يقصد المهم أنه قتل زوجي فأصبحت

مواقف من حياة الملك عبدالعزيز

أيمًا لا عائل لي بفعل هذا الرجل القاتل فلا مناص من القصاص. فصمت الملك قليلاً حتى تفتق ذهنه عن فتوى تقنع المرأة وتحفظ حدود العدل ولا تجور بالقصاص على غريمها المسكين فقال لها جلالته: حسن ما تطلبين! يعامل القاتل بمثل عمله فاصعدي أنت صاحبة الحق في الدم على تلك النخلة التي سقط منها، واسقطي عليه كما سقط على زوجك واقتليه.

عفوه وتسامحه

كما كان جلالته معروفًا بعفوه وتسامحه عند المقدرة، وكانت هذه الصفة ملازمة له منذ فجر حياته فلم يشذ عنها حتى توفاه الله، كما لم يأخذ بسياسة الثأر والتنكيل بالخصوم والأعداء لسببين، أولهما: عملاً بقوله تعالى: وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ. التغابن: ١٤. وثانيًا: لأنه جبل على عدم حمل الحقد في نفسه لأحد ما، وكان من كلماته الخالدة لخصومه إذا وقعوا في يده عاهدوني على الإخلاص لله، والعمل على سعادة المسلمين، وأما شخصي فدعوه جانبًا. (الخطيب، ص٦٥) وقد عفا جلالته عن أناس كثيرين كانوا قد ناصبوه العداء مدة طويلة، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما فعله مع أهل حائل، فبعد أن استولى عليها، ووجد سكانها قد أضرت بهم حالة الحرب والحصار، وأن الجوع قد عضهم بنابه، أمر بإرسال الأقوات إليهم في الحال فأغاثهم وجبر صدعهم، وأعاد الطمأنينة إلى نفوسهم بعد أن كانوا قبل أمد قصير يناضلونه ويحاربونه. (الغلامي ٣٣٦).

وكذلك ما فعله مع الأمراء من آل رشيد فقد عفا عنهم عفوًا عامًا، وعاملهم معاملة حسنة، تجلت فيها شهامته، وطغت عليهم مروءته، وبدلاً من أن يأخذ بثأره منهم فتح لهم أبواب عاصمته الرياض، وغمرهم بالحب والعطاء، وأسكنهم أحسن القصور، وأجرى عليهم المال الكثير، وأمر أن يتعلم أولادهم في المدارس التي يتعلم فيها أبناؤه، كما كان يجالسهم على الدوام، ويبادلهم الرأي، ويسأل عن رغباتهم ويأمر بتحقيقها فورًا، بل والأكثر من هذا فقد مزج أسرتهم في أسرته فاقترن بزوجة منهم. (المرجع السابق ٣٣٦، الخطيب ٦٥).

وكذلك عفوه عن بعض أحفاد الشريف عون (أمير مكة في العهد العثماني) وهما: الشريف حسن، والشريف عبدالحميد اللذين طلبا الحضور إلى الحجاز لإدارة شؤون أملاكهم الخاصة فيها، فأذن لهما جلالته، وأكرم مثواهما، فأخذا يتصلان برجال البادية للقيام بثورة داخلية لقلب نظام الحكم، وقتل الملك، ولما علم جلالته بأمرهما أمر بإحضارهما إلى الرياض، ولما مثلا بين يديه أنّبهما، ثم عفا عنهما، وأمر لهما بجوائز قيمة، ثم أعادهما إلى مصر مكرمين محترمين. (الغلامي ٣٣٣).

وفاؤه

كما كان - رحمه الله - يتحلى بصفة الوفاء، فقد كان محبًا لأصدقائه القدماء، وفيًا معهم، مخلصًا لأولئك الذين وقفوا إلى جانبه، أو قدموا له معروفًا في يوم من الأيام.

ومن أمثلة وفائه: أنه كان يومًا راكبًا سيارته في الرياض فلمح في الطريق شيخًا كبير السن، فأوقف السيارة، ونادى على ذلك الشيخ وقال له: ألست فلانًا؟ أتذكر يوم أضفتني في قريتك وأنا عائد من إحدى المعارك؟ فأجاب الرجل بالإيجاب، فناوله جلالته كيسًا كان بجواره مملوءًا نقودًا، وصرفه بتحية جميلة. ومن الجدير بالذكر أن ضيافة ذلك الشيخ التي أشار إليه جلالته قد حدثت قبل تلك الملاقاة باثنين وأربعين عامًا. (الغلامي ٣٢٩).

وثمة رواية أخرى تدل على وفائه، أنه لما وصل إلى الكويت زائرًا سمع أن معلمًا له كان يقرأ عليه القرآن في أيام طفولته موجود بها، فاستدعاه ولاطفه، ومنحه ثلاثة آلاف روبية. (الزركلي١٨٨).

ويروى أيضًا أن قحطانيًا دعا جلالته لزيارته في قريته الواقعة بين الدوادمي وعفيف في طريقه إلى الحج، فوعده جلالته بهذه الزيارة، وحرص عليها، فما كان من القحطاني إلا أن ذبح لجلالته كل ما يملك من الغنم وكانت تبلغ عشرة ومئة رأس، فلما علم جلالته بذلك أمر له في مقابل كل رأس غنم بعشرة رؤوس أي ألف ومئة رأس مضيفًا إلى ذلك ثلاثين ألف ريال. (الغلامي ٣٤٠، الخطيب ٧٥).

توقيره للعلم والعلماء

كان لعلماء الدين عند جلالته المقام الأول، فقد كان يقدمهم على إخوانه، وأبنائه، وكبار جلسائه، ويصغي إلى آرائهم، ويبالغ في إكرامهم. وقد عودّهم إذا بدا له أمر ورأوا فيه النصيحة أن يجتمعوا فيما بينهم، ويكتبوا له كتابًا يذيلونه بتوقيعاتهم، ثم يحضروا لمقابلته، أو يكلفوا واحدًا منهم لعرضه عليه بالنيابة عنهم، فيرى فيه رأيه.

وثمة صورة يرويها لنا أحمد علي عن توقير جلالته للعلم والمتعلمين فيقول: قام جلالته بزيارة مفاجئة لمدرسة الأمراء في الرياض، ودخل إحدى غرف التدريس فاجتمع حول التلاميذ من أطفال آل سعود، ولاحظ جلالته في ثوب أحدهم بقعة كبيرة من الحبر يحاول إخفاءها عن نظر أبيه، فقال له: لا تخفها، هذا عطر المتعلمين. (الزركلي ٣٣٣).

وبعد، فإن المواقف والأحداث التي تبدو كالأساطير، حقائق تؤكد أن ماحققه الملك عبدالعزيز من إنجاز حضاري غير مسبوق في هذا القرن، تمثّل في قيام هذا الكيان الكبير، لم يكن من قبيل المصادفة، وإنما توافرت له صفات وخصال أهلته لتسجيل اسمه بأحرف من نور بين زعماء العالم وقادته العظماء عبر التاريخ.

الهوامش:

١- من كلمة جلالته في مأدبة العشاء الملكية المقامة لكبار الحجاج بمكة في ١٣٥١/١٢/٥هـ. الغلامي، ص٣٧١.

٢- يوسف ياسين: وزير دولة، وسكرتير خاص الملك (ت: ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م).

٣- الزركلي (خير الدين) وزير مفوض، ومندوب دائم لدى جامعة الدول العربية، ثم سفير في المغرب، فسفير بوزارة الخارجية.

٤- الخطيب (عبدالحميد) وزير مفوض في باكستان، أعفي لمرضه. توفي في دمشق.

٥- رشاد فرعون: طبيب خاص الملك، فوزير مفوض في مدريد، فباريس، فوزير للصحة، فسفير في باريس. فالمستشار الملكي الخاص في الرياض.

٦- حافظ وهبة: وزير مفوض، فسفير في لندن، وأحيل إلى التقاعد، توفي في سورية سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٧- محمد سرور الصبان: رائد الأدب العربي الحديث في الحجاز، من كبار رجال المال والأعمال - عين وزيرًا للمالية بعد وفاة الملك عبدالعزيز، فأمينًا لرابطة العالم الإسلامي، توفي بمصر سنة ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.

المراجع:

الخطيب، عبدالحميد. الإمام العادل: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. مج٢. القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

الزركلي، خير الدين. الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز. ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

العقاد، عباس محمود. مع عاهل الجزيرة العربية. بيروت، المكتبة العصرية، [د.ت].

الغلامي، عبدالمنعم. الملك الراشد جلالة المغفورله عبدالعزيز آل سعود. ط٢، الرياض. دار اللواء. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ المتقي الهندي، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

قراءة في كتاب: لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية

عبدالله بن حمد الحقيل

هذا الكتــاب يعـد في تاريـخنا التـربوي مـن الوثائق المهمـة في تسجيل الأوضـاع التعليمـية في هذه المرحلة المبكـرة من تاريخ التـــعليم في المـملكة، حـيـث يرسم الأحداث التي عاشها وعاصرها وكان مشاركا في صنع العديد منها، مما يعطي الكتاب أهميته المتميزة.

فأما مؤلف الكتاب فإنه الشيـخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله، وهو مـن الرواد الذين أسهموا في خدمـة المسيـرة التعليـميـة التي عاشـتهـا المملكة العربـية السعـودية، وقد ولد الشيخ عـبدالعزيـز وتوفي في مدينة الرياض (١٣٣٦-١٤١١هـ)، وأمــا طبـاعـة الـكتـاب فكانت في عام ١٤١٢هـ ويقع في ٢٧٩ صفحة.

افتتح الكتـاب بمقدمـة كتبهـا ابنه مـعالي الـدكتور عـبدالرحـمن بن عبـدالعزيز آل الشيخ بقول موجـز عن موضـوع الكتاب، وأنه «يطرح عـرضا عن التـعليم في بلادنا ليـأخـذك معـه المؤلف في رحلة يطلعك من خـلالهـا على التعليم في بلادنـا منذ نشأته حتـى وصل إلى المرحلة الحـاليـة. وقـصـة التـعليم هذه التي بين يديك بطلهـا خـادم الحـرمين الشريفين الملـك فهد بن عـبدالعزيز، بطلهـا منذ أن كان أول وزير للمـعارف، وكان والدي معـاونه ومساعده حـينما كان وكيـلا لوزارة المعارف، ثم وزيرا لها، فانطلقت حركة التعليم علـى الأسس السليمة والرؤية الواضحة والغايات النبيلة، فـتحقق الهـدف تلو الهدف لينتشـر التعليم في ربوع البلاد وأرجـائها الواسعـة انتشارا عظيـما يحدو الجـميع نية صـالحة ورغبة أكـيدة لا تزعزعـها الصعاب ولا المعوقات إلخ..»

وتأتي بعد ذلك مقـدمة المؤلف التي افتتحـها بقوله: «هذه سطور كتبـتها عن التعليم في المملكة العربية السعودية تلبيـة لرغبة بعض الإخوة مثلما كتبت عن القـضاء لأنـي قد عـايشت التـعليم في هذه المملكة وواكـبته من خـلال عـملي وكيـلا لوزارة المعـارف مع أول وزير لهـا هو خادم الحـرمين الشـريفين الملك فهـد بن عبدالعـزيز، ثم وزيرا بعد ذلك للوزارة نفـسها اطلعت خـلالها على أحـوال التـعليم منذ أن نشـأ نشـأته الحـديثـة في هذه البـلاد التي قـامت وتأسـست وتوحـدت على يد الملك عـبـدالعـزيز - يرحـمـه الله -، الذي اهتم بالتعليم أيما اهتمام. وقد ألمحت إلى بدايات التـعليم في عهده حيث انتشر عن طريق مـديرية المعارف العـمومـية ومـاأنجزته في هذا المجـال، وأخيـرًا في عهـد وزارة المعارف وماحصل لـه من تطور وتحديث ونهضة شاملة وقيـاسية تميزت بالدراسة والتمـحيص، وأدت إلى إرساء قواعد التعليم. واعـتمدت في تدوين هذه المعلومـات على الذاكـرة حـينـا ومـا تجـمع وتوافـر لـدي من وثائق عن التعليم».

ويأتي هذا الـكتـاب واحــدا من الكتـب التي تناولت قــضــايا التــعليم ومـسيـرته، ويعـد من الكتب القليلة فـي هذا المجال فـقـد عايش مـؤلفـه تلك الانطلاقة التعليمية في المملكة من مـوقع المسؤولية، واطلع على أحوال التعليم وعـاصر أحـداثه، وذلك من خلال مـشـاركتـه في صنع السيـاسـة التعليـمـيـة والإشراف على تنفيذها. ولقـد تحدث المؤلف عن البدايات الأولى للتعليم في المملكة على يد المؤسس المـلك عبـدالعزيز الذي كـان يهتـم بالتعليم اهتـمامـا شـخصيـا، ويوليـه عناية خاصـة، وسـاق المؤلف في هذا المجال بعض الأمـثلة والشواهد ومنها اختيـار الملك عبدالعزيز للشيخ عبـدالله بن حسن آل الشيخ، والد الشيخ عـبدالعزيز مقـرئا ومفتيـا وواعظا في مجلسه، وإمامـه للصلاة في الإقامة والسفر. وأيضا زيارة الملك عبدالعزيز لمدرسة الفلاح والمدرسة الفخرية عام (١٣٤٤هـ) أي بعد دخوله مكة بسنة واحدة، وتبرعه لكل من المدرستين بدعم سـخي. وأخيـرًا صـدور المرسوم الملكي الخـاص بقـيام جـهاز (مـديرية المعارف) وفي عقبـها قيام جهاز (مجلس المعـارف) حرصًا منه على أن يكون التـعليم دعامـة لدولته، فقـد فتح جـلالته بقـيام هذين الجـهازين باب التـعليم الحديث والمنظم في المملكة. ونستعرض فيما يلي جوانب من صلب الكتاب:

مديرية المعارف ومجلس المعارف

كان هدف الملك عـبدالعزيز - يرحـمه الله - من إنشاء مـديرية المعارف، نشر العلوم والمعارف بأنواعهـا المختلفة ومـستوياتهـا المتعددة، بمـا فيهـا التعليم الفني والتـدريب المهـني، وكـذلك افـتتـاح المـدارس والمعـاهد لنشـر التـعليم

والتوسع فيه، مع تأكيد الحفاظ على أصول الدين، حيث جاء (تأسيس مديرية المعارف العمومية) في غرة رمضان من عام ١٣٤٤هـ، وبعدها بسنتين صدر المرسوم الملكي رقم ٨ وتاريخ ٢٧ من المحرم عام ١٣٤٦هـ بإنشاء مجلس المعارف، وحددت لكل من الجهازين الأهداف والاختصاصات اللازمة، وأصبح مجلس المعارف الذي يمثل أعلى سلطة تعليمية في البلاد بما يملك من صلاحيات، مسؤولا عن وضع السياسات التعليمية. ونعرض فيما يلي بعض إنجازات مديرية المعارف ومجلسها التعليمي.

معتمديات المعارف

افتتحت مديرية المعارف في المملكة فروعا لها ترتبط بها وتتولى بدورها الإشراف على التعليم في المناطق والمدن التي تقوم بها المدارس الحكومية الحديثة، وفق تعليمات محددة ومناهج موحدة، سميت هذه الفروع مندوبيات أو (معتمديات).

المدارس التحضيرية والأميرية

كانت تسبق المرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، تقبل الأطفال في عمر ست سنوات، ويدرسون بها المواد الدينية والعربية والاجتماعيات ولغة أجنبية. وفي عام ١٣٥٨هـ تقرر إلغاء المرحلة المذكورة، والاكتفاء بالمرحلة الابتدائية وجعلها المرحلة الدراسية الأولى، وقد جعلت مدة الدراسة بها ست سنوات بعد أن كانت أربعًا، وصدر بعد ذلك نظام سميت بموجبه مدارس هذه المرحلة «المدارس الأميرية»، ونشر هذا النظام في جريدة أم القرى بتاريخ ١٣٥٩/١/١٨هـ، ويتكون من ٢٠٣ مواد.

المدارس الابتدائية

حلت محل المدارس التحضيرية، وحرصت مديرية المعارف على انتشارها في كل مدن المملكة، وأخذ عددها يتضاعف سنة بعد أخرى، حتى أصبح عددها عام ١٣٧٣هـ، وهو العام الأول لوزارة المعارف ٢٦٦مدرسة، بعد أن كان عددها أربع مدارس فقط قبل العهد السعودي، وهذه الزيادة تعبر عن نهضة تعليمية واسعة، على الرغم من قلة الإمكانات المالية في ذلك الوقت.

التعليم الثانوي

طرأ على التعليم الثانوي مع المرحلة المتوسطة مثل ماطرأ على التعليم الابتدائي مع المرحلة التحضيرية من تجارب الفصل والدمج حتى استقر الأمر على الاكتفاء بالمرحلة الابتدائية واعتبار المرحلة المتوسطة تمهيدا للمرحلة الثانوية، وقد أقامت مديرية المعارف منذ قيامها إلى إنشاء وزارة المعارف ١٣ مدرسة لما بعد المرحلة الابتدائية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف والأحساء وأبها.

المعهد العلمي السعودي

كان الغرض من إنشائه تخريج مدرسين للمدارس الابتدائية التي كانت تعاني نقصًا في المدرسين يحول دون التوسع في هذه المدارس. تم افتتاحه لأول مرة بمكة في غرة رجب من عام ١٣٤٥هـ، وتعرض المعهد لعدة تطورات تتعلق بالمناهج ومدة الدراسة، حتى استقر الحال على أن تكون مدة الدراسة أربع سنوات، وزيد فيها قسم للقضاء لمدة سنتين إضافيتين حسب رغبة الملك عبدالعزيز، ويدرس الطلاب فيه العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والرياضيات والتربية وعلم النفس. ولما نجحت تجربة المعهد أنشأت مديرية المعارف فرعًا له في عنيزة كما ألحق بالمعهد عام (١٣٥٤هـ) قسم لإعداد معلمين للمدارس الثانوية، وتم في عام (١٣٦٣هـ) إيفاد مجموعة من خريجي المعهد في بعثة للدراسة في الجامعات المصرية.

مدرسة تحضير البعثات

كان الهدف من إنشاء هذه المدرسة هو إعداد مجموعات من الجامعيين الدارسين لعلوم الطب، والهندسة، والكيميا، وطبقات الأرض (الجيولوجيا)، والآليات (الميكانيكا)، والآداب وغيرها، وذلك بإيفادهم للدراسة في الخارج، لعدم توافر هذه التخصصات بالمملكة في وقتها، ثم العودة ليتولى من يرغب منهم العمل بالتدريس في المدارس الثانوية لمواجهة التوسع فيها، أو يتولى من يرغب منهم العمل في الدوائر الحكومية، للإسهام في النهوض بها وتطويرها فنيًا وإداريًا.

وقد تم افتتاح مدارس تحضير البعثات في السابع من شهر محرم ١٣٥٦هـ باقتراح من مديرية المعارف وتأييد الملك عبدالعزيز ودعمه، واستقدمت لها المديرية لفيفا من المدرسين الأكفياء. وكانت مناهج هذه المدرسة تناسب الدراسة في جامعات الدول التي سيوفد إليها هولاء الطلاب، كما كانت الدراسة بالمدرسة لمدة ست سنوات حسب آخر تعديل أجري عليها، وكانت المدرسة تقبل الطلاب المتخرجين في المعهد العلمي السعودي، وأخيرًا توسعت لتقبل خريجي المرحلة الابتدائية.

مدرسة دار التوحيد بالطائف

في عام ١٣٦٢هـ أنشئت مدرسة طيبة الثانوية في كل من المدينة المنورة وجدة، أما مدرسة دار التوحيد فقد تأسست في الطائف عام ١٣٦٤هـ بتوجيه خاص من الملك عبدالعزيز بقصد تخريج قضاة للمحاكم بعد حركة الإصلاح القضائي التي أنيطت بالشيخ عبدالله ابن حسن آل الشيخ (والد المؤلف)، واختير لهذه المدرسة أكفأ المدرسين في العلوم الشرعية، واللغة العربية وآدابها وعلوم القرآن بالإضافة إلى الرياضيات والعلوم الاجتماعية، وتكفلت الدولة لطلاب المدرسة بالسكن والإعاشة ونفقات الدراسة، وقد خرجت جمعًا من العلماء والأدباء أغنوا الحركة العلمية والأدبية بالمملكة. ولقد كنت واحدًا ممن التحق بالدراسة بها عام ١٣٧١هـ.

المعاهد والكليات العلمية

كان افتتاح المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٠هـ بداية التعليم الثانوي الحكومي في منطقة نجد، وقد عهد إلى سماحة الشيخ محمد

كان هدف الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - من إنشاء مديرية المعارف نشر العلوم والمعارف بأنواعها المختلفة ومستوياتها المتعددة بما فيها التعليم الفني والتدريب المهني

ابن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة ليتولى الإشراف على هذا المعهد ووضع مناهجه من العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وفي عام ١٣٧٣هـ أنشئت كلية الشريعة ثم تبعتها كلية اللغة العربية عام ١٣٧٤هـ.

وبتزايد المعاهد العلمية وقيام كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض دعت الحاجة إلى قيام (الإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية) بهدف تنظيمها والإشراف عليها، وقد تولى الإشراف عليها أيضا سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ومن هذه المعاهد والكليات قامت فيما بعد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمرسوم الملكي رقم م/٥٠ وتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٢هـ.

التعليم الأهلي

حظيت مكة المكرمة وبعدها المدينة المنورة بأكبر عدد من المدارس الأهلية، ويرى المؤلف أن سبب انتشار التعليم الأهلي هناك يرجع إلى مقاومة الأهالي لسياسة التتريك التي حاول المتعصبون من الأتراك فرضها على الولايات التي آلت إليهم عن طريق التعليم، حيث قاطع الأهالي المدارس التركية في حينها مما دفع الغيورين إلى التفكير في فتح المدارس الأهلية التي تدرس باللغة العربية متجاوزين بذلك الصعوبات المادية والإدارية.

وقد بقيت هذه المدارس قائمة حتى قيام العهد السعودي، مثل المدرسة الصولتية، ودار الفائزين، ومدرسة الفلاح، وقد مرت الإشارة إلى أن الملك عبدالعزيز قد تولى هذه المدارس الأهلية بعنايته ورعايته، وذلك بصدد الحديث عن زيارته - يرحمه الله - لبعض تلك المدارس أول عهده في مكة، وخصها بدعمه، ثم واصل الدعم للتعليم الأهلي ومدارسه.

ويعرب الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ هنا عن اهتمام مديرية المعارف بالإشراف على المدارس الأهلية شأنها شأن المدارس الحكومية حتى يسير التعليم في المملكة وفق خطة دراسية واحدة ونظرية تعليمية موحدة، وقد بيّن المؤلف الشيخ عبدالعزيز إلى أن من أهم إنجازات المديرية في هذا المجال:

- إصدار قرار بعدم جواز ممارسة التعليم الأهلي إلا بموافقة مديرية المعارف، وكان ذلك بمجرد قيامها عام ١٣٤٤هـ.
- إصدار نظام خاص بالمدارس الأهلية عام ١٣٥٧هـ يتضمن ٢٥ مادة تشمل شروط الموافقة على فتح المدارس الأهلية في المملكة.

لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية

نظام البعثات

بدأ الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - يرسل الطلبة للدراسة في الخارج على حساب الدولة بدءاً من عام ١٣٤٦هـ وهو وقت مبكر، وقد دفعه إلى ذلك حاجة البلاد إلى الأطباء والمهندسين والأساتذة والباحثين وغيرهم، من ذوي التخصصات التي لم تكن متوافرة في المملكة في هذه الفترة، وكان الابتعاث في حينه هو البديل المختار عن إنشاء كلية جامعية لهذه التخصصات.

لذا قامت مديرية المعارف بإصدار نظام البعثات عام ١٣٥٥هـ ويتكون من ٣٢ مادة تحدد شروط الابتعاث، وتضع قواعده وضوابطه، وفي العام نفسه أنشئت مدرسة تحضير البعثات كما سبقت الإشارة، وذلك لإعداد المبتعثين.

الأنظمة والمناهج

بادر العهد السعودي إلى وضع الأنظمة التعليمية والمناهج الدراسية، ويرى المؤلف أنها، وإن جاءت في أول أمرها على صفة من العمومية، وغلب عليها الطابع التقريري أكثر من الطابع الفني والتعليمي، كانت بداية طيبة وخطوة موفقة تبعتها خطوات أخرى تناولت تلك الأنظمة بالتحديث والتطوير، ففي أول اجتماع لمجلس المعارف تم تشكيله عام ١٣٤٥هـ عني بوضع (نظام التعليم)، فصدر نظام المدارس بقرار مجلس الشورى رقم ١٤٦ وتاريخ ١٣ رجب عام ١٣٤٧هـ، ثم تتابع صدور الأنظمة مثل نظام المدارس الأهلية ونظام البعثات وسبقت الإشارة إلى كل منهما بالإضافة إلى صدور (نظام المناهج الدراسية للمستويين الابتدائي والثانوي).

بداية التعليم العالي

أشار المؤلف إلى أن التعليم العالي بدأ في الرياض بافتتاح كلية الشريعة عام ١٣٧٣هـ، وكلية اللغة العربية عام ١٣٧٤هـ، وذلك بصدد الحديث عن التعليم العالي وتطوره. كما أشار إلى أن التعليم العالي كان قد بدأ قبل ذلك بافتتاح (كلية الشريعة) في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ بتوجيه كريم من الملك عبدالعزيز إلى مدير المعارف لدراسة إمكانية فتح كلية للشريعة يكون الغرض من قيامها تخريج معلمين للمدارس الثانوية وقضاة للمحاكم وتكون الدراسة بها لمدة أربع سنوات يدرس الطالب خلالها العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ثم التربية وعلم النفس. وظلت هذه الكلية التي كانت بداية التعليم العالي في المملكة تؤدي رسالتها التعليمية إلى أن تم إلحاقها أخيراً بجامعة الملك عبدالعزيز.

وفي عام ١٣٧٢هـ تأسست في مكة المكرمة أيضا كلية المعلمين، وذلك للإسهام مع كلية الشريعة في إمداد المدارس الثانوية بالمعلمين، ويدرس الطالب فيها علوم اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية بالإضافة إلى دراسة العلوم الدينية ولمدة أربع سنوات دراسية كذلك.

فهد بن عبدالعزيز أول وزير للمعارف

تم تأسيس وزارة المعارف بموجب المرسوم الملكي الصادر عن الملك سعود يرحمه الله بتاريخ ١٣٧٣/٣/١٨هـ واختيار الأمير فهد بن عبدالعزيز وزيراً لها لكي يبدأ مرحلة جديدة من التطور بعد مرحلة سابقة أدت فيها مديرية المعارف دورها في حدود الظروف والإمكانات التي كانت متاحة.

وبعد حوالي ثلاثة أشهر من تأسيس الوزارة المذكورة صدر أمر ملكي آخر يقضي بتعيين الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ «مؤلف الكتاب» وكيلا لوزارة المعارف. وقد استمر الأمير فهد وزيراً للمعارف حتى عام ١٣٨٠هـ، ولمدة سبع سنوات، حيث تم تعيين الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وزيراً للمعارف، واستمر فيها حتى عام ١٣٨١هـ لمدة عامين.

ويؤكد الشيخ عبدالعزيز هنا أن ماحققته وزارة المعارف في عهد وزيرها الأول يعد نهضة تعليمية شاملة بكل المعايير، شملت المدارس والمنهج والمؤسسة التعليمية، فأهلت المعلم ورفعت مستوى أدائه، وارتقت بالتعليم وأكملت مراحله، وعقدت المؤتمرات، واهتمت بالتخصصات، وخططت للمستقبل ومايحتاج إليه من أنواع التعليم ومستوياته، فأوجدت التعليم الثانوي والجامعي ثم العالي في فترة قياسية.

لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية

وقد أمر الأمير الوزير بوضع برنامج زمني لتنفيذ توصيات مؤتمر التعليم مدته خمس سنوات، وكان من حصيلة هذا المؤتمر وخطته الخمسية النتائج التالية:

في التعليم الابتدائي

زيادة عدد المدارس بواقع مئة مدرسة كل سنة من سنوات الخطة تصاحبها زيادة في عدد الطلاب بواقع عشرة آلاف طالب سنويًا، وتبع ذلك بالطبع زيادة في شاغلي الوظائف التعليمية من معلمين وموجهين وإداريين، وبالتالي زيادة في المستلزمات التعليمية والتجهيزات المدرسية.

في التعليم مابعد الابتدائي

أصبح التعليم مابعد الابتدائي (المتوسط) متنوعا وموجها توجيها قائمًا على أسس واعتبارات تجمع بين تحقيق مصلحة الطالب وتلبية احتياجات البلاد، ونتيجة لهذا التوجيه انشأت الوزارة عدداً من المدارس الفنية والمهنية: تجارية وصناعية وزراعية حتى يكون الاختيار متاحًا للطالب بعد نهاية المرحلة الابتدائية بين التوجه إلى التعلم النظري أو المهني.

في معاهد إعداد المعلمين

بدأت وزارة المعارف افتتاح معاهد المعلمين للمرحلة الابتدائية عام ١٣٧٣هـ بعد المرحلة الابتدائية، مدة الدراسة بها ثلاث سنوات زيدت بعد الخطة الخمسية إلى أربع سنوات، وهذه المعاهد سدَّتْ، بعد انتشارها وكثرة خريجيها، نقصا في مدرسي التعليم الابتدائي. هذا بالإضافة إلى افتتاح بعض المعاهد الليلية لإعداد المعلمين للمرحلة الابتدائية أيضا، ولكن لايشترط في القبول بها الحصول على الشهادة الابتدائية. أما ماكان يسمى: مدرسي الضرورة، وهم الذين عملوا في التدريس دون تأهيل في ظروف اضطرارية لسد حاجة المدارس التي أصبحت حاجتها إلى المعلمين أكثر من المتخرجين، فقد عولج وضعهم وذلك بعقد دورات تدريبية لتأهيلهم ورفع مستوى أدائهم.

وقد أتيح لي خلال عملي بوزارة المعارف في السنوات ١٣٨٠-١٣٨٢هـ المشاركة في التدريس بهذه الدورات بمدينة الطائف، ضمن فريق من المعلمين تندبهم وزارة المعارف لهذا الغرض، وكان لهذه الدورات أثر تربوي في التوجيه العلمي والوعي التربوي والثقافي وأوجه النشاط وطرق التدريس والمكتبات والوسائل التعليمية مما يجعل الدارس في هذه الدورات يزداد رصيده العلمي والمسلكي.

جامعة الملك سعود

ويتحدث الشيخ عبدالعزيز عن قيام الجامعة وكيف قامت؟ فيقول: رأى الملك سعود يرحمه الله والأمير فهد وزير المعارف يحفظه الله أن نشر المعارف وتطويرها في المملكة توسيع للدراسة العلمية والأدبية ومسايرة الأمم في العلوم والفنون، وأن كل ذلك يقتضي تأسيس جامعة في المملكة، ولهذا الغرض قام الأمير فهد برفع النظام المقترح لإنشاء الجامعة وعرضه على مجلس الوزراء فأقره، ثم توج المشروع بالموافقة على ذلك بالمرسوم الملكي رقم ١٧ وتاريخ ٢١ من ربيع الآخر عام ١٣٧٧هـ والذي يتضمن بعد الديباجة خمس مواد تقضي بأن ينشأ في المملكة جامعة تسمى (جامعة الملك سعود) وأن يكون وزير المعارف هو الرئيس الأعلى للجامعة، وأن تنشأ الكليات في هذه الجامعة تباعًا حسب الحاجة بعد إنشاء كليتين من كليات الجامعة وكان الوزير هو الذي يحدد العلاقات بين إدارة الجامعة والكليات بعضها ببعض.

تعليم المرأة وقيام الرئاسة العامة لتعليم البنات

في الخامس عشر من شهر المحرم عام ١٣٨٠هـ صدر عن الديوان الملكي البيان التالي: (سبق أن أمر جلالة الملك المعظم بفتح مدارس وتخصيص المال اللازم لهذا الغرض في الموازنة العامة، وحرصا من جلالته على مايؤمن تحقيق هذه الغاية فقد أصدر جلالته التعليمات للجهات المختصة بوجوب الإسراع في تهيئة الترتيبات الكفيلة ببدء الدراسة في مدارس البنات وإنشاء دور للمعلمات بأسرع مايمكن)

على أن يتم تعليم الفتاة السعودية طبقًا لتعاليم الدين الحنيف، فأسند لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - أمر الإشراف على هذه المدارس، وقد شكلت إدارة خاصة لهذا الغرض تتبع سماحته كانت هي النواة الأولى للرئاسة العامة لتعليم البنات.

كما احتوى الكتاب على وثائق مهمة تفيد المؤرخ لهذه المرحلة من حياة التعليم في المملكة حيث وفر كثيراً من الوثائق، منها النظام الأساسي للمعارف الصادر عام ١٣٥٦هـ ومنهج الدراسة في جميع المدارس التحضيرية ونظام المدارس الأميرية ونظام المدارس الأهلية الصادر في عام ١٣٥٧هـ ونظام البعثات ونظام المدارس بتاريخ ٩ شعبان ١٣٤٧هـ. كما أشار إلى العقبات والصعوبات التي وقفت في طريق مسيرة التعليم، واستعرض وسائل مجابهة تلك العقبات لتستمر المسيرة في طريقها ليصل التعليم إلى غاياته ويتطور.

ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب، فهو سفر ثمين كتبه عالم جليل ومرب قدير حيث جمع لنا أشتات تاريخ التعليم ووثائق مهمة في تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، ولوائح منظمة يهم القارئ الاطلاع عليها، حيث نظمها في عقد جميل بأسلوب سهل يجذب القارئ إليه ويبعث في النفس متعة وارتياحا، وهذا مايعطي الكتاب أهميته. ثم هو عمل يستحق ابنه الدكتور عبدالرحمن آل الشيخ الشكر على نشره.

ماحققته وزارة المعارف في عهد وزيرها الأول يعد نهضة تعليمية شاملة بكل المعايير شملت المدارس التعليمية

من أعلام
الفكر المعاصر

محمد عزيز الحبابي

حلقة مضيئة في تاريخ الفكر المعاصر

عبدالوهاب شكري

سيرة ذاتية صاغها صاحبها بنفسه سلوكًا وفكرًا متنورين، وعاش لحظاتها بكشوفها وتجلياتها، تترجمها أحدث مدرسة فكرية عرفت البزوغ على يديه، تمتح من التراث الإنساني وتستمد نسغها من قيم الأصالة الحية. سعى فيلسوفنا محمد عزيز الحبابي إلى تكييفها مع الخصوصية الوطنية والثقافة العربية الإسلامية المتجذرة.

قد يسأل بعض الناس: ما الجدوى من هذه السيرة الذاتية إن لم تكن إنجازًا من صميم الظاهرة الإبداعية؟ وما قيمة المعرفة بتاريخ الأشخاص إن لم يكن التأريخ لها بالأفكار؟ ليست سيرة محمد عزيز الحبابي هذه من قبيل الترجمات العادية التي تقوم على سرد الأطوار والأحداث، وإن جاءت إلى حد ما وفقًا لهذا المنظور، ولكنها مع ذلك تتجاوزه إلى ما هو أعمق من حيث إنها محاولة لتجسيد أبعاد شخصيته الفكرية التي تستعصي على كل تصنيف مع تواضع عزّ نظيره (كذلك النجم الذي يبتعد بآلاف السنين ولكن إشعاعه يمخر عباب السماء ليصل إلينا) فقد شكل الرجل منعطفًا في مسار الثقافة والفكر بمغرب اليوم فلسفيًا وأدبيًا، بحيث كان شخصه حاضرًا بثقله في كلا المشهدين، وبامتياز أيضًا.

هكذا إذن (يقف محمد عزيز الحبابي علمًا شامخًا بين أعلام الفكر العربي المعاصر، فهو ينتمي إلى جيل الرواد الأوائل الذين قدر لهم في الثلاثينيات والأربعينيات في هذا القرن أن يهاجروا إلى فرنسا أو غيرها من دول أوربا قصد دراسة الفلسفة، إلا أنه يتميز من أولئك الرواد بأنه ظل بعد العودة إلى الوطن في بحث دؤوب عن تلك الفلسفة التي رحل في البداية من أجلها إلى خارج الوطن. غير أن مفكرنا في مرحلة البحث عن الذات (عاش تمزقًا عميقًا بين مجتمعين يختلفان في أكثر من جانب، فعانى من ذلك الشعور بالفراغ، وهو شعور دفع به إلى نقيضه: التواصل، وأنه بهذاالتواصل والانفتاح على الآخرين اكتشف ذاته وأصبح يحيا بعمق أبعادًا إنسانية مثل الحب والعطف والتعاطف، أي أبعادًا أصيلة نوعية تربطه بالبيئة البشرية وتجعله في توتر نحو الآخرين بوصفه كائنًا مجتمعيًا يتواصل.

من هنا ارتبطت فلسفة مفكرنا بمفهوم الإنسانية وبأفقها الرحب، وكذا بأصولها التاريخية والحضارية، وهو التزام دفع به إلى الارتواء من ينابيع الثقافة المعاصرة وركوب متن التجربة والمغامرة والإبداع.

رجل فكر وحوار

أن يفكر الرجل لاستبطان أدغال الحقائق وغابات الوجود الكثيفة دليل على أنه موجود وجودًا مضيئًا فاعلاً؛ وهذه ميزة محمد عزيز الحبابي، فهو المشبع بالوجود أصلاً بما يجعل ماهيته تابعة لوجوده، وهو رجل فكر وحوار، وداعية إليهما، (يرغمك على التفكير معه ويفرض عليك النزول إلى حلبة فعل التأمل) وقد يحتدم السجال، ولكنه يحتفظ بطابعه الفكري النزيه. وهو بهذا يسهم في صنع الرأي الحر المعارض ويدفع إليه، بل يزكي استمراره، لأن مفكرنا يحقق من وراء ذلك نفعًا كبيرًا لصالح الثقافة والفكر مهما تكن النتيجة.

من هنا كان الاختلاف في الرأي أحب إليه من التطابق في وجهات النظر. وقد انبثق هذا الموقف من حرصه المتين على الاستقلال الفكري، ورفضه تقديس الأشخاص والأفكار، وكرهه الشديد لكل احتكار للحقيقة (كما كان يرى أن اختلاف الاختيارات

والآراء السياسية لا يحول دون التعامل والتساند بين المثقفين والمبدعين لإرساء أساسات الثقافة الوطنية التي كان الجميع يتطلع إليها ويستشعر ضرورتها)(٣). ثم إن ميزة التحرر والتسامح والاختلاف التي عُرف بها محمد عزيز الحبابي المفكر جعلت نهجه في الحوار والاختلاف مطابقًا لمقولة (فلتير المشهورة): لا أشاركك آراءك ولكني مستعد أن أبذل عمري من أجل أن تعبر عنها وتحياها بحرية).

ولم يكن هذا ليتاح لولا إيمانه العميق والصادق قيمة الخلاف والاختلاف في إنعاش الفكر وغزو الآفاق، ودفاعه المستميت عن العقل والحق في الاجتهاد والتأويل(٤).

منتداه الأسبوعي

عاش محمد عزيز الحبابي مسكونًا بهاجس الفكر والحوار والجدل، لذلك كان يجمع حوله جمهوراً من المثقفين في لقاء أسبوعي ينعقد كل يوم أربعاء بدارة الفكر التي كان بيته يحتضنها في البداية حين سكن الرباط،ثم (ندوة تمارة) بالضاحية الجنوبية للعاصمة حين انتقل إلى هناك.وتتنوع أنشطة هذا اللقاء ما بين ندوات ومحاضرات ومعارض فنية، وموسيقى، وهي جلسات مفتوحة لعامة المثقفين من داخل الوطن أو من خارجه.

وكان كسكس الخميس الشهري (مناسبة طيبة تجمع حول هذه المائدة البسيطة المتواضعة مجموعة من الذين يستطيعون أن يفكروا وهم يأكلون، ويستطيعون أن يفكروا وهم جياع)(٥).

في الكلية

في الكلية كان مثالاً يحتذى في التوجيه والعلاقات والتربية والتكوين. تخرج على يديه أجيال كم هي فخورة اليوم بالانتماء إلى تلك المدرسة الفكرية المشبعة بروح الاختلاف والتجربة والمغامرة الإبداعية، إذ لم تكن دروسه في الفلسفة مجموعة من التعاليم والمعارف القارّة أو المذاهب الجاهزة، كما لم يكن يفرض على طلبته أية سلطة فكرية أو قواعد صارمة وإنما (كان يعلمهم كيف يفكرون في الفلسفة، ولذلك كانت دروسه أفكاراً يعرضها على طلبته يناقشونه فيها ويناقشهم فيها) (٦). وهو بهذا الصنيع (يرنو إلى تحريض العقل على المراجعة والتفكير، وحثه على السؤال والنقد، وإغرائه بالقيام بمغامرة الإبداع والخلق) فلا عجب إذا كان (يخرج سعيداً من الدرس وقد استطاع أن يجعل منهم طلبة علم) (٨). هذه هي الحكمةالتي كان يحث الناس على محبتها والغيرة عليها لا على طريقة المشائين الصارمة المتماسكة، بل على طريقة سقراط العفوية والباعثة على الحيرة والشك.(٩).

ويتطابق منهج عزيز الحبابي في تدريس الفلسفة مع مقولة نتشه في تعريفها: (الفلسفة هي الحياةالحرة في أعالي الجبال والمشي على الثلج).

في الأكاديمية

ظل محمد عزيز الحبابي وفيًا للجدل والحوارالمنفتح، مفطوراً على الصرامة والنزاهة الفكرية، إذ لم يكن يكتفي بالإنصات والاستماع فقط في كل منتدى فكري يحضره، لأن تشبثه بهذه المبادئ كان على الدوام دافعًا له لتحريك السواكن. وفي العديد من تدخلاته أثناء جلسات أكاديمية المملكة المغربية كان هو الذي يعمق النقاش ويثير قضايا للجدل الساخن، وهو يسعى من وراء ذلك إلى أن يضع تقاليد للحوار الأكاديمي القائم على الحركة لا الجمود، مع ما يتيحه احتكاك العقول وتصادمها من توليد للأفكار، وإبراز للمعاني الجليلة.

الفكر ورياضة المشي

وفي رياضة المشي كان محمد عزيز الحبابي رائداً أيضًا على عكس ما يفهمه بعضهم من أن المشي مجرد حركة رياضية وحسب، ولكنه رياضة تجمع بين الفسحة والفكر في آن معًا. (من عادته أن يخصص وقتًا للمشي بالشارع جاعلاً من تلك الفسحة موعداً للقاء الشباب من الطلبة والمعجبين، كأن موكبه هذا أشبه ما يكون بالحوار السقراطي المشائي، لأن حيويته المتدفقة وشغفه بالمناقشة يجعلان من تلك اللقاءات العابرة فرصة لتوليد الأفكار والمشاريع)(١٠).

على أن هناك العديد من صور اللقاء المماثلة تعكس الطابع الفكري المهيمن على السير في موكب فيلسوفنا مشيًا على الأقدام لحظة بلحظة، لمسافة قد تطول وقد تقصر، مثل هذه الصورة التي رسمها أحد رموز الثقافة المغربية المعاصرة وعايشها بنفسه:

(كان السير معه لذيذاً وجميلاً، وكان ممتعاً لأنه يفكر معنا، ويدفع بنا إلى أن نفكر، وكانت المرحلة التي نقطعها من الكليةإلى داره، أو من مكان اجتماع الأكاديمية إلى الفندق مدرسة، كانت فصلاً من فصول الكلية نسير فيها، ونحن نفكر ونناقش ونعرض لأفكار جديدة أحيانًا، طريفة أحيانًا، ولكنها كانت دائمًا كالدكتور الحبابي جليلة دائمًا، وطريفة دائمًا)(١١).

في المجال الثقافي

وفي نطاق الاهتمام بمشروعه الثقافي المستند إلى عديد من القيم والمبادئ الأساسية والمنطلقات الإنسانية، دعا في أوائل الستينيات إلى إنشاء وزارة للثقافة لتقوم بدورها في رعاية الفنون والآداب وإنعاشها، لأنه بفضل الفن وبفضل الأدب سنغير الأشياء ونميز بينها ونقيمها، مما يفتح كل الحجات أمام إنسانيتناويجعلنا من أكرم المخلوقات وأعزها).إذ سيبقى فناننا يغذي الـ«نحن» بـ«أناه» ويثري الـ«نحن»ليصل به إلى الإنسانية القصوى)(١٢).

ولم ينس محمد عزيز الحبابي الإشارة إلى الوضع غير السوي للكتاب والفنانين آنذاك، ودورهم في الحفاظ على الهويةالوطنية، فقد وصفهم بأنهم أشبه بـ (يتامى) يتسكعون في الطرقات يبيعون دم وجوههم بأبخس الأثمان، يسحقون شبابهم وحماستهم وثرواتهم النفسية ليمغربوا أرواحنا)(١٣).

وفي غمرة هذا الاهتمام اضطلع محمد عزيز الحبابي بعدد من المسؤوليات الجسام طوال حياته،فكان أستاذًا وعميدًا ورئيسًا ومؤسسًا لاتحاد كتاب المغرب، ورئيسًا لجمعية الفلسفة بالمغرب، ومنظمًا لأنشطة ثقافية بالاتحاد والجمعية ملتمسًا الجديد في كل إبداع ثقافي، أو سائلاً عن الطريق الذي تسير فيه ميادين معرفية وعلمية وتطبيقية كثيرة كانت تعنون بـ: إلى إين؟(١٤) والحق أن (ما كان يأخذ بتلابيبه هو اكتشاف مسالك جديدة لصناعة الأفكار وأساليب توليدها ومكامن دلالتها الفلسفية والتاريخية)(١٥).

وفي سياق هذا الاهتمام بالفكر والحركات الفنية ودفاعه المستميت عن الثقافة والمثقفين، كان يرى أن الكاتب الحقيقي يجب أن يعطَى حقه من المواطنة، وأن تعطى إليه الفرصة ليلعب دوره (١٦). إذ لا إبداع من دون حرية ولا اعتبار لشخصية الكاتب من دون مواطنة.

الزمن: الحضور المنفلت

ليس القصد هنا أن نتحدث عن إشكالية الإنسان مع الزمن بمفهومه (الموضوعي أو الفيزيائي) ولا الزمن الماضي من منظور فلسفي، ولكن الهدف بالتحديد الزمن المعيش الذي يدخل في نسيج وجود الإنسان كما يحس به ويسري في كيانه، أي ذلك الزمن الذي يشمله ويفرض كثافة في الوعي بحضوره بما هو لحظة انسيابية لا تعلن عن انفلاتها، تجرف حياة المرء فلا ينتبه ويستحيل إيقاف تدفقها، وتتعذر إمكانية تعويض الضائع منها، من هذه الزاوية الضيقة سنرى موقف محمد عزيزالحبابي من الزمن كما يحياه بعض الشباب، فقد كان يشعر بالألم حين يرى شبابًا يتسكع

في الطرقات والمقاهي يعبث بزمنه ويلهو في غير ما مبالاة، ثم هو لا يتردد في أن يطلب منه أن يبيعه وقته، ومفكرنا لا يخفي سرًا حين يصرح للشباب العاطل أن ما لديه هو من الوقت ضئيل جدًا وليس يكفيه لاستيعاب مشاريعه الثقافية والفكريةالتي تلح عليه.

وفي جميع الأحوال فالرجل هنا في خطابه للشباب (يتحدث عن الأشياء بنقيضها) فكان كلما رأى شابًا يضرب في شعاب التيه يقول له: (إذا أردت أن تضيع وقتك خذ واقرأ كتابي هذا)(١٧) وما دام الزمن لا يباع ولا يشترى ولا يقبل التفويت مطلقًا لأن ملكيته لا تؤول إلا إلى الزمن نفسه، وبما أن ضآلة رصيد المفكر منه لا يستجيب لطموحاته كلها، فإن الضرورة تقتضي (أخذ العبرة من دروس الحياة).

رجل التحدي

المعروف عن محمد عزيز الحبابي أنه كان نهاية في الصمود والإصرار، ولايعبأ بمرض أو وهن مهما اشتدت وطأته، وإنما كان يتصدى لهذه الحالة أو تلك من خلال اقتحامه لمعمعة العمل اليومي وتراكماته بصرامته المعهودة، ودلالة الالتزام في هذا النهج واضحة، وهذا ما جعله يرفع راية التحدي ليمارس طقوسه اليومية ككل الناس، ولكن في جو من نكران الذات بمعنوية عالية من غير خضوع أواستسلام لضعف أو مرض بلغ من الحدة ما بلغ.

وهذه الحالة تذكرنا بما كان عليه الجاحظ حين اصطلحت الأضداد على جسده شطرًا طويلاً من حياته، فاضطرإلى ملازمة بيته وقطع فراغه بالكتابة والتأليف وقد ألف في أثناء هذا المرض أشهر كتبه وهو كتاب (الحيوان).

الحبابي فيلسوفًا

ليس من همنا الخوض في فلسفة محمد عزيز الحبابي درسًا أو تحليلاً لمضموناتها لأن هذا موضوع آخر متروك لذوي الاختصاص، ولكن الذي نتوخاه في هذا المقام القيام بإطلالة سطحية على المرتكزات التي قامت عليها هذه الفلسفة كمحاولة متواضعة لاستكمال رسم معالم هذه الشخصية.

لقد عرف نهج محمد عزيز الحبابي في الفلسفة بنظريةالشخصانية الواقعية التي اكتسبت هذا الإطلاق في لحظة من تطورها. والشخصانية في مجملها ذات مقاصد أخلاقية لكونها تروم إنسانية حقة، وتنطلق من الكائن إلى الشخص، ومن المنغلق إلى المنفتح، وتتجاوز الشخصانية الواقعية بالشخص نزعته الفردانية ليأتلف بالآخرين ويتواصل باعتبار التواصل أساس الشخصانية إذ لا بد أن نعدّ المعية قاعدة (للتشخصن): الفرد لا يتجاوز فرديته نحو الشخص إلا مع الآخرين، فهو بطبيعته ألفة تواصل)(١٨).

ويشكل الحب جوهر التواصل في الشخصانية الواقعية، لأنه منبع التجاوز للذات الفردية. وتحاول الشخصانية الواقعية أن تصف لنا الطريق الذي يبدأ من الكائن الذي يتعالى على نفسه وينفي ذاته، ليتحول إلى شخص ثم إلى إنسان، فالكائن هو المعطي الخام الذي يحتوي على كائنات ممكنة لا نهائية، ويشكل إذن (القاعدة التي ترتفع شخصيات الشخص فوقها) هذه الشخصيات التي هي مختلف أنماط كينونة الشخص، لأن الشخصية اتجاه متوتر نحو الشخص الذي هو في جوهره فعالية وسير إلى الأمام)(١٩).

ولما كانت فلسفة محمد عزيزالحبابي (مشروعًا مفتوحًا قابلاً للتغيير) فقد انبثق في أحضانها نظرية جديدة وسمت بنظرية التحرر، ارتبطت بفهوم الشخص من حيث إن التحرر يعد من أبعاد الشخص ومظهر من مظاهر عملية التشخصن)(٢٠).

وفي هذا المسار التطوري الذي رافقت فلسفة محمد عزيز الحبابي ظهرت نظرية (الغدية) أو (الثالثية) التي جعلت أول اهتماماتها احتضان قضايا العالم الثالث، وقد أنشأت لنفسها خط سير عدل بها عن التعامل مع الغيبيات (الميتافيزيقا) في محاولة لتجاوزها من جهة، والانفلات من التبعية للفكر الغربي من جهة أخرى، وهي بهذه الاستقلالية الذاتية تسعى إلى فتح حوار معه تنتفي فيه هيمنةالغرب وإحلال المساواة معه في ظل حضارة للجميع.

الحبابي أديبًا

يرى محمد عزيز الحبابي أن الاشتغال بالفلسفة لا يمنع الانفتاح على الحقل الأدبي، لأن تلاقح الثقافتين من شأنه أن يعمق ثقافة الأديب ويمنحها ثراء خصبًا. والسؤال الذي يُطرح بداية: من الذي جعل مفكرنا كاتبًا كبيرًا بهذا الحجم والصيت؟ هل هو الجلوس على المقعد أم كرسي الدرس أم القلم أم السير في الشارع على عادته المألوفة للتأمل ورصد الظواهر وحتى أدق الجزئيات؟ بجميع هذه الأشياء وغيرها من الأدوات كان كاتبًا لا يمكن مطلقًا أن يفكر في شيء إلا كتبه. وعلى الرغم من أنه كتب في الفلسفة فلم يكن فيلسوفًا فقط، بل إنه أديب إلى جانب كونه فيلسوفًا يتميز بحس جمالي في أسلوبه وكلماته وتداعياته. بالمعيار نفسه تنهض إبداعاته شعرًا أو رواية. ويمتاز هذا الدفق من العطاء بامتزاج الفكر والإبداع في منظومة واحدة يتعايشان فيها جنبًا إلى جنب.

هكذا إذن تتسرب الفلسفة إلى الشعر فتكون إطارًا له، والشعريعانق الفلسفة فينفذ بواسطتها للعقول على أنها إدراكات مباشرة. إن شعر الفلسفة عند الحبابي ضرب من الشيء الذي تحيط به عناية الفكر، إنه المادة الأدبية لمقولات العقل ومنبع الانطلاق)(٢١).

وبناء على هذه الموازنة للغة الشعرعند مفكرنا نقدم عبر الحيز المتبقي صورة تعكس جانبًا من الانشغالات الكبرى تجاه الإنسانية جمعاء كصورة من صور التزام قضاياها وذلك ما تعبر عنه النماذج الآتية:

نموذج(١):

ألحان الإنسانية وحدها تضفي الصدق على أغانيها

نموذج(٢):

شعبنا
شعوبنا
إخوان لنا في العالمين
بهم تزدان أرواحنا
في خطى التاريخ الخطيب
يملؤون الكون اعتزازًا وثقة
تجعل القلب ضميرًا واسعًا

نموذج(٣):

فلتنضب أودية الدموع
ولينقشع سواد الحداد
لنشيد على الأرض
فردوس الوجود
بأغاني الأمل
وبنبل العمل
لقد صح منا اليقين

وجماع القول: أن فيلسوفنا يحاول دائمًا أن يقول بعبقريته الشعرية ما حاول الجدل أن يقوله بعبقريته الفلسفية. إنه بالشعر والفكر (يكشف سر الحقائق الكامنة في قلب الوجود بحاسته المفرطة) (٢٢)، ويجعل من الإنسانية ذلك النشيد الذي يتغنى به في عشق صوفي وحب مكين مشبوب بالحرارة والتوهج وصدق العاطفة.

التداخل الإيقاعي في أوزان الشعر العربي

د. عمر خلوف

الشعر العربي يحمل في أوزانه ذاتها تنوعًا هائلاً، وتباينًا في أشكال موسيقاه بسبب ما يحدثه الزحاف من أثر في ثراء هذه الموسيقا وغناها، ومن تداخل الوزن مع سواه تداخلاً لا يؤثر في إيقاع الوزن باضطراب أو خلل، وهذا التداخل ليس خلطًا بين الأوزان كما يظن بعض الدارسين، وإنما هو نوع من التباين الإيقاعي داخل الوزن الواحد.

وقد أشار العروضيون إلى بعض أشكال هذا التداخل، على أنه نوع من تشابه البحور، فأشاروا إلى تشابه الكامل والرجز، والكامل والسريع، والهزج ومجزوء الوافر كما سنرى.

إلا أن ظاهرة التداخل هذه، تمتدّ في عمْقِ الأوزان، لتشمل - عندنا - معظم بحور الشعر العربي، إنْ لم يكن في تامِّها ففي مجزوءاتها.

ووفقًا للطريقة التي ينتج عنها التداخل، قمنا بتصنيفه إلى ثلاثة أنواع مختلفة هي: التداخل العَرَضي، والتداخل الإنشادي، والتداخل التزاوجي.

أ - التداخل العَرَضي:

وهو أبسط أنواع التداخل الوزني، وأكثرها تواردًا بين البحور، وهو ما أشار العروضيون إلى بعض أشكاله.

فقد يؤدي «الزحاف» أو التغيير العارض الواقع على تفاعيل بحرٍ ما، إلى دخوله ساحة بحرٍ آخر، دون أن يشعر السامع أو القارئ باختلال وزنه، أو اختلاف نغمته، أو نشازٍ في إيقاعه، لأنه دخولٌ سطحيٌّ غير متعمق، لا يتجاوز «المنطقة الحرة» التي يسمح له بعبورها. كما أنه عبور خاطف لا يطول، سرعان ما يعود بعده البحر إلى ساحته. وقلّما يستغرق التداخل شطريْ البيت الواحد، فإذا حصَل؛ نَدَرَ أن يتجاوز الاستغراقُ ذلك البيت إلى الذي يليه.

١- التداخل العرضي بين الكامل والرجز:

يدخل الكامل ساحة الرجز بمجرّد استغراق البديل (متْفاعلن = مستفعلن) جميع تفاعيل الشطر أو البيت. وهو على مستوى الشطر الواحد كثير جدًا، ولكنه على مستوى البيت التام قليل إلى حدٍّ ما.

فمن ذلك مثلاً، قول عنترة العبسي؛ من الكامل:

إني امرؤٌ منْ خيرِ عبْسٍ منصبًا
شطري، وأَحْمي سائري بالمُنصلِ

ومثله من الرجز، قولُ أبي نواس:

لمّا تجلّى اللّيلُ وابيضَّ الأُفُقْ
وانجابَ ستْرُ الليلِ عنْ وجْهِ الطُّرقْ

ومما جاء على الضرب (مفعولن) من الكامل، قول شوقي:

يا ويحهمْ، نَصَبوا منارًا منْ دمٍ
يوحي إلى جيلِ الغدِ البغضاءَ

ومثله من الرجز، قَولُ أَبي نواس أيضًا

يارُبَّ ظبيٍ بمكانٍ خالِ
صبَّحْتُهُ واللّيلُ ذو أهْوالِ

ومن مجزوء الكامل قول الجواهري:

نامي جياعَ الشعبِ نامي
يا درَّةً بينَ الرّكامِ

ومثله من مجزوء الرجز، قول الزركلي

إنْ تجهلوا ما كانَ منـ
ـكمْ فاعرفوا ما كانَ منّا

وغير ذلك كثير جداً.

٢- التداخل العرضي بين الكامل والسريع:

ويتداخل الكامل «الأحذّ» ذو العروض (فعِلن) والضرب (فعِلن أو فعْلن) مع السريع ذي العروض والضرب المماثلين، وذلك عندما

تستغرق (متْفاعلن= مستفعلن) جميع تفاعيل الشطر أو البيت كذلك.

والأبيات التالية؛ تصلح للكامل وللسريع معًا، ولا يُميزها إلاّ موقعها من بقيّة أبيات القصيدة. يقول الشاعر من الكامل:

حتّام تَقضي العمرَ، منتقلاً
في الأرض لا تأوي إلى وَطَنِ
عدْ يا غريبَ الدار إنّ بها
شوقًا لمرأى وجهكَ الحسَنِ

ومثلهما من السريع؛ قولَ ابن عبد ربّه:

ضاقتْ عليَّ الأرضُ مُذْ صَرَمَتْ
حبلي، فما فيها مكانُ قَدَمْ

وللكاتب من الكامل (الضرب فعْلن):

هذي الحنايا بالضّنا وَجَفَتْ
واخضلّت الأجفانُ بالسُّهْدِ

ومثله من السريع قول ابن عبد ربّه:

أحاظُهُ في الحبِّ قد هَتَكَتْ
مكتومَهُ، والحبُّ لا يُكْتَمْ

٣ـ بل قد يتداخل الكامل والرجز والسريع معًا في قصيدة واحدة.

فصدرُ البيت التالي يصحّ على الكامل والسريع، بينما يصحّ عجزه على الكامل والرجز معًا:

إني من القومِ الذينَ إذا
فارقَتْهُمْ جاراتُهُمْ أثْنَينا

ومثل ذلك قول ناجي:

لا شيءَ ملتفًا يُعانقُهُ
غير السّنا في ضوئهِ المشتاقِ
بانتْ له الدنيا على قَلَقٍ
«مشتاقة تهفو إلى مشتاقِ»

بل إن المطالع المصرّعة لمثل هذا الضرب، قد ترد في الكامل والرجز والسريع معًا، ولا يصحّ نسبتها إلى أيٍّ منها إلا بعد معرفة ما يليها.

كما في قول الشاعر:

يا أمَّ بكرٍ حبُّك البادي
لا تصرميني إنني غادي

٤ـ التداخل بين الوافر والهزج:

ويتداخل الوافر مع إيقاع الهزج عندما تستغرق (مفاعلْتن=مفاعيلن) جميع تفاعيل الشطر أو البيت.

فمن الوافر التام قول إحسان البني:

سألتُ اللّهَ أنْ يبقيكَ في صدْري
كنزف الجرحِ في آهات ذكْرانا
فطعمُ الجرحِ في ذكراك أعشَقُهُ
وقد أضحتْ جراحي فيكِ إدمانا

وقول المتنبي:

إذا غامرت في شرف مرومِ
فلا تقنعْ بما دون النجومِ
فطعمُ الموت في أمرٍ حقيرٍ
كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

ولا يذكر العروضيون من هذا إلاّ ما جرى بينَ مجزوء الوافر والهزج وهو كثير جدا.

يقول ابن قيس الرقيات ـ من مجزوء الوافر

وقالوا: داؤهُ طبٌّ
ألا بلْ حبُّها طبّي
نهاني إخوتي عنها
وما للقلبِ من ذنْب

ومثلهما من الهزج، قول الفِند الزِّمَّاني شهْل بن شيبان:

صفحنا عن بني ذُهْلٍ
وقلنا القومِ إخوانُ
عسى الأيّام أنْ يرجعْـ
ـنَ قومًا كالذي كانوا

بل إنّ كثيرًا من الشعراء ـ قدماءَ ومحدثين ـ خلطوا بين هذين البحرين خلطًا صريحًا، بخلطهم بين زحافيهما، فجمعوا بين (مفاعلْتن ومفاعيلن ومفاعيلُ) في قصيدة واحدة، بل في بيت واحد أحيانًا.

فمن قصيدة وافرية لابن قيس الرقيات، جاءَ هذا البيتُ الهزجي الصريح بزحافه (مفاعيلُ)؛ يقول:

وما أقْبَلُ نصْحَ النّا
صحي منْ شدَةِ الكَرْبِ

كما أن صدْري البيتينِ التاليين لناجي وافريان، وعجزيْهما هزجيان، يقول:

وكانَ الليلُ مرتميًا
على النافذةِ الوسنى
تلصّصَ خلسةً يرنو
إلى معبَدنا الأسنى

ولا شكّ أنّ مثل هذا الخلط بين الأوزان أسهلُ تقبّلاً على الأذن في الأوزان القصيرة منها في الأوزان التامّة، ذلك أنّ في الأوزان التامة فسحة كافية للأذن لكي تميّز بين الأوزان، وتقلّ مثل هذه الفرصة مع الأوزان القصيرة.

وسوف نخصص لتداخل الوافر والهزج دراسة منفصلة إن شاء الله.

٥ـ الكامل والمجتث:

وكثيراً ما يتداخل الكامل في شكله: (متْفاعلن فعلاتن) مع المجتث لأنه بذلك يساوي الشكل (مستفعلن فعلاتن) من المجتث.

يقول ابن عبد ربه من الكامل:

جرَّعْتَني غُصصًا بها
كدّرْتَ صفْوَ حياتي

ومنه قول ابن المعتز:

سل بالزمانِ خبيرَهُ
إني بهِ لعليمُ
صاحبتُه فذَممْتُهُ
إنّ الزّمان ذميمُ

ومثلهما من المجتث، قول الوليد بن يزيد

إني سمعتُ بليلٍ
نحوَ الرصافةِ رنَّهْ
يقلْنَ ويْلي وعَوْلي
والويلُ حلَّ بهنَّهْ

٦ـ الكامل والرجز والمجتث:

وتتداخل هذه البحور الثلاثة معًا بالشكل: (مستفعلن مفعولن).

يقول ابن المعتز من المجتث:

يارب قد أبلاني
حبّي لذا الخوّانِ

ويقول صريع الغواني من الرجز:

أكثرتُما تفنيدي
لو ينفع التفنيدُ

ويقول ابن عبد ربه من الكامل:

أينَ الذين تسابقوا
في المجْد للغايات

بل قد تتداخل هذه البحور الثلاثة بطريقة أخرى، وذلك عندما يصحّ أحد الشطرين على الكامل والرجز مثلاً، ويصح الثاني على الكامل والمجتث.

فمن الكامل، يقول ابن عبد ربه:

يا أيُّها الشادي صَه
ليستْ بسَاعة شدْوِ

وقد يصح صدر البيت على الكامل والرجز، بينما يصحّ عجزه على الكامل والرجز والمجتث معًا.

يقول ابن سناء الملك من قصيدة رجزية:

واعقدْ لبنْت الكرْمَة
عقدًا على ابْنِ المُزْنِ

٧ـ المخلّع والكامل:

ويتداخل المخلّع بشكله: (مستفعلن فعلن فعولن) ـ على قلّته ـ مع الكامل، لأنه يساوي حينئذٍ (متْفاعلن متَفاعلاتن) من الكامل.

فمن ذلك قول امرئ القيس:

عيناكَ دمعُهُما سجالُ
كأنّ شأنْيهما وشالُ

وقول علقمةَ ذي جَدَن:

ذو عثكلانَ وذو خليلٍ
ما منهما ناطقٌ يُجيبُ

وقول خالد الكاتب:

ما بَعْدَ بُعْد العيونِ فيكا
سعْدَ الهوى لَكَ عَاشقيكا

وقول الششتري أيضًا:

مَنْ يعتبرْ يَجدِ اعْتبارَهْ
ويشهد الحقُّ في الشهودِ

وهذا في الكامل كثير طبعًا، كما في قول رامي:

الصّبُّ تفضحُه عيونُهْ
وتنمُّ عنْ وجْدِ شؤونُهْ
إنّا تكتّمْنا الهوى
والداءُ أقتَلُهُ دفينُهْ

بل إنّ في الشطر الأول من البيت الثاني، تداخلاً بين الكامل والرجز كما

هو واضح وبذلك يكون البيت ثلاثيّ البحور.

٨ـ المقتضب والكامل:

ويتداخل المقتضب في شكله: (فعلاتُ مفْتعلن) مع الكامل، لأنه يساوي بذلك (متَفاعلن فعِلن) من الكامل.

وأمثلة ذلك في المقتضب قليلة، لقلّة ورود (فعلاتُ) فيه، فلقد ورَدَ هذا التداخل مرّةً واحدةً فقط، في قصيدة لشوقي عدتها (٧٩ بيتًا) مطلعها:

حفَّ كأسَها الحَبَبُ

فهْيَ فضّةٌ ذهَبُ

وذلك في قوله:

شَرُفَتْ منافحُها

واعتلى بها العنبُ

ومثل ذلك قول الرافعي من المقتضب:

منْ أشعّةِ النّظرِ

لأشعّةِ القمَرِ

منْ سُهادِ أعيُنِه

لكوَاكبِ السَّهَرِ

وقول إبراهيم العريض:

تستفزُّ ناظِرَها

بمُجَرَّدِ النَّظَرِ

وقول سعيد عقل:

زنبقاتُنا وَجِعَتْ

لقوامكِ النّكدِ

سألَتْ وما سألَتْ

عنْ غواكِ والغَيَدِ

لكنَّ أمثلة ذلك في الكامل كثيرة طبعًا.

يقول ابن المعتز:

ولقدْ طرقْتُ على

رصَدٍ وعيْنِ حذِرْ

رشأً بمَحْنِيَةٍ

شَرِبَ الكرى فسكِرْ

٩ـ الرمل والمقتضب:

ويتداخل الرمل (فاعلاتن فاعلن) مع بعض صور المقتضب، إذا جاءت (فاعلاتن) فيه على (فاعلاتُ)، فهو يساوي عندئذ (فاعلاتُ فاعلن)، وهي من صور المقتضب غير الخليلية.

يقول ابن المعتز من الرمل:

رابَ دهْرًا وَسَطا

وأسَاء، فأفْرطا

هل يروعُ بازيًا

رزءُ أفراخِ القطا

ويقول الأميري:

مُرسِلٌ من كبدي

زفرتي وأنّتي

ويقابل ذلك من المقتضب قول أبي العتاهية:

للمنونِ دائرا

تٌ يُدِرْنَ صرفها

وقول هارون هاشم رشيد:

عائدونَ يا ربا

عائدوَ يا هضابْ

عائدون للصِّبا

عائدون للشبابْ

١٠ـ المتقارب والمتدارك:

ويتداخل المتقارب مع المتدارك بطريقة فريدة إلى حدٍّ ما.

فمن المعلوم. أنه يصح في عروض المتقارب أن ترد على (فعولُ) أو (فعو) إلى جانب الأصل (فعولن). فإذا جاءت العروض على (فعولُ) المتحركة الآخر، حصَلَ نوع من تمادي الحركة إلى ما بعدها من عجز البيت، اتقاءً للوقوف على متحرك.

وبانتقال الحركة إلى بداية الشطر الثاني، ينتقل إيقاع العجز من المتقارب إلى المتدارك، دون أن يؤثّر ذلك في وقع البيت على أذن المتلقي.

خذ مثلاً على ذلك؛ قول عمرو بن قميئة: (وقد تعمّدْنا كتابة الحرف المتحرك الواقع آخر الصدر، في بداية العجز):

وحتٌّ بها الحاديان النَّجَّا

//٥/ //٥ /٥ //٥/٥ //٥

فعولُ فعولن فعولن فعو

ءَ معَ الصبْحِ لمّا استْثاروا الجمالا

/// ٥/٥/٥// ٥/ ٥// ٥/ ٥// ٥/ ٥

فعلن فاعلن فاعلن فاعلاتن

ومنها:

فبالظلِّ بُدِّلْنَ بعْدَ الهجيـ

ـرِ،وبَعْدَ الحجالِ ألِفْنَ الرِّحالا

كأنّ المدامَ بُعَيْدَ المَنا

مِ عليها، وتسقيكَ عَذْبًا زُلالا

ووجْهٌ يحارُ له النّاظرو

نَ، يخالونهمْ قد أهَلّوا هلالا

١١ـ بحور الشعر والخبب:

ولعلَّ أغرب التداخلات العَرَضيّة بين البحور، أن تتداخل ستّة بحور هي: (الرجز والسريع والرمل والمديد والمجتث والدوبيت) في بحر واحد أهمله العروض الخليلي هو (الخَبب).

(١١ - ١) - فمن مداخلات الرجز مع الخبب كل ما جاء على (مفتعلن مفتعلن مفتعلن) أو (مفتعلن مفتعلن مفعولن) وأشباهها ذات الضروب (مفعولْ أو مفْعو).

يقول المبرِّد في هجاء ثعلب (من الرجز):

أقسمُ بالمبتسَمِ العذْبِ

لو كتَبَ النحْوَ عن الرّبِّ

ما زاده إلا عمى قلْبِ

ومثله قول فتيان الشاغوري:

وابنِ فقيهٍ حسَنِ الحالَهْ

وهي على الرجز تساوي: (مفتعلن مفتعلن فعْلن)

بينما تساوي على الخبب: (فاعلُ فعْلن فعلن فعْلن).

(وهم يعدون مثل هذه الأبيات - خطلاً - من السريع، وهي رجز ليس غير).

ومن ذلك قول الراجز القديم:

أنا ابن حرْبٍ ومعي مخْراقْ

أضرِبُهمْ بصارمٍ رقراقْ

إذْ كَرِهَ الموتَ أبو إسحاقْ

ولكشاجم:

غيثٌ أتانا مؤذنٌ بخَفْضِ

متّصل الوَبْلِ حثيث الرّكضِ

ومن مجزوء الرجز قول صريع الغواني:

تفاحةٌ شاميّةٌ

منْ كفّ ظبيٍ غَزِلِ

ما خُلقتْ مذْ خُلقتْ

تلك لغيْرِ القُبَلِ

ومن منهوكه قول الراضي بالله:

فليسَ فيكَ أدْري

منفعَتي منْ ضرِّي

(١١-٢) - ومن مداخلات

قلما يستغرق التداخل شطري البيت الواحد، فإذا حصل ندر أن يتجاوز ذلك الاستغراق البيت إلى الذي يليه

السريع مع الخبب قول أبي نواس (على العروض فاعلن والضرب فعْلن):

يسقيهمُ حمراءَ يا قوتةً
تُسْرَجُ في الكأسِ وفي الكفِّ
ثمّ تغنّي طربًا عندهمْ
وهْوَ من القومِ على خوْفِ

فالصدر هنا للسريع، والعجز للخبب، بل وللرجز أيضًا.

ومن مداخلات السريع مع الخبب قول ابن زاكور (على العروض والضرب فعلن):

أحمرُه الغضُّ وأبيَضُهُ
إنْ شُبِّها؛ الياقوت والذهبُ

وقوله أيضًا:

أصفرُهُ الفاقعُ من ذَهَبٍ
والأبيضُ الناصعُ منْ فضَّهْ

ومثله لسعيد عقل:

يا نَسَمًا مرَّ على شَعَري
فهدَّني بعضًا على بعْضِ

وعجزا البيتين الأخيرين هما من الرجز كما سبق القول.

(١١-٣) - ومداخلاتُ الرَّمَل مع الخبب كثيرة جدًا، فكلّ شطر استغرقت (فعِلاتن) جميع تفاعيله هو خبب صريح.

يقول ابن خفاجة:

إنّ للجنة في الأندلسِ
مجتلى حسْنٍ وريّا نَفَسِ
فَسَنا صُبْحتها من شنب
ودجى ظَلمتها من لَعَسِ

ومن مجزوئه قول صريع الغواني:

ذهَبٌ في ذَهَبٍ را
حَ بها غصْنُ لُجيْنِ

(١١-٤) - وكالرمل، يتداخل المديد مع الخبب أيضًا إذا جاء شطره على (فعلاتن فعلن فعلاتن) أو (فعلاتن فعلن فعلَن) لكنه أقل مَن الرمل لندَرة مجيء (فَاعلن) الحشوية على (فعِلن) بعد (فعلاتن).

يقول ابن بقي:

ظَهَرَ الحسنُ فأضحى ملاذا
وأبى القلبُ فصارَ جُذاذا

ويقول أيضًا:

فَلِذا دقَّ هوايَ وجلاّ
إنَّ من ماتَ هوىً إستراحا

ومن ذلك قول محمد عبدالمنعم خفاجي:

عبَقَ المجدُ بها وَسَما
بِحماها المَلكُ الحسَنُ

(١١-٥) - ويتداخل المجتث في شكله (مفتعلن مفعولن) - على قلّته - مع الخبب أيضًا. فمن ذلك ما ذكره الجوهري في عروضه:

جاريةٌ من رعْب
قدْ مَلأتْ علْبيْت

ومثله قول ابن المعتز:

وكنْ مع الدهْرِ دهْرًا
عُمْرُكما مثْلانِ

(١١-٦) - ومن مداخلات الدوبيت مع الخبب قول العماد الأصفهاني:

لا راحةَ في العيش سوى أنْ أغزو
في قتلِ ذوي الكفرِ يكونُ العزُّ

فهما بتفعيلات الخبب= فعْلن فعِلن فاعِلُ فعْلن فعْلن

ومن مجزوء الدوبيت قول الأعظمي:

للطائفِ بالبيتِ هيامُ

فهو بتفعيلات الخبب= فعْلن فعِلن فاعلُ فعْلن

١٢ - التداخل الخَرْمي:

وهو من التداخل العرضي، الناتج عن زحاف الخرم (ويعني سقوط متحرك أول الشطر). وهو من الزحافات القليلة التي وردت في أشعار القدماء وكادت تتلاشى بعد ذلك.

ويدخل الخرم - عند أكثر العروضيين - على ما كان أوّله وتَدٌ من البحور؛ كالطويل والمتقارب والوافر والهزج والمضارع. وأباح غيرهم دخوله على سواها.

(١٢-١) - فبالخرم قد ينتقل إيقاع الطويل إلى إيقاع الكامل، كما في قول يحيى بن زياد الحارثي:

لما رأيتُ الشيبَ لاحَ بياضُهُ
بمفرق رأسي قلتُ للشيبِ: مرحبا

وصدر البيت على الطويل يساوي: (عولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن)

بينما هو على الكامل يساوي: (متْفاعلن متْفاعلن متَفاعلن)

ومثله قول الأخطل:

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً
جزاءً بنُعمى قبلَها ووسيلُ

وقد خَرَمَ المتنبي في موضعين من ديوانه، أحدهما في الوافر، والثاني في الطويل، وذلك قوله:

لا يُحزِنُ اللّهُ الأميرَ فإنّني
سآخذ منْ حالاته بنصيبِ

ومن المحدثين؛ يقول مصطَفى بدوي (وكرر الحزم في القصيدة ذاتها ٤ مرات):

نامي فهذا الليلُ أوشَكَ نصفُهُ
يموتُ، وضوءُ البدرِ قبْلَ مغْرِبَهْ

(١٢-٢) - ومع الخرم، يتداخل المتقارب (عولن فعولن فعولن فعو) مع ما أسميناه بالبحر اللاحق (مستفعلن فاعلن فاعلن)

يقول امرؤ القيس:

يا هندُ لا تنكحي بوهةً
عليهِ عقيقتُهُ أحْسَبا

ويقول أيضًا:

وعينٌ لها حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مآقيهُما منْ أُخَرْ

ومثلهما من البحر اللاحق قول ابن الحفّاظ:

ما زلتُ في حبِّه منصفًا
مَنْ لم يزلْ وهْوَ لي ظالمُ

ويقول الأخطل من المتقارب؛ (عولُ فعولُ فعولن فعو):

لمْ أرَ ملحمةً مثلها
فَقِفْ لي أُخبِّرْكَ أخبارَها

ومثله من اللاحق (مفتعلن فعِلن فاعلن) قول نازك:

سُمْرَتُها عَسَلٌ سائلٌ
للحسْنِ في خدِّها رقْرَقَهْ

بل إنّ خرمَ المتقارب المجزوء (عولن فعولن فعولن) يُداخله مع المجتث (مستفعلن فاعلاتن)، ونمثل له بقوله:

وجهٌ كطلعة بدْرٍ
تحيَّرَ فيه الجمالُ

(١٢-٣). فإذا انخرم المنسرح (×تفعلن فاعلاتُ مفتعلن) بسقوط سببه الأول، دخل إيقاعه في إيقاع الخفيف.

يقول الشمّاخ بن ضرار:

قاتِلِ القومَ يا خزاعُ ولا
يدخلْكُمُ منْ قتالِهمْ فَشَلُ

ويساوي الصّدر بتفعيلات الخفيف: (فاعلاتن متفعلن فعلن).

بل إنّ مثل هذا التَداخل، هو تداخل ممتدّ، يتجاوز الصدر ليشمل العجز أيضًا، فبتدوير البيت السابق يتحول كليّة إلى الخفيف هكذا:

قاتِلِ القومَ يا خزاعُ ولا يدْ
خلْكُمُ منْ قتالِهمْ فشَلُ

حيث أصبح تفعيله: (فَاعلاتن متفعلن فعِلاتن * فاعلاتن متفعلن فعلِن)

ومثال ذلك من المنسرح، قول عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه:

إنّما الناسُ ظاعنٌ ومُقيمٌ
فالذي بانَ للمقيمِ عِظَهْ

وهذا مثال آخر للخرم في المنسرح.

يقول ابن قيس الرقيات (وقد جاء الصدر على: فعلن مفعُولات مفتعلن):

طَرَقَتْهُ أسماءُ أمْ حَلما
أمْ لمْ تكنْ من رحالنا أمَما

ويساوي ذلك من الخفيف: (فعِلاتن مستفعلن فعِلن).

تساؤلات منهجية حول فضاء النقد الأدبي

من أجل وعي بالممارسة النقدية

محمد بوعزة

إن من أهم حوافز النقد الأدبي ودوافعه في تأسيسه للأدبيات والتطلعات الثقافية: تطوير الخبرة الإبداعية، وتجديد طرائق سبر هذه الخبرة الإبداعية، وتوجيه مسار الحركة الثقافية.
وعلى هذا النحو يمكن أن نشبه النقد الأدبي - الذي هو ضرورة حضارية - بمرآة تعكس تقاسيم الفعالية الإبداعية وملامحها من حيث الجودة والرداءة، ويمكن أن تقدم لنا تشخيصاً موضوعياً لآفاق الواقع الأدبي وممكناته.

إن هذه الخلفيات المعرفية والثقافية هي التي تضفي على أسئلة النقد الأدبي صفة الراهنية والحضور، مما يجعلها أسئلة متجددة باستمرار، لا تتوقف عند تخوم الأجوبة الجاهزة.

من هذا المنظور نطمح إلى الاقتراب من فضاء النقد الأدبي، وترسيخ الوعي المعرفي (الأبستيمولوجي) بالمفاهيم المعرفية.

وتحقيقًا لهذه الغاية، سنحاول الدخول إلى مدارات النقد الأدبي من خلال التساؤل عن المفهوم، وعلاقة النقد الأدبي بالفن والعلوم الإنسانية لرصد أوجه التقاطعات والتمفصلات بين هذه الفضاءات الثقافية الثلاثة.

- إشكالية المفهوم: لنعترف منذ البداية بالطابع الإشكالي لمفهوم النقد الأدبي من حيث هو كلام على كلام حسب تعبير أبي حيان التوحيدي أو خطاب على خطاب كما يروج له في التقاليد النقدية المعاصرة.

ولقد ورد في «لسان العرب»(١): نقد الصيرفي الدراهم، بمعنى ميّز ما هو صالح للاستعمال مما هو فاسد، بعيد عن التداول. ودلالةالتمييز المنوطة بالنقد الأدبي، تكاد تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية. ففي الفرنسية.CRITIQUE مأخوذ من اليونانية KRITIKO، بمعنى الحكم على الشيء من خلال التمييز(٢) أو إدراك الفرق -DISTINGUER وفضلاً عن دلالة التمييز، يتضمن النقد معنى الحوار وتوليد الأفكار، جاء في لسان العرب: ناقد فلان صاحبه، بمعنى ناظره وحاوره. فالنقد حوار فكري خلاق بين الناقد، بصفته يملك رؤية فكرية وفلسفية وحضارية شاملة، والعمل الأدبي، فضلاً عن دلالة التمييز التي هي أصل في الاستعمال.

إذا تجاوزنا هذا المستوى المعجمي الذي يتميز بالوضوح والشفافية، فإن أية محاولة لتأطير مفهوم النقد الأدبي ضمن حدود نظرية، تعتريها مجموعة من العراقيل المختلفة الجذور والمشارب. ففي ضوء معرفتنا ووعينا بمجمل الشروط التي تحكم مسار مرجعيات النقد الأدبي، وهي شروط منهجية وأدبية، وثقافية ومذهبية فكرية (أيديولوجية) في ضوء هذه الشروط يستحيل أن يتحدد النقد الأدبي ضمن مفهوم واحد، أو نظريةواحدة. فلا غرابة في أن تكثر المذاهب النقدية واتجاهاتها؛ وأن تتعدد تسمياتها، وأن توضع في إطار التعارض والاختلاف في أحيان كثيرة، لأن النص الأدبي نفسه يتبع مسالك متنوعة: نفسية واجتماعية، تاريخية وبنوية، تُفضي كلها إلى إغناء آفاق النقد الأدبي، وتجديد أدواته وإجراءاته.

غير أن الإشكال لا يقتصر على مفهوم النقد الأدبي كاصطلاح أدبي، بل ينسحب أيضًا على لفظ «نقد» كما استُعمل في بعض اللغات الإنسانية. فهذا رينيه ويليك -RENE WELLEK(٣) يشير إلى أن كلمة النقد في اللغة الإنجليزية غالبًا ما تُستعمل لتشمل «نظرية الأدب» و«الشعرية» (البويطيقا) POETIQUE. أما في اللغة الألمانية، فهذا الاستعمال نادر، إذ إن تعبير النقد الأدبي LITERARUKRILIK يُفهم عادة بالمعنى الضيق الخاص بالمتابعات النقديةوالمراجعات الصحفية. لهذا السبب اكتسب النقد الأدبي في الآداب الألمانية معنى متواضعًا بالقياس إلى المكانة الرفيعة التي تحظى بها الفلسفة.

وتفاديًا لهذا اللبس في المفاهيم، يقترح رينيه ويليك ضرورة التدقيق في المفاهيم والتمييز بين أطرها المعرفية تمييزًا منهجيًا وعلميًا، لذلك يميز بين «النظرية الأدبية» و«النقد الأدبي» و«التاريخ الأدبي».

فالنظرية الأدبية تهتم بدراسة مبادئ الأدب وأنواعه وقوانينه، إنها «بحث متواصل دؤوب حول مايجعل النص الأدبي خطابًا متميزًا من أي نص آخر لا يحمل هذه الصفة الأدبية»(٤).

بينما يركز النقد الأدبي عمله على الآثارالأدبية ذاتها بهدف الكشف عن أنظمتها الداخلية وبنياتها الدالة. أما تاريخ الأدب، فينظر إلى الأدب على أنه سلسلة من الآثار في تعاقبهاالتاريخي.

من جهتنا نرى هذا التمييز بين هذه المفاهيم والمجالات الثلاثة، تمييزًا إجرائيًا ومنهجيًا، ولكنه ضروري من الوجهة المعرفيةوالعلمية. وهوطبيعة إجرائية ومنهجية؛ لأنه لا يمكن أن نفصل بين هذه الأنواع من الدراسات فصلاً تامًا وقاطعًا، بحكم توافر إمكانات التعاون وتبادل الخبرات بينها، بالإضافة إلى إمكان انتقال «المصطلح» من حقل معرفي إلى حقل معرفي آخر.

فلا يمكن ممارسة النقد الأدبي، دون الاهتداء بنظرية للأدب تزودنا ببعض المعومات والمعارف عن النص المنقود، من حيث جنسه (نظرية الأنواع الأدبية)، ومن حيث قوانينه الداخلية الشعرية.

ومن الصعب صياغة نظرية للأدب، دون وجود فعالية نقدية تواكب النصوص بالدراسة والتحليل، فتستخلص لنا الظواهر الأدبية، والخصائص الفنية من نص أدبي مدروس، وعن هذا التلاحم بين النظرية الأدبية والنقد الأدبي يقول حاتم الصكر:

(والبحث عن النظرية الأدبية باعتقادي يشكل الخطوة السابقة للتطبيق النقدي والمنهجي ونلخصها بكلمة «الرؤية»، فأنا لا أفهم ناقدًا يأتي مباشرة إلى النصوص، ويحتك بها، ويقدم لها خدمات دون رؤية نقدية)(٥).

لكن قولنا بالتداخل بين هذه المستويات من الدراسة الأدبية والنقدية، لا ينفي تأكيدنا خصوصية كل دراسة على حدة، وأصالة جهازها المفهومي، بشكل يجعلنا نميز بينها تمييزًا دقيقًا.

- النقد والفن: في إطار أسئلة النقد الأدبي، تُطرح إشكالية العلاقة بين النقد والفن. ومبعث هذا الإشكال الطبيعة المزدوجة للخطاب النقدي، فهو خطاب ثان على خطاب أول، تتحدد طبيعته من طبيعة الخطاب الأدبي «مما يجعل النقد الأدبي ذا طبيعة مزدوجة فنية - علمية، فهو علم ينقلب إلى فن، أو فن يستحيل إلى علم، وذلك بحسب الزاوية التي يتخذها

المتأمل للنظر في هذه الفعالية الأدبية»(٦).

لهذا السبب لا يمكن الحديث عن قضايا النقد الأدبي ومشكلاته دون التطرق لقضايا الأدب. فالنقد من حيث المادة التي يشتمل عليها يدخل ضمن الأدب، ولكنه يتميز منه بالطريقة الموضوعية والتحليلية التي يدرس بها موضوعه (الأدب).

وفي إطار الحديث عن العلاقات بين النقد والفن،يواجهنا السؤال التالي: هل النقد الأدبي فن؟

مبدئيًا، يمكن أن نميز بين موقفين أو اتجاهين في دراسة علاقة النقد بالفن: الموقف الأول ينفي الحدود بين النقد والفن، ويرى الممارسة النقدية إبداعًا لايقل شأنًا عن الإبداع الأدبي، يقول نورثروب فراي عن هذه الوحدة بين النقد والفن:

«في فكرة الفن هذه، نجد المنتج أو الخلاق لا يُفصل عن وعيه لما هو فاعل. ولذا ليس ثمة فصل، وإن يكن ثمة تميز بين القوة الخلاقة في تكوين الشكل، والقوة النقدية في رؤية العالم الذي ينتمي إليه... الرؤية تلهم الفعل، والفعل يحقق الرؤية، وهذه أكمل نظرة أعرفها للمشاركة بين الخلق والنقد في الأدب» (٧).

وفي هذا الاتجاه نفسه الذي يرى النقد الأدبي خطابًا فنيًا ونصًا أدبيًا خلاقًا يضاهي النص الأدبي، يذهب تودروف إلى تسمية ثلاثة نقاد فرنسيين هم: جان بول سارتر، وموريس بانشور، ورولان بارت بالنقاد الأدباء Les critiques ecrivains، والسبب في ذلك، كون نصوصهم النقديةذات قيم جمالية وفنية رفيعة. إنها نصوص أدبية بالمعنى العميق للكلمة.

وفي مقابل هذا الموقف الذي تتلاشى فيه الحدود بين النقد والفن، نجد موقفًا مغايرًا، يؤكد الفواصل والحدود بين النقد والفن، ويعدّ النقد إطارًا ثقافيًا يختلف في طبيعته وماهيته عن الفن، له حدوده وخصوصيته. فالنقد ـ حسب هذا الاتجاه ـ حوار فكري ومعرفي مع النص الأدبي، يطمح إلى كشف مكوناته الجمالية، وأنظمتها الدلالية. إنه موازنة منهجيةواستدلالية، تسعى إلى إنتاج معرفة بالنصوص الأدبية، وتطمح إلى أن تكون علمًا للأدب. في هذا الاتجاه يؤكد رينيه ويليك استقلالية النقد الأدبي وخصوصيته المنهجية، لأن هدفه هو إنتاج معرفة فكريةوموضوعية، وهو لا يخلق عالمًا تخييليًا كعالم الشعراء. وينتقد رينيه ويليك موقف نورثروب فراي، فهو لا يرى في نقده إلا وهمًا FICTION معقدًا تضيع فيه كل علاقة ممكنة مع العلم والمعرفة والفكر، ويفتقد الوضوح المنهجي، والدقة العلمية التي تتطلبها الرؤية النقدية، في مقابل الرؤية الفنية التي هي بطبيعتها رؤية معقدة وغامضة. ولكن رينيه ويليك يعدل من موقفه، ولا يرى حرجًا في إمكان أن يوظف النقد الأدبي قدرًا من الحس الفني، إذ يجد الناقد في بعض المواقف النقدية مضطرًا لتوظيف خبراته الفنية.

ويطرح جورج طرابيشي علاقة النقد بالفن على أساس مفهوم «التبعية»، فالنقد في نظره ـ تابع للأدب وظل له، وتبعيته هي المعيار الأول لمصداقيته ومشروعيته، لذلك فهو يشكك في فكرة انتماء النقد إلى الفن، إلا إذا جعلنا النقد الأدبي إبداعًا من الدرجة الثانية، بالقياس إلى الأدب الذي هو إبداع من الدرجة الأولى، يقول جورج طرابيشي:

«فهل صحيح أن النقد يدخل في باب الإبداع؛ إنني أشك في ذلك. فالنقد شرح على الإبداع وتعليق على الإبداع، حاشية على متن الإبداع. هو إذن فعالية قولية على هامش النص. ولا يجوز إدراجه في باب الإبداع إلا إذا جرى التحديد بأنه إبداع من الدرجة الثانية أي إبداع ثانٍ وتابع لإبداع أول» (٨).

ـ النقد والعلوم الإنسانية: لم يكن النقد الأدبي في مراحله معزولاً عما يحصل في المعارف البشرية والعلوم الإنسانية.لنأخذ ـ مثلاً ـ أرسطو في«فن الشعر»،فقد كان ينطلق من حقل البحث الفلسفي. وأية قراءة لتراثنا النقدي ستتعرف من خلالها تأثير علم المنطق، وعلم الكلام، والفكر الإسلامي في بناء أسسه ومفاهيمه. وينطبق هذا الكلام على الجاحظ، وعبد القادر الجرجاني وحازم القرطاجني.

فالنقد إنتاج معرفي، وإيقاع فكري ينمو في وسط ثقافي اجتماعي (سوسيو ثقافي)، ومن ثمة فهو لايتطور إلا في ظل انتعاش الحركة الثقافية وحيويتها. لهذا السبب،فإن العلاقات بين النقد الأدبي والعلوم الإنسانية متداخلة ومتواشجة جدًا. ولاسيما تلك العلوم التي يملك النقد أن يستمد منها بذور التطور والتجدد؛ كعلم اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا). فهذه العلوم أبانت عن محاولات مثمرة من عدة وجوه، حيث أخذت تتصدى للظاهرة الأدبية من زوايا جديدة لتكشف عن أنماط جديدة من الخصائص والموضوعات (الثيمات) والأفكار داخل الواقعة الأدبية.

ويحصر الباحث جان لوي كابانس(٩) إشكالية العلاقةبين النقد الأدبي والعلوم الإنسانية في استقصاء واستكناه الصلات بينهما، وعلى الأخص صلات التحليل النفسي، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة بفضاء النقد الأدبي. ذلك أن رصدنا لمثل هذه الصلات والعلاقات المتبادلة يمكننا من الجواب عن بعض الأسئلة التي تثيرها طبيعة هذه العلاقة من قبيل: هل تحفظ الممارسة النقدية بخصوصيتها وجوهرها واستقلالها حين تستعير أدواتها من حقل العلوم الإنسانية؟ وهل تستطيع هذه العلوم الإنسانية ألا تطمس الخصائص النوعية والصفة الأدبية للأدب، حين تجعله موضوعًا لأبحاثها؟.

إن مثل هذه الأسئلة المتعلقة باستعارة النقد الأدبي لمفاهيمه من حقل العلوم الإنسانية تجعلنا نمضي نحو معاينة خصائص الحالات الممكنة لحركة انتقال المفاهيم، لنعرف أكانت هذه المفاهيم تحافظ على خصائصها أم تتغير، نتيجة انتقالها إلى إطار معرفي جديد؟ ولنعرف كذلك هل كانت هذه المفهومات قابلة للتأصيل في غير مجالاتها المعرفية؟ لا يمكن أن نجزم بأن مثل هذه الحركة الانتقالية إلى بيئة جديدة، لا تتم دون عراقيل منهجية ومعرفية، بل تنطوي على عمليات من التمثل والتأسيس والتجاوز، وهذا ما يضفي التعقيد والخطورة على كل محاولة للاستفادة من إنتاجات العلوم الإنسانية.

إن مسألة استفادة النقد الأدبي من العلوم الإنسانية تضعنا أمام مشكلة معقدة، وهي مشكلة «تكييف» المفاهيم المستعارة في الحقل المعرفي الجديد وتأصيلها؛ لأن عدم وعي هذه المشكلة، غالبًا ما يجعل حركة الانتقال تتسم بالتبسيط والاختزال والانتقائية.

وينظر تدوروف إلى علاقة النقد الأدبي بالعلوم الإنسانية على مستوى تحصيل النتائج. فهو يرى أن النقد الأدبي، حيث يوظف مناهج علم النفس، أو علم الاجتماع،فإن هذه الدراسات الأدبية تكون جزءًا وفرعًا من هذه العلوم الإنسانية، ولا تنتمي إلى حقل الدراسات الأدبية، بمعنى آخر، إن الناقد النفساني، أو الناقد الاجتماعي يحمل النص الأدبي تفسيرات وتأويلات نفسية واجتماعية، أكثر مما يقدم لنا معرفة أدبية، لانعرف أكان هدف هذا الناقد، هو هدف لفائدة علم النفس، أو علم الاجتماع، أم هدف لفائدة النقد الأدبي؟ وتحليل النص الأدبي تحليلاً أدبيًا يراعي الخصوصية الفنية والصفات النوعية للأدب.وغالبًا ما يذهب جهد الناقد النفساني، أو الناقد الاجتماعي لفائدة العلوم الإنسانية، وليس لمصلحة النص الأدبي، يقول تدورروف:

«قام فرويد FREOD بتحليلات للآثار الأدبية. وهي لا تخص علم الأدب، بل التحليل النفسي. وفي وسع العلوم الإنسانية الأخرى الإفادة من الأدب مادة لتحليلاتها. ولكن إذا ما كانت هذه التحليلات جيدة فإنما تكون جزءًا من العلم الذي تتصل به، لا جزءًا من تفسير أدبي واسع الانتشار»(١٠).

لا مناص إذن للنقد الأدبي عن أن يجول على تخوم العلوم الإنسانية، وفي مقدار مفاهيمها وكشوفاتها. هذه الطبيعة الحساسة للنقد الأدبي تضع الناقد أمام مهمة تجنيس هذه المعرفة الإنسانية وتأصيلاتها داخل الحقل الأدبي، بشكل يجعلها في خدمة النص الأدبي لا عبئًا عليه. بهذه الصورة فقط، ينجح الناقد في تخصيص هذه المعرفة الإنسانية واستخدامها في نقده الأدبي. وهذا يعني أن كشوفات العلوم الإنسانية مرسخة لخدمة كل من النقد الأدبي والنص الأدبي. ويعني أيضًا أن الناقد يعيد إنتاج المعرفة الإنسانية من أجل تكييفها وتطويعها لإضاءة فضاءات النص الأدبي.

الإحالات:

١ـ «لسان العرب» ابن منظور (مادة: نقد)
٢ـ «النقد الأدبي»: مؤلف جماعي، ترجمة د. هدى وصفي، دار الفكر، القاهرة ١٩٨٩م، ص١١.
٣ـ رينيه ويليك: «مفاهيم نقدية»، ترجمة د. محمد عصفور، عالم المعرفة، عدد ١١٠، ص٨.
٤ـ مطاع صفدي: «الفكر العربي المعاصر»، عدد٣٦، ١٩٨٥م، ص٧٦.
٥ـ حاتم الصكر: «كتابات معاصرة»، عدد١٥، ١٩٩٢م ص١٠.
٦ـ محي الدين صبحي: «الوحدة»، عدد٥٨/٥٩، ١٩٨٩م، ص٩٦.
٧ـ «الأسطورة والرمز»:مؤلف جماعي، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ص٢٣.
٨ـ جورج طرابيشي «الوحدة» عدد ٥٨، ٥٩، ص١٠١.
٩ـ جان لوي كابانس: «الوحدة »عدد٥٨,٥٩، ص١٠١.
١٠ـ جان لوي كابانس: «النقد الأدبي والعلوم الإنسانية»، ترجمة د.فهد عكام، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص٧.
١١ – نقلاً عن «جان لوي كابانس» المصدر نفسه، ص٨٧-٨٨.

قصة قصيدة

لماذا قصة قصيدة ؟

د. محمود جبر الربداوي

ترددتُ بعض التردد عندما عرضت عليّ رئاسة تحرير مجلة الفيصل أن أكتب حلقات في زاوية «قصة قصيدة»،هذه الزاوية المبتكرة التي تداولت مع رئاسة التحرير تحديد أهدافها وتصوّر مخطط لها يحقق هذه الأهداف، ولم يكن ترددي، مع أن اقتراح إحداث هذه الزاوية قد لاقى قبولاً في نفسي، إلا خشية التداخل بين عملي الجامعي والالتزام المتواتر بعمل ثقافي عليه مسحة الصحافة، وخشيت أن يجور أحد العملين على الآخر، لأن طبيعتي في العمل تعلمتُها من المبدأ الذي نادى به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»، ولأن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه . فمن هنا جاء ترددي، تخوفًا من نضوب مادة عمل أقدم على التزام القيام به، ولا أعرف مدى وفائي بهذا الالتزام، ولا بتوافر المادة التي تساعد على الوفاء به. ولكنّ هذه الخشية لم تصل بي إلى شاطئ الإحباط، وإنما دفعت بي إلى شاطئ الثقة بالنفس والتراث، فمضيت في التنقيب والبحث حتى تهيأت لي مادة الحلقات الخمسين التي أعددتها حتى الآن، وأعداد أخرى مما تجيء به قادمات الأيام.

كان من أهداف هذه الزاوية أن نبحث عن قصيدة ذات قصة، ونتوخى في القصة ألا تخلو من طرافة لتروّح قراءتها عن نفس القارئ، وتجذب اهتمامه إلى معاودة قراءة القصيدة بدقة وإنعام نظر، ليفهم الأبيات في ضوء فهم القصة، وليستوعب مغزى القصة في ضوء تعمقه في فهم القصيدة، ولا نعني بقصةالقصيدة مناسبتها التي نقع عليها في مقدمات القصائد التي تعج بها الدواوين، وإنما نقصد بالقصة مجموعة المؤثرات الفكرية، والملابسات الاجتماعية، والأحداث التي حفّت بالشاعر حتى باح بمكنونات نفسه بهذا الكلام الموزون المقفّى الدالّ على المعنى الذي نسمّيه شعراً.

وأما القصيدة نفسها التي نبحث عنها فنتوخى ـ غالبًا ـ أن تكون قصيدة تراثية ذات أسلوب جزل رصين، وأفكار سامية، ولاضير أن تشتمل على شيء من الحكمة ومكارم الأخلاق، أو الأفكار التي تُذكي في القارئ روح الرجولة والحماسة، وإعمال العقل، وإغناء التجربة الإنسانية، والاعتزاز بنتاج أفكار السابقين من سلفنا الذين صنعوا حضارة تليدة، وثقافة عتيدة، لأن أفكار السابقين خالدة سائرة عبر الزمان والمكان، وما خُلّدت وردّدتها الألسنة إلا لقيمتها الإنسانية وجدواها الحضارية. كما نتوخى من القصائد التراثية أن تزودنا بالجميل الرشيق من الصور البلاغية التي أجمع المتذوّقون على حسنها، والغاية من هذا الهدف مزدوجة: أولها تكوين ذائقة قادرة على اكتشاف الصور البلاغية المستملحة في النصوص القديمة وتذوق بلاغتها، وثانيها تفعيل هذه الذائقة الواعية لإنتاج صور بلاغية تجمع بين الشفافية والرصانة لمن كانت له هواية الكتابة أو احترافها، وهذا ما توفره النصوص الشعرية التراثية. وأذكر بهذه المناسبة، أنني عندما كنت في مقتبل العمر كنت أقرأ بنهم شديد مجلة «الرسالة» وكان جيل كتّاب الرسالة آنذاك أصحاب مواهب متعددة، شُهر كل منهم بمذهب معيّن، وكنتُ أصنّفهم حسب أنماطهم الكتابيّة، وخصائص كتابتهم الفنية أصنافًا متمايزة، فهذا كاتب يغلب عليه الطابع العقلي، فأنت تقرؤه لأفكاره الرصينة، وتنهل من علومه ومعارفه، وذاك كاتب يغلب عليه الطابع الفني، فأنت تقرؤه لرشاقة أسلوبه ونصاعة بيانه، فتأخذ من الأول الأفكار والمعاني، وتأخذ من الثاني رشاقة الأسلوب وعذوبته، وجيل شبابنا اليوم بحاجة ماسّة إلى التعامل مع النصوص الغزيرة الأفكار

الراقية الأساليب، لأن مثل هذه الأنماط تأخذ بيد القارئ إلى صلابة الأسلوب وسلاسته، في هذا الزمن الذي طغت فيه الأساليب الرخوة، والأمشاج من بعض الأساليب المحدثة التي يلوذ أصحابها بالغموض لتغطية بُعدهم عن الأسلوب العربي المبين.

ومن أهداف هذه الزاوية إغناء ثروة القارئ بألفاظ متخيرة من اللغة العربية وتراكيبها المنتقاة، لأن النصوص التراثية منجم مفعم بالألفاظ، وتعامل المرء مع هذا المنجم يجعله قادراً على إفراز التبر من التراب. كما أن من أهداف هذه الزاوية التعريف ببعض عمالقة الشعراء والكتّاب والمؤلفين، وتعرّف مذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية والفنية والاطّلاع على بعض كبريات المؤلفات والمصنفات التي لا يستغني عنها مثقف.

وهناك هدف آخر كان يذكّرني به الدكتور زيد الحسين، وهو ألاّ أنسى الجانب التعليمي والتربوي الذي تطمح المجلة ألا تخلو منه، لذلك كنتُ أنحو في بعض الحلقات التي تسمح طبيعتها بتطبيق هذه التوجيهات نحواً تربوياً تعليمياً، فكنت أستغل بعض النصوص للتطبيقات النقدية أو الأسلوبية أو اللسانية، ولهذا فقد كنت آخذ قصائد قديمة، فأقرؤها قراءة حديثة، وأستغل كل ما عندي من مبادئ الدراسة الحديثة ومعاييرها، فأطبقها على هذه النصوص القديمة، وقد يكون المقصود من كل هذه التطبيقات والإضافات الطالب الجامعي، لأنّ مجلة الفيصل تصل إلى أيدي شريحة كبيرة من طلاب الجامعات في الوطن العربي الكبير، وهذا يفسر المنهج الذي اتبعته في الكتابة، والأسلوب الذي أكتب به هذه الحلقات، وهو - كما يتراءى لي - أسلوب يفهمه القارئ العادي، كما يفهمه الطالب الذي قطع مرحلة من التعليم الجامعي.

ولا أريد أن أطلع القارئ على مدى التعب الذي يصادفني وأنا أبحث عن مادة هذه الحلقات، فكم أطوّف منقّباً عن قصائد تتوافر فيها الخصائص التي أريد، وهي نزرة قليلة في كتب الأدب، ومجموعات الشعر، وخاصة القصائد والقصص التي تتميز بالجدة، وليست من النوع المستهلك المكرور، فإذا وقعت عليها حاولت أن أشرح غريب الألفاظ، وأن أفسر الغامض من معانيها، وأستبعد من أبياتها ما يحفز القرّاء على الجدال والخلاف لمجرد الخلاف في وجهات النظر، لأن بعض القراء لديهم شهوة للجدال. وإني أرحّب بالحوار الذي يُفضي إلى ثمرة، وفي المجلة زاوية مخصصة لذلك. وعند هذه النقطة أقف لأقول - ولست مزكّياً عملي - كانت تأتيني رسائل تحمل ملاحظات مفعمة بالثناء والإعجاب، وملاحظات أخرى يحب أصحابها عرض وجهات نظر مغايرة، بعضها إيجابي وبعضها سلبي، وأعترف أن بعضها قد خطر على بالي لكنني وجدتها مرجوحة، فأخذت بوجهة النظر الراجحة، أو أن وجهات نظرهم لا تتمشى مع توجهات المجلة وسياسة النشر بها.

أما الملاحظات الإيجابية التي تقدّم إضافة جديدة للحلقة، فأعترف أيضاً أنني أستفيد منها، ولكيلا أحرم القارئ من مثل هذه الملاحظات القيمة سأضيفها إلى مادة الحلقة، وسوف تنشر جميعاً في الكتاب الذي وعد الدكتور زيد بنشره، بعد أن تجمع الحلقات المنجزة حتى الآن بعد تنقيحها وإضافة ما يمكن إضافته إليها، وشرح ما يمكن شرحه بعد القراءة وتعليقات القراء مع التعمق من أجل رؤية تحليلية. تلك الرؤية التي لم تكن تتسع له الصفحتان المخصصتان في المجلة للزاوية.

وإني أعمل الآن على الأخذ بهذه التوجيهات وجمع تلك الملاحظات، وآمل أن يصدر الكتاب في جزئه الأول عندما تُستكمل مادته التي أعدها بشيء من الأناة، وقد شرعت في إعادة كتابة بعض الحلقات في ضوء هذه الرؤية الجديدة، وبشيء من التعمق الذي يسمو بهذه الحلقات من مستوى المقالة إلى مستوى البحث، فوجدت حجم بعض الحلقات القديمة قد تضاعف مرات ومرات، وبعضها لم أتمكن من أن أضيفَ إليه إلا الصفحة أو الصفحتين، وقد اقتصر الإضافة على السطر أو السطرين، ولكنني لا أدخر جهداً في تقديم ذلك الكتاب بشكل أرضى عنه، وترضى عنه دار الفيصل الثقافية، والقراء إن شاء الله.

ومع كل هذه التحفظات كثيراً ما كنتُ أستغل موضوع الأبيات لعرض وجهة نظر عصرية، أو لمناقشة قضية اجتماعية أو إنسانية مطروحة على بساط النقاش والحوار، وعملتُ على مقارنة الأبيات الشعرية القديمة بالقضية الإنسانية الحديثة، لأجعل من هذه الحلقات وسائل حافزة على نشر الفضيلة والخلق الكريم والتربية المثلى، لجعل الشباب الذي غدا في هذا الزمن وفي ظل الحضارة المعاصرة، وفي العالم الذي غزت فيه الفضائيات الناس في عقر دارهم ريشةً في مهب الريح، أو أناساً تتحكم فيهم الشهوات والملْهيات، والنظر في عبادة الذات. أكتب لجيل الشباب خاصة الذي أسرف في نشدان الحرية حتى ذابت الحرية وتلاشت على يديه، أو اقتربت الحرية عنده من الفوضى، فراح يحاول الانعتاق من القيم، ويسخر من التقاليد، ويزدري الموروثات، أسرف في التغني بالإنسانية حتى اضمحلت مقومات الإنسانية بين عينيه، جيل رفع شعار إعزاز البشرية والمُثل العليا، ولكنه سقط أو كاد، فوجد نفسه يعبد الذات والمثل الدنيا. أراد أن يصعّد ميوله نحو الأعلى، فوجد نفسه ينزلق نحو الأسفل،

لا يسعني وأنا أحس أنني أجبت عن السؤال الذي طرحته عنواناً لهذه الحلقة، لعله هو السؤال الذي يطرحه كل قارئ متابع لهذه الحلقات، إلا أن أشكر مجلة الفيصل التي أتاحت لي أن أقدّم ما عندي من بضاعة فكرية وثقافية إلى جيل الشباب الذي كان في أمسه خيراً من حاضره وأرجو أن يكون في غده خيراً من حاضره، والله الهادي إلى سواء السبيل.

البريد الثقافي

هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

VIA AIR MAIL
PAR AVION

س **لماذا يتم التعتيم إعلاميًا على جائزة الملك فيصل في العالم العربي، بينما يكون الاحتفاء من نصيب جائزة نوبل وما دونها من جوائز الغرب في السينما وغيرها مثل الأوسكار وكان؟**



القارئ هيثم توفيق
جبر ـ السودان.

على الرغم من اعترافنا بثقافة الغرب غريبها وعاديها، الشاذ منها والمنتظم، وعلى الرغم من اغتراف كثير من أبناء العروبة واتخاذهم نور الغرب وناره نبراسا لهم، إلا أن الغرب يظل ينكر علينا أي تقدم أو تطور في حياتنا ثقافة وفكراً، وأدبا وفلسفة، اقتصاداً وعلوما، سياسة وحكما. وكثير منا تابع للغرب في تجاهله لإنجازاتنا. ويعود هذا الموقف إلى دونية ثقافية لا أساس لها، كما يعود في معظم الأحوال إلى خواء عقول الكثير من إعلاميينا الذين ينتظرون إملاءات الغرب عليهم: ماذا نكتب؟ وماذا نقول؟ هذه أسئلة يتركها إعلاميونا ـ إياهم ـ في انتظار بركات الغرب.

وتصيب هذه المعاملة الأحادية التقدير جائزة الملك فيصل العالمية في العلوم الإنسانية والتجريبية. وإذا كانت الجائزة تحتفل كل عام بالمبرزين من أبناء أمتها في الأدب العربي والترجمة وخدمة الإسلام، فإنها تخصص جائزة في الطب أو الكيمياء أوالفيزياء أو علوم الحياة كل عام مع جائزة الأدب العربي وخدمة الإسلام.

وجائزة الملك فيصل التي أنشئت عام ١٣٩٧هـ في ثلاثة فروع هي خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، ثم أضيف إليها جائزتان في مجالي الطب والعلوم عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م، تمنح الفائز ميدالية ذهبية وشهادة تقديرية ومكافأة مالية قدرها ٧٥٠٠٠٠«سبعمئة وخمسون ألف ريال سعودي» (الفيصل: ع ٢٢١ ذو القعدة ١٤١٥هـ، نيسان /أبريل ١٩٩٥م).

ويعلم القاصي والداني أن منح الجائزة له قواعد صارمة ولجان تحكيم محايدة لا غرض لها سوى اختيار الأفضل والأعلى قيمة، والأكثر جدية، والأعمق من حيث الأصالة والجدة، والأوثق من حيث المصادر والمرجعية والعلمية. ودليل ذلك أنها منحت لمئة وثلاث من الشخصيات من مختلف بقاع الأرض دون تمييز بين لون أوجنس. فالجائزة لها قواعدها التي ثبتت مصداقيتها.إن الفائزين بها يحصلون بعدها على جوائز لا تقل شأنًا ـ وإن كانت تقل ماليًا ـ عنها في بلدانهم ، مثال ذلك الأستاذ الدكتور عبد القادر القط الذي حصل على جائزة الملك فيصل عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م وكذلك حصل الدكتور جيرونغ والدكتور روهر على جائزة نوبل في الفيزياء وكان قد سبق لهما الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية في العام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (المصدر السابق). وقد حجبت الجائزة مرات عديدة لعدم رقي الأعمال المرشحة لنيل أصحابها تلك الجائزة.

ولا أظن أنه من الضروري أن نبادل تجاهل مكانة جائزة الملك فيصل وقيمتها، سواء في الغرب أو في جنبات عالمنا العربي، بانحناءة أو بسكوت سلبي. وأجد ضروريا أن أقول إن جوائز نوبل للسلام التي تمنح من وقت لآخر هي أولاً تمثل خلفية سياسية لا غموض فيها. الشاويش(الرقيب) مناحيم بيجين منح تلك الجائزة، لأنه وقع اتفاق كامب ديفيد مع الرئيس السادات عام ١٩٧٨م. وتلك اللحظة هي الوحيدة التي يحسبها الغرب الأحادي النظرة ـ لمناحيم بيجين. وقد نسي ذلك الغرب التاريخ الدموي لذلك الرقيب في دير ياسين وغيرها فيما قبل وفيما بعد ١٩٤٨م، مما تزال عقول الشيوخ وكبار السن تذكرها. الغرب غض الطرف عن الكراهية التي أجج بها أركان حزب الليكود وأصنامه حتى طلع علينا الابن الأفضل والأوفى لحزب الليكود ألا وهو بنيامين نتنياهو، الذي يرى أن سلام بيجين ما كان يجب أن يحدث، وأنه يلومه في توقيع ذلك الاتفاق.(بنيامين نتنياهو «مكان تحت الشمس» ترجمة محمد عودة الدويري، عمان: دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ط٢ ص٣٥١، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٠٥) كما يلوم سلف شامير في توقيع اتفاق أوسلو الذي تنكر له تنكرًا كاملا. وإذا كانت جائزة نوبل للأدب قد منحت العام الماضي (١٩٩٧م) للشاعر الإيرلندي سيمس هني، فإن إرضاء الشعب الإيرلندي ومحاولة الأسف على ما فقده تظل حقيقة مكشوفة.

إن عبقرية سيمس هني ليست بالعبقرية التي تجعل منه الوحيد

الذي يستحق نوبل بين شعراء الشعوب التي لها قضية.

وإذا كانت نوبل تمنح لشاعر خدم قضية بلده وشعبه فلماذا لا تمنح لشعراء فلسطينيين كبار ناضلوا وقاتلوا بالكلمة قتالاً أعنف وأشرس ممن قاتلوا بالبندقية والمدفع؟ لماذا لا تمنح الجائزة لشعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم؟ لماذا لم تمنح للجواهري رحمه الله، وقد عاش جزءاً كبيراً من حياته لاجئاً خارج بلاده لا يستطيع العودة إليها، وقد أسقطت عنه الجنسية العراقية هو وعبدالوهاب البياتي في يوم واحد، فيموت الأول بعد سنة، ويظل الثاني لاجئاً بين بلاد تقبله وأخرى ترفضه حتى أتاه اليقين.

وإذا كان معيار منح جائزة نوبل للسلام هو التوقيع على اتفاقات السلام والابتسامات الطارئة التي تظهر أمام شاشات التلفاز فقط، فإن الخوف كل الخوف أن تطبق المعايير نفسها على جوائز الأدب وباقي أفرع خدمة السلام والإنسانية. والخوف كل الخوف أن تظل إحدى أسس منح جائزة نوبل في الأدب أن يأتي مبدع، أومبدعة بالغريب والمخالف للأنماط السائدة في مجتمع المبدع أوالمبدعة. وإذا كانت المخالفة للموجود ظاهرة صحية في صنع الحضارات ورقي الإنسان، فإن منح الجائزة للخارجين على الدين والأعراف والتقاليد يشكك في مصداقيتها وجدية القائمين عليها.

لقد منح الأستاذ الدكتور أحمد زويل (مصري أمريكي) جائزة الملك فيصل في العلوم (فيزياء) عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، مناصفة مع الدكتور ثيودور هنيش، اعترافاً من لجنة الجائزة بفضله وإنجازه في تخصصه، وأحمد زويل يمنح الجائزة تباعاً كل فترة، ولا توجد هيئة علمية تنكر فضله أو تتنكر لجدة وجدية أبحاثه. وقد شاع في الآونة الأخيرة أنه رشح لجائزة نوبل في العلوم، إلا أن ذلك لم يتحقق. وأظن أن إحجام القائمين على الجائزة عن منحه إياها يعود لأسباب لا علاقة لها بجدة أوجدية أبحاثه في تطبيقات الليزر وغيرها. ويظل منح أحمد زويل جائزة نوبل في العلوم اختباراً حقيقياً لنزاهة القائمين على جائزة نوبل وحيادهم. أم ينبغي لأحمد زويل أن يغيّر اسمه ودينه كما رأى الجاحظ، منذ قرون، حتى يحصل على الجائزة؟.

د. بشير العيسوي
جامعة عين شمس ـ القاهرة.

يسأل كثير من الأسئلة عن موقف الإعلام من جائزة الملك فيصل العالمية، ولمَ يكون التعتيم إعلامياً على هذه الجائزة، بينما يكون الاحتفاء نصيب جائزة نوبل وما دونها من جوائز الغرب في السينما وغيرها مثل الأوسكار وكان؟

ومثل هذه الأسئلة مشروع في الغرب في ظل ما يشاع عن التزام الإعلام الغربي الموضوعية في الطرح والحياد التام في التناول لمجمل القضايا الإنسانية، فرسالة الإعلام هي إخبار المتلقي بكل ما يدور في كل المجتمعات الموالية والمعادية له بكل موضوعية وتجرد.

وعندما يهتم الإعلام الغربي بنقل أخبار الأحداث الكبيرة والشهيرة، مثل جائزة الملك فيصل العالمية فإنه ينقل إلى مجتمعه جانباً مهماً من حياة المجتمع العربي والإسلامي بكل ما يمثله من مدلولات حضارية، كما أن فيه وفاء بمقتضيات أمانة الكلمة التي يدّعيها القائمون عليه من حياد وموضوعية.

هذا وتمثل جائزة الملك فيصل العالمية معلماً ثقافياً بارزاً، فهي حضارية المظهر والمنظر، وقد أصبحت المؤسسات التي تنفق على تشجيع البحوث العلمية، وتخصص الجوائز لتكريم العلماء والأدباء وقادة الفكر وأهل الفنون، من أبرز مفاخر الدولة الحديثة.

وهي عالمية الاتجاه نالها العربي المسلم، ونالها المسلم غير العربي، ونالها من ليس بعربي ولا مسلم لأنه إنسان قد خدم الإنسانية بعلمه وجهده.

هي ذات نظرة شاملة تستوعب ميادين العلم والبحث على تعددها، وهي تتوخى وجه الحق والعدل، لا تميل بها عصبية سياسية، ولا أهواء مذهبية. فحري بمثل هذه الجائزة أن تنال الإعلام الواسع والكافي. وهي تلقي بتبعات عظيمة على إعلامنا العربي، إذ عليه ألا يقف عند حدود الخبر المجرد، بل عليه أن يقوم بالتعمق في دلالة هذه الجائزة الحضارية، مما يثري معرفة المتلقي ويزيده التصاقاً بتراثه العلمي والإسلامي من واقع المعرفة الأكيدة له، كما أنّ هذا المنحى يزيد من احترام الآخرين للإعلام العربي.

وقد اشتهرت ـ بحمد الله ـ جائزة الملك فيصل العالمية، وبلغت سمعتها وشهرتها الافاق، وأملنا أن تزداد سمعة ورفعة.

وما هذا التعتيم الإعلامي الذي يبدو إلا بسبب دعوتها للقيم النبيلة التي دعا إليها الإسلام، وأعداء الإسلام الذين يتربصون به كثر، وهم الذين يتحكمون في وسائل الإعلام، وهم يتجاهلون كل ما يتصل بقضايا الأمة العربية والإسلامية، ولن ينالوا بعون الله من الإسلام شيئاً.

ما اهتمام إعلامنا العربي بجوائز الغرب، وإضفاء صفة العالمية عليها، إلا لأنها قد وجدت القبول والتشجيع من جانب بعض القراء والمشاهدين لمختلف وسائل الإعلام. وتأثر الجيل الحالي من وسائل الإعلام الجماهيرية كبير، خاصة التلفاز، ووسائل الإعلام تسعى لكسب الجمهور عن طريق تشويقه، وإمتاعه، وإثارة مشاعره، بما تبثه من أخبار ممثلات الإغراء، ونجوم الغناء والطرب، لإبعاده عن قيمه وفكره الأصيل، لذا كثر اهتمامها بجوائز السينما وغيرها مثل الأوسكار وكان.

هذا ولا بد من إرساء علاقة إيجابية مع وسائل الإعلام، وتبادل الأفكار والمرئيات معها حتى يكون لدينا إعلام مضيء حقيقة ينشر مايريده الإنسان المسلم، وما يلزمه في دينه ودنياه، وما يربطه بماضيه، ويعده لمستقبل أفضل.

د. الحسين الخزينة عبدالرحمن
جامعة الملك سعود
كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية.

مادة «ع ج م» لغة، وثقافة ٢/٢



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

ومِن المعاني الجامعة المشتقة من المعنى الأصلي لهذه المادة: العَجَم - بفتح العين والجيم -، والعُجام (بضم العين وتخفيف الجيم)، وهو نوى كل شيء من تمر ونبق وغيرهما، الواحدة عَجَمة (بفتح العين والجيم).. وحكى ابن السكّيت: العَجْمة - بفتح العين، وسكون الميم - من لغة العامة.. وشاهدُ العُجام قول رؤبة:

في أربعٍ مثلِ عُجَّام القَسْب.

ويشمل العَجَم كل ما كان في جوف مأكول كالزبيب.. قال أبو ذؤيب الهذلي:

مُستوقد في حصاه الشمسُ تَصهره
كأنه عَجَمٌ بالبيد مرضوخُ

بالخاء المعجمة، وروي بالحاء المهملة.

قال أبو عبدالرحمن: عامة نجد يستعملونها بالحاء المهملة.. يقولون: فلان مثل رضاح العبس.. والعبس نوى التمر.. وبادية نجد لا تزال تسميه عجمًا، وفصمًا.

وقد بين الراغب وجه اشتقاق العجم من الخفاء؛ فقال: «والعَجَم: النوى، والواحدة عَجَمة: إما لاستتارها في ثني ما فيه، وإما بما أخفى من أجزائه بضغط المضغ، أو لأنه أُدخِل في الفم حال ما عض عليه فأخفي».

وأخد من النواة العجمة بالفتح - وفي لسان العرب بالتحريك - اسمًا للنخلة تنبت من النواة.. وصوب الزبيدي التحريك، وشبهوا بعَجْمة النخل الصخرة الصلبة تنبت في الوادي، ولكن بسكون الجيم.. قال أبو دواد يصف ريق جارية بالعذوبة:

عذبٌ كماء المزن أنْـ..
زَلَهُ من العَجَمات باردْ

قال أبو عبدالرحمن: وشبه بذلك في الصغر أشياء صغيرة من جنسها مثل صغار الإبل وفتاياها.. قال ابن الأعرابي: بنات اللبون والمخاض والجذع من عُجوم الإبل؛ فإذا أثنت فهي من جُلَّتها.

والعُجوم بالضم جمع عجْم بسكون الجيم.

ومن معاني المادة العض من أجل الاختبار، فكأن العضَّ صدر لاكتشاف شيء خفي، ثم توسع به لمطلق العض، ثم توسع به للكسر، فكانوا يجمعون القِدْح بين الضرسين - إذا كان معروفًا بالفوز - ليؤثروا فيه أثرًا يعرفونه.

وقالوا عن قول النابغة:

وظل يعجم أعلى الروق منقبضًا
في حالك اللون صَدْقٍ غير ذي أَود

عضه ليعلم صلابته من خَوَره.. أي عض أعلى قرنه وهو يقاتله.

وعجمه: لاكه للأكل أو للخبرة.. وعجم فلانًا بمعنى رازه.. وعلى هذا قول الحجاج: «إن أمير المؤمنين نكب كنانته، فعجم عيدانها عودًا عودًا؛ فوجد فيَّ أمرّها عودًا».. يريد أن قد رازها بأضراسه لِيَخبُرَ صلابتها.. وعلى ذلك أيضًا قول الأخطل:

أبى عودُك المعجوم إلا صلابةً
وكفّاك إلا نائلاً حينَ تُسأل

وعَجَم السيفَ هزه تجربة.

وسميت الأسنان عواجم، لأنها تعجم بالقضم.

ورجل صلب المَعْجَم والمَعْجَمَة - على وزن مقعد ومرحلة - بمعنى عزيز النفس إذا جرَّسَتْهُ الأمور وجدَتْه عزيزًا صلبًا.. قال ابن بري: هو من قولك: عود صلب المعجم.

قال أبو عبدالرحمن: هذا صحيح وإن كان المأخذ واحدًا من كون كل واحد منهما بمعنى المجرب، والتجريب هو لإزالة الخفاء؛ إلا أن الأصل في اشتقاق المعنى من عض الأضراس، ثم حمل التجريب بغير عض على التشبيه.

ونقل الجوهري: «الثور يعجم قرنه إذا ضرب به الشجر يلوه، أي يختبره».

وعجمته الأمور دَرَّبته، ويقال: عجموه ولفظوه.. إذا جربوه فعرفوه.
قال أبو عبدالرحمن: وكما يكون الاختبار بالأضراس يكون بالعين.. قال أبو حية النميري (ت:١٨٣هـ).

على أن البصير بها إذا ما
أعاد الطرف يعجم أو يَفيل

..أي يعرف أو يشك.
وقال أبو داود السنجي: رآني أعرابي فقال لي: تعجُمُك عيني.. أي: يخيل إلي أني رأيتك.
قال الزبيدي: «وما عجمتك عيني منذ كذا.. أي ما أخذتك كما في الصحاح.. وفي بعض نسخه ما نظرتك.. يقول ذلك الرجل لمن طال عهده به.. ويقال: رأيت فلانًا، وجعلت عيني تَعجُمه - بضم الجيم -.. أي كأنها تعرفه ولا تمضي على معرفته.. كأنها لا تثبته.. عن اللحياني».
قال أبو عبدالرحمن: ووجه الاشتقاق إما مباشرة، بأن العين تكرر النظر تكرارًا صادرًا عن خفاء وشك، فسمي تكرارها عجمًا.. وإما على التشبيه بعجم الأضراس؛ وهذا التشبيه مراعى في مجاز العوام.. يقولون.. فلان قطَّع أشباه فلان.. إذا قلَّب النظر فأحاط بصفاته.
والتجربة تكون لمن تخيل فيه المراد، وذلك ينتج عادة كيسًا وحزمًا؛ لذلك سمي العاقل المميز من الرجال عجميًا.
وبما أن العجم قضمًا ونطحًا كان ابتداءً لأشياء يراد معرفة صلابتها، فقد توسع الاستعمال بمجاز آخر، وهو إطلاق المادة على الشيء الصلب، وعلى القوة، وما صدر عن القوة من نشاط وسرعة؛ فمن ذلك العَجَّام - بفتح العين، وتشديد الجيم -، وهو الخفاش الضخم والوطواط(١)، وناقة ذات مَعْجَمة (بفتح الميم، وسكون العين، وفتح الجيم والميم): أي ذات قوة، وسمن(٢)، وبقية على السير.. أو ذات صبر وصلابة وشدة على الدَّعْك.
وقال الزبيدي: «والعجومة الناقة القوية على السير.. وكذلك العجوم كالعجمجمة، وهي الناقة الشديدة مثل العثمثمة.. نقل الجوهري عن أبي عمرو، وأنشد أبو عمرو:

بات يباري وَرِشات كالقطا
عَجَمْجَمَاتٍ خُشُفًا تحت السُّرى

والعِجْرِم (بكسر العين) القصير الشديد كما في الصحاح.. وقيل: هو الغليظ السمين، ويفتح.
والعُجْرُم (بضم العين) الجمل الشديد.. وقيل: كل شديد عجرم.. وهي بهاء.. يقال: ناقة عُجْرُمة.
والعُجارم - بضم العين -، والعَجْرَم (على وزن جعفر)، والعُجْرُم (على وزن قنفذ): الرجل الشديد.. واقتصر الجوهري على الأول.
والمعجرم سنام البعير.. وقال أبو حنيفة: كل معقَّد معجرم.
والعجرمة مثلثة مئة من الإبل أو مئتان أو ما بين الخمسين إلى المئة.. والعجرمة بالضم شجر من العضاه غليظ عظيم.. له عقد الكعاب، تتخذ منه القسي.

وقال أبو حنيفة: العُجرمة والنشمة شيء واحد.
ويكسر.. هكذا وجد مضبوطًا في نسخ الصحاح بخط أبي زكريا قال والصواب بالضم، وصَوَّبه أبو سهل الهروي، ذكرهما ابن سيده معًا.. جمعه عُجْرم وعِجرم على اللغتين.. قال العجاج ووصف المطايا:

نواحلا مثل قِسِيِّ العِجرِم

وعجرمة اسم رجل.
والعَجرمة بالفتح: الإسراع كما في الصحاح.. زاد ابن بري: في مقاربة خَطو، وأنشد لعمرو ابن معد يكرب، ويقال: لأسعر بن حُمران

أما إذا يعدو فثعلبُ جَرية
أو ذئبُ عادية يُعجرِم عَجرمه

وقال ابن دريد: العجرمة مشي فيه شدة وتقارب.. وقال رجل من بني ضَبَّة يوم الجمل:

هذا عَلي ذو لَظًى وهمهمهْ
يُعجرِم المشيَ إلينا عَجرَمهْ
كالليث يحمي شِبله في الأجَمَه

ومما يستدرك عليه العُجرمة بالضم: شجر تتخذ منه القسي.. وناقة معجرمة: شديدة.. قال أبو النجم: مُعجرمات زُبَّلاً سغابلا
وعجوز عجرمة بالكسر: لئيمة قصيرة.. نقله الأزهري.
والعجسمة أهمله الجوهري وصاحب اللسان.. وهو بالسين المهملة بعد الجيم: الخفة والإسراع.. مقلوب العَجمة كما سيأتي.
والعجالم: أهمله الجوهري وصاحب اللسان.. وهم قوم من أهل اليمن.. وقوله: باليمن مستدرك.. والنسبة عجلمي وهم من قبائل عك كما سيأتي.
والعُجهُوم بالضم أهمله الجوهري.
وقال ابن الأعرابي: هو طائر من طير الماء كأن منقاره جَلَمُ الخيَّاط، كما في اللسان.
قال أبو عبدالرحمن: أما الأسماء والمسميات فمنها ما عرف وجه اشتقاقه، ومنها ما لم يعرف.. وقولهم: الأسماء لا تعلل إنما هو في إطلاقها على الآحاد، أما من جهة أول الاستعمال فلابد من وجه اشتقاقي، وهذه جملة من الأسماء: الأعجم هو لقب الشاعر زياد بن سُليم العبدي اليماني أبي أمامة الشاعر المعروف (ت نحو:١٠٠هـ) لقب بذلك لعجمة في لسانه.
والعجماء واد باليمامة، والعَجَّام الوطواط لكبره.. مأخوذ من الصلب، وبعكسه عَجم الإبل - أي صغارها -؛ لأن المأخذ التشبيه بالنوى في صغره؛ وبهذا تعرف أن التضاد في اللغة لا يأتي وضعًا، بل يأتي لأمور منها تضادُّ مأخذَي الاشتقاق.
وقد مر العجالم من عك، ومن القبائل بنو الأعجم سعد بن الشرس بن السَّكون، وبالنسبة إليه أعجمي، ويجمع على عجمان بضم العين.. وبنو عجمان بطن من العرب.. وتجمع العجمي على أعجام.
وبنو العجمي بيت فقهٍ بحلب، والمعجرم سيف الجارود بشر بن

المعلَّى (ت: ٢٠٢هـ)، وذات العجمْ فرس حنظلة بن أوس السعدي، أو لرجل من بني حنظلة كما قال ابن الكلبي، وفيها يقول الزبرقان بن بدر:

رزئت أبي وابني شريف كلاهما
وفارس ذات العجم حلو شمائله

وأبو العجماء يسير بن عمرو الشيباني

وأخذوا من المضغ التفتيت، ففي الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها: «نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نعجم النوى طبخًا».. أي إذا طبخ التمر للدبس.. أي لتؤخذ حلاوته.. يطبخ عفوًا بحيث لا يبلغ الطبخ النوى، ولا يؤثر فيه تأثير من يعجمه.. أي يلوكه ويعضه فيفسد طعم الحلاوة، كذا في النسخ، والصواب، طعم السُّلافة كما هو نص النهاية.. أو لأنه قوت للدواجن فلا ينضج لئلا يذهب طعمه.. وفي النهاية" قُوَّته.

وقيل هو أن يبالغ في طبخه ونضجه حتى يتفتت النوى وتفسد قوته التي يصلح معها للغنم.

والعواجم والعاجمات الإبل؛ لأنها تعجم العظام.. قال أبو ذؤيب:

وكنت كعظم العاجمات اكتنفنه
بأطرافها حتى استدقَّ نُحولها

يقول: ركبتني المصائب، وعجمتني كما عجمت الإبل العظام.

والمُعجم الذي أُكل حتى لم يبق فيه إلا القليل.. وأنشد ابن الأعرابي لجُبيهاء الأسلمي:

فلو أنها طافت بطُنب معجم
نفى الرق عنه جذبة فهو كالح

قال: والطنب أصل العرفج إذا انسلخ من ورقه.

والمعجوم بالكسر: دويبَّة صلبة كأنها مقطوطة تكون في الشجر وتأكل الحشيش. ومنهم من ضبطه كقنفذ.

قال أبو عبدالرحمن: فتخلص من كل ما سبق أن الأصل في المادة خفاءٌ سَبَبُه حبسة في اللسان، وتعددت الأسماء والأوصاف في هذا، ثم أُخذ من ذلك معنيان جامعان هما الصغر، والصلابة، وتولَّد عن ذينك معان عديدة.. وأختتم هذه المادة بكامل نص الإمام ابن فارس مؤصلاً ومفرعًا.. قال رحمه الله تعالى: العين والجيم والميم ثلاثة أصول: أحدها يدل على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عضٍ ومذاقة:

فالأول الرجل الذي لا يفصح هو أعجم، والمرأة عجماء بينة العجمة.. قال أبو النجم:

أعجم في آذانها فصيحًا

ويقال: عجم الرجل إذا صار أعجم مثل سمر وأدم.. ويقال للصبي مادام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم.. ويقال: صلاة النهار عجماء.. إنما أراد أنه لا يجهر فيها بالقراءة.. وقولهم: العجم الذين ليسوا من العرب؛ فهذا من هذا القياس؛ كأنهم لما لم يفهموا عنهم سموهم عجمًا، ويقال لهم عجم أيضًا(٣).. قال:

ديار مية إذ مَيٌّ تساعفنا
ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

ويقولون: استعجمت الدار عن جواب السائل.. قال:

صم صداها وعفا رسمها
واستعجمت عن منطق السائل

ويقال: الأعجمي الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية.. وهذا عندنا غلط، وما نعلم أحدًا سمى أحدًا من سكان البادية أعجميًا.. كما لا يسمونه عجميًا..

ولعل صاحب هذا القول أراد الأعجم؛ فقال: الأعجمي(٤).. قال الأصمعي: يقال:بعير أعجم.. إذا كان لا يهدر.. والعجماء البهيمة، وسميت عجماء؛ لأنها لا تتكلم، وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم.. وفي الحديث: وجرح العجماء جبار.. تراد البهيمة.

قال الخليل: حروف المعجم مخفف.. هي الحروف المقطعة؛ لأنها أعجمية، وكتاب معجم، وتعجيمه تنقيطه كي تستبين عجمته ويتضح.. وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها مادامت مقطعة غير مؤلفة غير تأليف الكلام المفهوم فهي أعجمية؛ لأنها لا تدل على شيء؛ فإن كان هذا أراد فله وجه.. وإلا فما أدري أي شيء أراد بالأعجمية.. والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم حروف الخط المعجم، وهو الخط العربي؛ لأنا لا نعلم خطًا من الخطوط يعجم هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة.. فأما أنه إعجام الخط بالأشكال فهو عندنا يدخل في باب العض على الشيء؛ لأنه منه، فسمي إعجامًا لأنه تأثير فيه يدل على المعنى.

فأما قول القائل: يريد أن يعربَه فيعجمه؛ فإنما هو من الباب الذي ذكرناه.. ومعناه يريد أن يبين عنه فلا يقدر على ذلك، فيأتي به غير فصيح دال على المعنى، وليس ذلك من إعجام الخط في شيء»(٥).

قال أبو عبدالرحمن: لو دُوِّن المعجم العربي على هذا النحو لسهل استيعاب جمهرة اللغة، والفقه فيها.. وهذا مطلب رفيع عجزتُ عن تحقيقه، ولايزال يتعلق به طموحي.

وأما العَجْم بفتح العين وسكون الجيم بمعنى أصل الذنب: فليس من هذه المادة، بل هو إبدال من الباء كما قال اللحياني.

الهوامش

١ـ استدرك الزبيدي بكلام شيخه صاحب إضاءة الراموس في رده على الفيروزآبادي في القاموس، فقال: «قال شيخنا: تقدم للمصنف تفسير الخفاش بالوطواط، وبالعكس.. وهنا عطفة كأنه مغاير.. والذي عليه أكثر أهل اللغة: أن الكبير وطواط، والصغير خفاش».

٢ـ قال الزبيدي: «أنكر شَمر قولهم: ذات سِمن.. قال المرار

جمال ذات معجمة ونوق
عواقد أمسكت لَقَحًا وحُوْلُ

وقال ابن بري : هي التي اختبرت فوجدت قوية على قطع الفلاة.. ولايراد بها السمن كما قال الجوهري، وشاهده قول المتلمس:

جاوزْتُه بأمون ذات معجمة
تهوي بكلكها والرأس معكوم».

٣ـ هذا العطف وما بعده لما سبق مباشرة ليس فيه قول جديد.

٤ـ هذا هو المحقق لغة.. يقال: أعجم.. ولا يقال: أعجمي ولا عجمي.. فإن وصف بدوي حبيس اللسان بالأعجمية والعجمية: فذلك ادعاء أدبي، وليس معنى لغويًا.

٥ـ مقاييس اللغة ص ٧٤٢ - ٧٤٣.

المتنبي والمال

د. نوره الشملان

أدرك المتنبي منذ شبابه المبكر أن المال هو المعيار الأوحد لتقويم الناس في مجتمع فاسد كالمجتمع الذي عاش فيه؛ ويذكر الرواة أن بداية إيمان المتنبي بذلك كان بعد موقف حدث له في بغداد، ملخصه أنه ذهب لشراء بطيخ، ولم يكن يملك إلا خمسة دراهم، ومن المعروف أن المتنبي كان ابن سقاء فقير، فرفض البائع أن يبيعه ذلك البطيخ إلا بسبعة دراهم لم يكن شاعرنا يملكها، وبينما هو منصرف من دكان البقال، إذا برجل يقبل، وإذا بالبقال يهرع إليه مقدمًا أمامه فروض الاحترام والإجلال والخضوع، فاختار هذا الرجل البطيخ الذي اختاره المتنبي، وسأل البائع عن السعر فأخبره أنه خمسة دراهم وأصر البائع على إيصال البضاعة إلى دار الرجل.

عجب المتنبي من هذا السلوك، وحينما طلب تفسيره علم أن هذا الرجل من أثرياء بغداد، وأنه يملك آلاف الدراهم.

أيقن منذ ذلك اليوم أنه لابد أن يحصل على المال، فبدأ حياته المتعبة اللاهثة وراءه، وعبر في وقت مبكر في حياته عن أهمية المال كقوله مخاطبًا نفسه:

إذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدًا
فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان ثروة أو منيةٌ
لعلك أن تُبقي بواحدة ذكرا

وقد حصل المتنبي على المال من شعره الذي أهداه للممدوحين، وتولد من أمله في الحصول على المال أمل آخر، وهو الحصول على المجد. والمجد عند المتنبي لا يمكن تحديده، وأول درجات المجد عنده أن يتميز من سواه من الشعراء، فلا يكون واحدًا من مجموع من الشعراء الذين يقفون على أبواب الممدوحين، وقد عبَّر عن هذا التميز في مخاطبته لأبي العشائر الحمداني حين قال:

فسرتُ إليك في طلب المعالي
وسار سواي في طلب المعاش

وأتعبه السعي في سبيل مجد موهوم لم تتحدد معالمه في ذهنه، وأخذ يقرِّع نفسه المتمردة دومًا، الساعية إلى المجهول، فيقول:

وأتعب خلق الله من زاد همّه
وقصّر عما تشتهي النفس وجده
وفي الناس من يرضى بميسور حاله
ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبًا بين جنبيَّ ماله
مدى ينتهي بي في مرادٍ أحدّه
يرى جسمه يكسى شفوفًا تربّه
فيختار أن يكسى دروعًا تهده

ويبدو أن المتنبي عندما شبع من المال تطلع إلى المساواة بالممدوحين، ومن هنا نجده يشترط على سيف الدولة شروطًا اتهمه الناس فيها بالجنون، واتهموا سيف الدولة أيضًا بالجنون لأنه قبلها؛ من هذه الشروط عدم تقبيل الأرض بين يدي الأمير قبل إنشاد الشعر، وكانت هذه العادة متبعة في مخاطبة الممدوحين، كما أن من عادة الشاعر أن ينشد، وهو واقف، فتمرد المتنبي على ذلك مشترطًا أن ينشد وهو جالس، وما ذلك كله إلا رغبة منه في المساواة بالممدوح، وأنه يقف منه موقف الصديق من الصديق أو الندّ من الند لا الممنوح من المانح.

وكان يحلم بالإمارة، ومن هنا فقد صدّق وعود كافور له، وترك سيف الدولة أملاً في أن يعطيه كافور ولاية، ولما طال نشيده عنده، وطال استماع كافور لدرر المتنبي دون أن يبر بوعده خاطبه شاعرنا قائلاً:

أبا المسك هل في الكأس شيء أناله
فأني أغني منذ حين وتشرب

وحين عامله كافور معاملة: الصديق القريب لم تقنعه هذه المعاملة لأنه كان يسعى للأمل الذي جاء من أجله فخاطب كافورًا قائلاً:

وهل نافعي أن تُرفع الحُجْبُ بيننا
ودون الذي أمّلت منكَ حجاب

والمال لا يكفي، فيخاطب كافورًا قائلاً:

إذا لم تُنط بي ضيعة أو ولاية
فجودُك يكسوني وشُغلُك يسلُب

وكاد يستجديه الولاية حين قال:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة
سكوتي بيان عندها وخطاب

ما أجمل السكوت حين يكون أبلغ من الخطاب!! ولكن كافورًا تجاهل ذلك كله، فخسر المتنبي وسلبه كل ما قاله فيه من مدح، وصب عليه غضبه الشديد في هجاء لاذع، وهكذا خسر كافور، وربح الأدب العربي فنًا متميزًا هو الهجاء الساخر أو الكاريكاتيري.



د. مصطفى الشكعة

الأدب الإسلامي هو مرآة الحياة الإسلامية بكل رقيها وإنسانيتها

أجراه: خالد محمد خلاوي

للأدب دور كبير في حياة الأمم، فهو أحد معالم حضارتها، وهو مرآة لحياتها وواقعها. ولقد مر على الأدب العربي الإسلامي فترات من تاريخه تعرض فيه لظلم كبير، سواء في واقعه آنذاك، أو من بعض دارسيه الذين ظلموا فترات طويلة من تاريخ أدبنا، إلى أن قام فريق من الباحثين المخلصين ليرفعوا هذا الظلم ويردوا الأدب إلى موكب الحضارة العربية الإسلامية ـ ومن هؤلاء الدكتور مصطفى الشعكة، وهو أحد أعلام الفكر والثقافة في الوطن العربي.. وحول قضية الأدب ودوره الحضاري وحضور الأدب الإسلامي على الساحة، ثم تأثير الاستشراق في دراسة تاريخ الأدب العربي، وحول ملامح المستقبل للأدب الإسلامي كان لنا معه هذا الحوار:

كان ـ كان لكم اهتمام خاص بدراسة الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، فما موقع الأدب في المشروع الحضاري الإسلامي؟

* الأدب في أي أمة جزء من مشروعها الحضاري، تلك قضية بديهية، فإذا ماكان الأمر متعلقًا بنا، نحن المسلمين، فإن أدبنا قد أدى مهمته بكفاءة واقتدار منذ فجر الرسالة المحمدية. وإنني أقرر بكل اطمئنان أن الأدب بعامة، والشعر بصفة خاصة، قد خاضا معركة الدعوة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ببسالة، وإن قصيدة حسان أو كعب بن مالك أو عبدالله بن رواحة لم تكن أقل أثرًا من سيف حمزة أو رمح علي..

بل إن من الأدباء الشعراء من كان ينافح بقلمه ويحارب بسيفه في وقت واحد مثل عبدالله ابن رواحة الذي استشهد في غزوة مؤتة، والعباس بن مرداس ـ ابن الصحابية الشاعرة الخنساء ـ الذي كان يغزو بسيفه وشعره معًا.

وقد ظل الأدب الإسلامي يواكب الفتوح ويعلن عنها في عهد بني أمية وبني العباس، وفي الحروب الصليبية وحرب التتار، وفي معارك الاستقلال الحديثة، وعلى من يريد المزيد أن يراجع شعر البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم وبدوي الجبل وعمر أبي ريشة ومعروف الرصافي وشعراء فلسطين والمغرب العربي وهم لا يحصون عددًا..

ـ ما دور الأدب في تعميق الانتماء للهوية العربية الإسلامية؟

* أيّ صاحب قلم شريف لابد أن يكون ذا انتماء لقومه وهويته، وهناك بعد ذلك فريق من أصحاب الأقلام الكاتبة أو الشاعرة يشذ عن هذا الطريق تحت دافعين لا ثالث لهما: فإما أن يكون دافع: (خالف تُعرف)، وربما يساعده ذلك على ظهور اسمه في وسائل الإعلام، وهذا لا يحسب له، فإن الكثير من اللصوص تذكر أسماؤهم في وسائل الإعلام.

وإما أن يكون مبهورًا بشكليات تظهر في هذا الأدب أو ذاك من آداب أمم تختلف معنا في العقائد والقيم، وهذا النوع من أصحاب الأقلام لا يلبث أغلبهم أن يكتشف خطأ الطريق الذي سلكه وحينئذ يعود إلى موكب الانتماء إلى أدب قومه وفكرهم، أما الذي يُصر على الخطأ فإنه يلحق بركب الطريق المضاد الذي أشرنا إليه قبل قليل..

وقد تحقق ذلك في الماضي، والمثال على ذلك رجل مثل الدكتور محمد حسين هيكل اعتمد الأدب المادي حينًا، والفرعوني حينًا آخر، ثم مالبث أن استوى على الطريق السوي فقامت شهرته الكبيرة على نهج استوائه وصوابه. ويمكن أن يقال ذلك بشكل أو بآخر على الأستاذ العقاد في مراحل باكرة من مراحل أدبه وقلمه.

ـ على الرغم من ظهور الأدب الإسلامي على

الساحة إلا أن تيار التغريب والتبعية في الأدب مازال مهيمنًا على مساحات كبيرة في واقعنا الثقافي؟

* ليس صحيحًا أن تيار التغريب والتبعية يهيمن على واقعنا الثقافي، فالواقع الثقافي العربي والإسلامي هو سيد الساحة في كل الأقطار العربية، أما مايبدو أمام الأنظار من بروز لما تسميه تيار التغريب فإن ذلك شيء موقوت وسيزول بزوال أسبابه، وهذه الأسباب معروفة، وهي متمحورة في تمكين قلة من أصحاب الأفكار المستوردة من السيطرة على وسائل الإعلام من صحافة ونشر وإذاعة وتلفاز، ويقابل ذلك وضع العراقيل أمام كل تيار ثقافي أو أدبي راشد، والحيلولة دون إذاعة كل فكر جاد أو نشره. إن مانسميه تيار التغريب لا يعدو أن يكون فقاقيع متجددة لا تلبث أن تنفجر وتتبدد؛ وإن دوام الفساد في جسم سليم - هو جسم أمتنا - أمر مستحيل، ولقد مرت أمتنا بمواقف وفترات لا تقل سوءًا عما نحن فيه الآن، وإن الليل المظلم مهما طال فسوف يتبدد لكي يحل مكانه النور والصواب.

- إذن ما تقويمكم للنموذج الأدبي الإسلامي الموجود الآن على الساحة؟ وهل يوجد مذهب نقد أدبي إسلامي يواكب هذا النموذج؟

* النموذج الأدبي الإسلامي ليس جديدًا على الساحة، إنه موجود دائمًا ومواكب لمسيرة أدبنا منذ أنعم الله على الأمة بالرسالة الخاتمة، ولكنه كان يخبو ضوءه في بعض الفترات.

لقد ظل النموذج الإسلامي مزدهرًا حتى بداية العقد السادس من هذا القرن، ويستطيع أي متابع للمسيرة الأدبية أن يلمس ذلك بوضوح إذا مااستقرأ النماذج الأدبية في بلادنا العربية من عراق ويمن وشام وسودان وأقطار مغربية، ولم تنحسر الموجة وإنما قيدت حين سيطر الفكر الماركسي على معظم البلاد العربية فأنشؤوا تيارًا مضادًا للإسلام تأثرت به بعض البلدان التي كانت بمنأى عن الماركسية، وما إن انهزمت الماركسية رسميًا حتى عاد الأدب الإسلامي بكل زخمه الكاسح إلى الظهور في البلدان العربية على الرغم من محاربته في كثير من تلك الأقطار.

إن الأدب الإسلامي بعطائه الوافر البنّاء المتجدد هو كيان هذه الأمة عطاءمتجددًا وإبداعًا متناميًا، ومتى وجد الفن الأدبي الراقي البناء وجد معه مايواكبه من المذاهب النقدية الخلاقة البنّاءة الراقية التي لا تترخص ولا تتبذل.

- مـا مـوقف الأدب الإسـلامي من المذاهب والتيارات الأدبية الأخرى؟

* الأدب الإسلامي بصفته هذه هو مرآة للحياة الإسلامية بكل رقيها وإنسانيتها، ومن ثم فإن موقفه من المذاهب المشار إليها هو موقف الإسلام نفسه، يتقبل الحسن ويرفض القبيح. ومن أسف أن قليلاً منها يدخل تحت باب مايستحسن وأكثرها يندرج تحت ماهو مستقبح، وإنني أتمثل في هذا الموقف قول المفكر الإسلامي الكبير أبي الوليد بن رشد إذ يقول: نحن نقرأ مايكتبون فما لم يصطدم مع ديننا وأخلاقنا أخذناه وشكرناهم، ومايصطدم مع ديننا وأخلاقنا رفضناه وانصرفنا عنهم.

- ما موقف الناقد الأدبي الإسلامي من الأعمال الأدبية التي تحمل مايخالف عقيدتنا وقيمنا بل وقد يهاجمها أحيانًا؟

* الإسلام دين قيم يتعامل مع كل ما لا يصطدم بالأخلاق والسلوك السليم، وتعامله يكون بميزان إطراء العمل الجيد من جوانبه المختلفة والإشارة إلى المآخذ مع حسن التوجيه، أما إذا كانت قصة أو رواية تخالف قيمنا، وهو ماظهر على الساحة، أو إنسان يسخر من الرسل والأنبياء، أو كاتب يسخر من القيم، فذلك من خلال المنظور الإسلامي لا يسمى عملاً فنيًا، ومن ثم فهو غير جدير بالالتفات إليه نقدًا أو تحليلاً، وهذا الضرب من الإنتاج الذي قد يسمى أدبيًا، وماهو بأدبي، يمثل قطاعًا محدودًا من الذين يحملون الأقلام، وربما يكون في إهمالهم محاولة لإصلاح شأنهم..

- مارؤيتكم للدور الذي قام به الاستشراق في مجال تاريخ الأدب العربي؟

* قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي التنبيه على نشأة الاستشراق نفسه والهدف منه، لقد نشأ الاستشراق مستهدفًا عدة أغراض أهمها غرضان:

الأول: محاولة استكشاف ثغرة في ديننا لكي ينفذ منها إلى النيل من معتقداتنا، ولقد حاول ذلك كثير من المستشرقين ذوي الأسماء المعروفة مثل جوزيف شاخت، وأجناس جولدتزيهر ورينهارت دوزي، وليفي بروفنسال، ومرجليوث، وهؤلاء على الرغم من أنهم حققوا بعض كتب التراث النفيسة فإن عداوتهم للإسلام كانت معلنة.

الثاني: تعرف الحياة العامة والخاصة للمسلمين حتى يمكن إخضاعهم واستعمار بلادهم.

هاتان حقيقتان ينبغي أن تكونا ماثلتين في ذهن كل دارس مسلم للأدب العربي، ولكن على الرغم من هذه المواقف غير الأمينة، فينبغي أن نشير إلى أن عددًا آخر من المستشرقين لم يضع بين أهدافه الإساءة إلى العرب والمسلمين، وإنما اصطنع موقفًا محايدًا يذكر بالخير. وفي كلمات قصار ينبغي أن نعترف للمستشرقين بأنهم بذلوا جهودًا واضحة في مجال دراسة الأدب العربي واللغة العربية، وإن كانوا قد خانوا الأمانة عندما تحدثوا عن الإسلام.

- في ضوء تجربتكم ومن خلال متابعتكم كيف تبدو ملامح المستقبل للأدب الإسلامي؟

* إن المستقبل في أيدينا وطوع جهودنا، ذلك أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

علينا أن نكافح في سبيل تعريف القراء بالأدب الإسلامي من خلال البحث والإبداع، وقبل ذلك كله من خلال تمسكنا بالأخلاق الإسلامية فالأدب مرآة صادقة لمجتمعه، فإذا عشنا حياة إسلامية أخلاقية علمية سلوكية، مدافعين عن عقيدتنا، مستمسكين بأخلاقنا، انعكس ذلك بشكل تلقائي على أدبنا وإبداعنا، ومتى تحقق ذلك كان الأدب الإسلامي هو أدب المستقبل القريب.

الدكتور مصطفى الشكعة في سطور:

من مواليد محافظة الغربية بمصر.
درس في جامعة الملك فؤاد الأول - القاهرة حاليًا - وحصل منها على الليسانس والماجستير والدكتوراه.
تدرج في العمل الجامعي من المعيد إلى العميد.
عمل في أكثر من جامعة عربية منها أم درمان، وبيروت، والإمارات.
عمل مستشارًا ثقافيًا في الولايات المتحدة لمدة ست سنوات.
عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.
حاز على جائزة الدولة التقديرية للآداب في مصر.
له أكثر من ١٥٠٠ بحث منشور أعدّها لمؤتمرات عقدت في العالم الإسلامي.
له نحو ٤٠ كتابًا في الأدب والنقد والفكر الإسلامي.
تحت الطبع له كتاب بعنوان «البيان المحمدي» يقع في أكثر من سبعمئة صفحة.

الإيسيسكو والرسالة الحضارية

نوره خالد السعد

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض يوم السبت ١٤١٨/٨/٦هـ افتتاح المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في دورته السادسة، وحضر الافتتاح وزراء التربية والتعليم في ٤٤ دولة إسلامية عضواً بالمنظمة، والرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش.. وقد تمت في هذا المؤتمر مناقشة قضايا مهمة من أولوياتها خطة العمل الثلاثية التي سيدخل بها العالم الإسلامي مشارف القرن الجديد الميلادي.

إن استضافة المملكة لهذا المؤتمر في هذه المرحلة المصيرية له دلالات ثقافية وحضارية مهمة، وعبر عنها المدير العام للمنظمة (الإيسيسكو) الدكتور عبدالعزيز التويجري بقوله: «إن للمملكة رسالة سامية تنهض بها على صعيد العالم الإسلامي، ويمتد أثرها إلى كل مكان في العالم يوجد به المسلمون، وهي رسالة حضارية تنبع من المبادئ والأسس التي قامت عليها المملكة، وتصدر عن الاختيارات الرئيسة التي تحكم الغايات وتحدد الأهداف التي تأسست من أجلها».

ثم استعرض ما سوف تتضمنه خطة العمل الثلاثية الجديدة التي تتميز بخمس ميزات رئيسة هي:

- مراعاة الزيادة في عدد الدول الأعضاء، واتساع الرقعة الجغرافية التي تنتمي إليها. - اتسامها باتساق مجالات العمل المختلفة وما يتفرع منها من برامج ومشروعات وأنشطة وفق رؤية إستراتيجية واحدة. - توجهها إلى الفرد داخل المجتمع بحسبانه وسيلة التنمية وغايتها ومحور البرامج والمشروعات والأنشطة. - تفتحها على التجارب العالمية وسعيها إلى الإفادة من إنجازات المجتمعات المتقدمة علميًا و(تكنولوجيًا) وخبرات المنظمات الموازية. ارتكازها على تقويم الأداء والارتقاء به، وذلك بالإفادة من نتائج التقويم الداخلي والخارجي لبرامج الخطط السابقة.

ثم يشير مدير عام المنظمة الدكتور عبدالعزيز التويجري إلى أهمية هذه الخطة التي سيتم اعتمادها خطة عمل للسنوات الثلاث المقبلة لتلبي احتياجات التنمية التربوية والعلمية والثقافية للبلدان الإسلامية، وتشتمل على أحد عشر محوراً واثنين وعشرين برنامجًا يتفرع عنها واحد وخمسون نشاطًا تتوزع على ثلاثة مجالات كبرى..

كما سيناقش هذا المؤتمر مشروع إستراتيجية تطوير العلوم التقنية في البلدان الإسلامية وهي أحد أهم الإنجازات التي حققها المجلس التنفيذي في هذه الدورة لكونها وثيقة إسلامية علمية على قدر كبير من الأهمية.

يمكن القول تفاؤلاً: إن انعقاد هذا المؤتمر في الرياض عاصمة المملكة وبحضور ممثلي حركة التغيير التربوي التعليمي في (٤٤) دولة إسلامية، هو تمهيد لمرحلة عملية هي البدايات للمهمة التغييرية الحضارية التي لا يزال العالم الإسلامي، الخارج من دورة الحضارة، في انتظارها، لأن هذه المهمة لا يقوى على أدائها إلاّ من يمثل الفئة التغييرية في المجتمعات الإسلامية، وضمنيًا أتمثلهم من هؤلاء وزراء التربية والتعليم في هذه الدول الإسلامية، ومن يحتضن خططهم، ويسهم في قيادة مسيرتهم من الحكام المسلمين المخلصين للقضية التغييرية التي تعد الآن واجبًا دينيًا ثم وطنيًا..

وإذا عدنا إلى نظرية المفكر الجزائري المسلم مالك بن نبي حول التغيير الاجتماعي، ووازنّا بين تحليله لسمات القائم بالتغيير الاجتماعي ومهامه الحضارية من جهة، وهذا التجمع الإسلامي الذي نتوسم من توصيات مؤتمرهم ومن متابعة تنفيذ هذه الإستراتيجية الملامح الأساسية للمهمة التغييرية التي ننتظرها بصفتنا مسلمين نبحث عن دائرة الضوء الحضاري الذي كان يغمرنا، وكنا نسهم في إضاءة العالم من خلاله من جهة أخرى، أدركنا أن المهمة التغييرية عند هذا المفكر ترتبط بالذي سوف يقوم بها، ولهذا حدّد سمات من سوف يقوم بها، مستمداً من الواقع التاريخي أمثلته، أولئك الذين قاموا بعمليات التغيير الاجتماعي من الأنبياء ومن المصلحين، وبيّن نوع الفكرة التي تحرك المجموع في اتجاه التغيير المطلوب.

يرى الأستاذ مالك أن الكلمة من روح القدس، لأنها تسهم إلى حد بعيد في إيجاد الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع شديد في ضمير الفرد، إذ تدخل في أعماق قلبه، فتستقر معانيها فيه، لتحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة، فالكلمة يطلقها إنسان تستطيع أن تكون عاملاً من العوامل الاجتماعية حتى تثير عواصف في النفوس تغير الأوضاع العالمية.

ويستمد مالك أمثلته لهذا الدور، والمهمة التي تقوم بها الفئة التغييرية في المجتمع من تاريخ الحركات الإصلاحية التي مرت بالعالم الإسلامي؛ فمن بلاد الأفغان انبعث صوت جمال الدين الأفغاني ينادي «حيَّ على الفلاح» فكان رجعه في كل مكان. ويرى أن هذه الكلمة شقت كالمحراث في الجموع النائمة طريقها، فأحيت أمواتها، ثم ألقت وراءها بذور الفكرة بسيطة، فكرة النهوض التي

سرعان ما أصبحت قوية فعالة، وغيرت ما في النفوس من تقاليد، وبعثتهم إلى أسلوب جديد في الحياة.

ثم نجده يؤكد أن معجزة البعث للعمل التغييري الاجتماعي بدأت تتدفق من دعوة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» من الجزيرة العربية، ويتأثر بها العلماء في الدول الإسلامية مثل الشيخ «عبدالحميد بن باديس»، فكانت كلمات هذا الأخير تمثل ساعة اليقظة في المجتمع الجزائري، وبدء الانطلاق إلى التغيير الذاتي للأفراد، وهي البدايات الأولى في الحركة التغييرية للنهوض والإصلاح.

فقد تميزت الحركة الإصلاحية في تلك الفترة بالفعالية، فإن المعلمين والمربين كانت لديهم الدوافع الحقيقية للعمل والنشاط وإحداث التحول الاجتماعي. فإرادة الحركة، انطلاقًا من قانون التغيير المتضمن الانطلاق من النفس إلى المجتمع، تجلى أثرها في كثير من الأنشطة والأعمال، حتى أشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير.

ركز مالك أيضًا على الحركة التغييرية التي تبناها «حسن البنا» حيث بعث الحياة في الناس من خلال القرآن الكريم، القرآن الذي يحرك الحياة، ويجعل من آية القرآن أمرًا حيًا يملي على الفرد سلوكًا جديدًا، ويجذبه جذبًا إلى حياة العمل والنشاط.

وبهذا جدد حسن البنا - يرحمه الله - القيمة القرآنية في ذاتها، فأصبحت قيمًا نشطة، ووسيلة رائعة لتغيير الإنسان.

من هذه النماذج المعاصرة لمن قادوا حركة التغيير التربوي والاجتماعي من المصلحين والتربويين، وهم ينادون بالفكرة الدينية يحاولون الخروج من التخلف والتبعية، وتحقيق النهضة، كان مالك يستشرف كما نأمل نحن الآن، الصورة الجديدة للحياة الفاعلة المشتركة التي قد تبدأ بفرد واحد يمثل في هذه الحالة نواة المجتمع الوليد.. وهو يرى أن هذا المعنى المقصود من كلمة «أمة» عندما يطلقها القرآن الكريم على إبراهيم عليه السلام في قوله: *إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفًا*. **النحل**: ١٢٠. في هذه الحالة نجد أن المجتمع «الأمة» يتلخص في «إنسان واحد»، أي إنه يتلخص في مجرد احتمال حدوث تغيير في المستقبل، مازال في حيز القوة ممثلاً في فكرة يحملها هذا «الإنسان».

نستطيع أن نستنتج أن مالكًا كان يرى أن الذين يقومون بالدور التغييري الاجتماعي هم القادة المصلحون أو زعماء الإصلاح الذين يحملون الكلمة الصادقة والفكرة الصادقة، ويجسدونهما، وعند ذلك يكون هؤلاء القادة سببًا لتحول نطاق التغيير من نطاق القوة إلى الفعل حينما يحركون بها الآخرين.

فالكلمة أو الفكرة الفعالة لا تعمل وحدها وإنما عبر وسيط هو الإنسان، وهو «المنقذ»، فالشعوب يهزها الشعور بحالة الإنقاذ فتسير وراء خطوات منقذ يشخص لها الغايات، حتى تصبح كأنها تراها وتلمسها.

ولنسترجع مع هذا المفكر الجزائري المسلم واقعة تاريخية خاصة ببني إسرائيل عندما رأوا في النبي - موسى عليه السلام - ذلك المنقذ الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمات. أي (الإنقاذ) ثم (التغيير). فارتفع صوت النبي موسى أولاً في بني إسرائيل ليصور لهم حالة الإنقاذ التي لم يكونوا يشعرون بها من قبل، فأثر صوته في الجموع الساكنة المستسلمة، فحركها، وأشاع فيها القلق، ثم صور لهم ضرورة السير معه في الطريق الذي شقه أمامهم بعصاه حيث المرحلة التغييرية الجديدة.

إن المجتمعات عندما تغمرها موجة القلق، ويهزها الشعور بحالة إنقاذ، تتشخص أمامها الغايات، وتعنو لها المصاعب، وهكذا ينطلق الفرد الذي كان من قبل خاملاً ومكبلاً بالكسل. ينطلق، لأنه يشعر بانفجار ذاتي في نفسه، انفجار يطلق طاقاته المكبلة، فيغير وجه التاريخ. ويؤكد المفكر الجزائري أن الشروط لإحداث هذه الحالة، أي ظهور المنقذ الذي سيقوم بالتغيير، هي الشروط النفسية الاجتماعية التي تحرك المجتمعات، وتفرض على الأفراد الانسجام مع قانون تلك الحركة، بما لديهم من المؤهلات المكتسبة التي تكوّن ما سبق أن أطلق عليه مالك المعادلة الاجتماعية التي تحدد فعاليتهم أمام المشكلات، وتعطيهم قيمتهم في المجتمع وفي التاريخ.

كان مالك بن نبي يعتقد في نظريته حول التغيير الاجتماعي أن نقطة التغيير الأولى الرئيسة هي تغيير هذا الإنسان من خلال تغيير عالمه الثقافي، ومحيطه الاجتماعي.

وكما بدأت عملية البناء في المجتمع الإسلامي الأول بتغيير نفسية الإنسان، من خلال تأثير العقيدة الدينية في شبكة علاقاته الاجتماعية، وتشكيل بنائه الثقافي.. فإن مالكًا عندما يطرح مشروعه التغييري يبدأ من الثقافة، ليس من الزاوية النظرية فحسب، بل لابد أن يضاف إليها وجهة النظر العملية والتربوية كي تكون أداة للتغيير الاجتماعي والحضاري للمجتمع.

إن الثقافة في أي مجتمع - ومن منظور مالك - تسعى للتغيير، ولابد أن ترتبط ببناء ذاتي لها، هذا البناء الذاتي لابد أن يكون للأفكار فيه دور البناء والتجديد، ليمد الفرد بحالة من التوتر تحيل إمكاناته إلى طاقات خلاقة في جميع المستويات، ولهذا تجده يقول: «ليست الثقافة سوى تعلم الحضارة، أعني استخدام ملكاتنا الضميرية والفكرية في عالم الأشخاص، وليس العلم سوى نتائج الحضارة، أي إنه مجرد جهد تبذله عقولنا وهي تستخدم في عالم الأشياء.

فالثقافة تقحمنا كلية في موضوعها، أما العلم فإنه يقحمنا في معالجة جزئياته، الأولى تخلق علاقات بيننا وبين النظام الإنساني، والثاني بيننا وبين نظام الأشياء».

الثقافة، كما يفهمها مالك وتلاميذه، هي التعبير الحسي عن علاقة الفرد بهذا العالم، أي بالمجال الروحي الذي ينمو فيه وجوده النفسي، فهي نتيجة الاتصال بذلك المناخ. فالفرد إذا ما فقد صلته بالمجال الحيوي قررنا أنه مات موتًا ماديًا، وكذلك الأمر إذا فقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتًا ثقافيًا.

فالثقافة إذن، إذا ما رددنا الأمور إلى مستوى اجتماعي، هي حياة المجتمع التي من دونها يصبح المجتمع ميتًا.

هكذا نجد أن الثقافة تؤثر وتتأثر بما ينتاب المجتمع من تغييرات نفسية واجتماعية تعود في الأساس إلى قوة تأثير الفكرة الدينية أو ضعفها.

والثقافة التي ترمي إلى تغيير الأنماط السلوكية والحضارية تبقى مجرد ترف فكري.. لهذا من المهم أن يكون تعريفنا لها ولأنشطتها من زاوية وظيفتها التغييرية، بصفتها من آليات التغيير النفسي ثم الاجتماعي والحضاري.

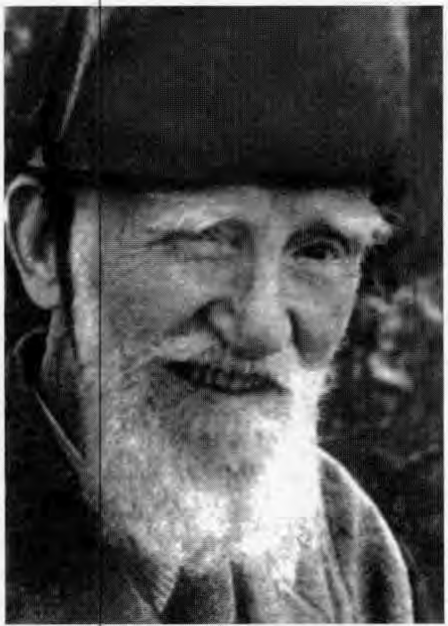
بعد هذا الاستعراض لمهام الثقافة التربوية التغييرية ألا يحق لنا أن نتفاءل بإرهاصات هذه المؤتمرات التي تعقد على أرض هذا الوطن، وتلك المقبلة في طهران، فقد تكون بارقة الضوء التي تنتظرها جموع المسلمين، وهم في مرحلة القلق بحثا عن المنقذ؟!!.

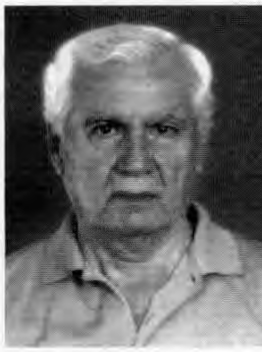


مع جورج برنارد شو في كتابه:

الإنسان والإنسان الكامل ـ ملهاة وفلسفة

محمد جميل فضلة





هذا الكتاب العملاق ليس بحاجة إلى تقديم، فهو معروف ومشهور، بل أكثر من مشهور. ومن كان يجهله فليعرف أنه يجهل أشهر كاتب بين الإنجليز اليوم، وربما غدًا. فإذا كانت هذه شهرته، فأحر بمن لم يقرأه أن يبحث عن مؤلفاته التي بلغت ستة وثلاثين مجلدًا، كتبها شو على مدى سبعين عامًا، وقد طبعت منذ عام ١٩٣١م، سيعرفه من مؤلفاته ومما كتب عنه، سيعرف شذوذه الذي يبلغ حد الجنون، وسخره الذي يبلغ لسعة حُمَة العقرب، ودعابته التي تطلق الضحك عاليًا، وعمقه المذهل، ومغالطته المنطقية، وتسويغه الباطل بما يفتقر إليه الحق. وفي هذا متعة ذهنية، وفلسفة جدلية عامرة بالفن، جياشة بالتنقل الخاطف بين السماء والأرض، عدا عن آرائه التي توسع الأفق.

عنصر شو هو العجب، فهو شخصية عجيبة، وذهن عجيب، وفكرٌ أعجب. وهو أكبر خطيب في عصره، وفيٌّ يحفظ الجميل، ويغفر لمن أساء الله.

حياته

ولد برنارد شو في السادس والعشرين من آب أغسطس سنة ١٨٥٦ في مدينة دبلن بإيرلندا، وعاش حتى سنة ١٩٤٨م، وقد جاوز التسعين بسنتين. تجمع حياته تجارب قرن كامل تقريبًا.

إن تاريخ الآداب الإنجليزية لا يحفل بمؤلف مسرحي يستطيع أن يزاحم برنارد شو على المرتبة الثانية في هذا المضمار، مع أن شو حاول أن يحطّ من قدر شكسبير في كثير من نقداته وغمزاته كي يحلّ محله، إلا أن شكسبير يبقى فريد العصور والأجيال.

كانت دراسته غير منتظمة. كان تلميذًا فاشلاً يكره المدرسة، لكنه تعلم بنفسه كل شيء. وكان بمؤهلاته الفطرية والمكتسبة فيما يتعلق بالثقافة فوق كل الدراسات المنتظمة الكلاسية.

لم تكن شهرته وليدة المصادفة العابرة. بل نتيجة البحث والمطالعة المتواصلة، والجهد الشاق الطويل.. بالإضافة لما حباه به الله من ذهن متوقد، وعقل جبار، وجلد على العمل عظيم.

لقد تطرق في مؤلفاته إلى كل نواحي الفكر. كتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والفن والموسيقى والقصص والفلسفة.

تعلم في مدارس البروتستانت والكاثوليك، وقد أثر في مشاعره التمييز الطائفي بين التلاميذ، وظهر هذا التأثير في مؤلفاته. كما ظهر تأثير آخر هو التناقض بين طبعي والديه، وقد عاشا على خلاف دائم، وجرى بينهما فراق طويل بعد أن هجرت أمه أباه ثم عادت إليه.

كان أبوه موظفًا ومدمنًا الخمر والتدخين، وكانت أمه تهيم بالموسيقى، وانطوائية، ولها قدرة على العيش في مملكة الروح. وانجذب شو إليها؛ لأنه وجد عندها السكينة لروحه المتمردة. وورث شو عن أبيه المزاج الضاحك والدعابة. وورث عن أمه العزلة الذهنية والعيش في عالم تصوراته الخاصة.

عاش بين والديه بمزاجه الخاص، فكان شاذًا رديئًا، لا يتورع عن الأذى، يرمي بالقطط من أعلى ليعرف على أي من قدميها تقف؟ ويدفع بعربات الأطفال، ويحرّق المزارع، كانت الدوافع لكل هذا الميل إلى المعرفة والبحث عن حقائق يريدها. وربما كانت ردود فعل انتقامًا لأمه من أبيه.

اطلع على الأدب الإنجليزي ابتداء من شكسبير إلى دائرة المعارف البريطانية. وأغرم بألف ليلة وليلة. وتشرب الكتاب المقدس وهو في العاشرة. وبَصُرَ بشكسبير.

اشتراكي يحمل على الاشتراكيين وقد وجد فيهم

الزيف والمناورة. قالوا عنه: زنديق له دين. أو فهم خاص للدين!! خيالي يحلق في الأجواء على متن الواقع.

اضطر في فتائه إلى العمل في مجالات متنوعة، ولما كان لم يخلق لمثل هذه الأعمال، اتجه إلى ما خُلق له، إلى الأدب والفن، والنَّهل من المعرفة كلما أصابها، والسعي وراءها في غلة الظمآن. وكانت قراءاته الكثيرة، العميقة المتفهمة، وقودًا لذهنه المتفتح. لم يقرأ أحد كما قرأ شو، ولم يهضم أحد الثقافات كما هضمها، ولم ينتقد أحد كما انتقد. وزاده هذا كله إيمانًا بعبقريته واعتدادًا بنفسه، فكان ينظر إلى الجميع من فوق القمة التي صنعها بنفسه. بذكاء خارق، وقدرة فنية رائعة.

أعتقد أن شو لم يعتمد على موهبته فقط. لقد أضاف إليها ثقافات الآخرين وتجاربهم وآراءهم بعد أن اطلع عليها ومزجها بعضها ببعض، وتشرب منها، كما تشرب الكتاب المقدس.

وإذا كان قد حاول أن يحطّ من قدر شكسبير، وقد قرأ له الجميع مؤلفاته إلا أنه قد تأثر بشكسبير كما تأثر بغيره دون أن يعلم، ولألف ليلة وليلة حصة في هذا التأثير، ولابد لكل قارئ أن يتأثر بما قرأ، فما يسري على المعدة والدم يسري على العقول.

ثم خرج بصيغة جديدة وبآراء جديدة وبأسلوب انتقادي مستحدث. وكان ما نسميه أدب برنارد شو ذا الصفات الخاصة.

لم ينج أحد من نقده ولذعاته إلا القليل. لقد خالف الكثيرين ليُعرف، لقد حارب الكثيرين بأسلحتهم بعد أن عرف نقاط ضعفهم. وما نقاط ضعفهم إلا الآراء التي لم تعجبه. لأنه كان متمردًا، ولا يقبل بالفكر العادي. وكان يقلب دائمًا الأمور عكسًا لكي يأتي بالجديد. وهذا معناه أنه عبقري وموسوعة فكرية.

لقد بنى لنفسه شهرة واسعة ومجدًا وخلودًا، كأنها الأهرامات. ومن مزاياه أيضًا، أنه لم يكن عنده ميل للمنافسة، ولا تستهويه الجوائز، وحين يكتب كأنه يزحف بجيش من الأدباء، ويحشرهم بين سطوره لا ليحاربوا معه، بل ليجعلهم فرائس له، وليدلل على أنه فوق كل هؤلاء، وكل هؤلاء هم طعام عبقريته، مع أنه لم يحقد على أحد، وكان يعفو عمن أساء إليه. وهو في الأدب شيء، وفي حياته الخاصة شيء آخر مختلف.

بدأ العمل في السادسة عشرة، وكتب مقاله الأول وهو في التاسعة عشرة، وأول كسب تلقاه ستة جنيهات عن إحدى مقالاته. اعتمد في حياته المعيشية في البداية على والديه، يتلقى جنيها واحدًا في الأسبوع من أبيه، وعلى مساعدة مالية غير ثابتة من أمه التي كانت تعطي دروسًا في الموسيقى.

أصيب بالجدري عام ١٨٨١م. وتشوّه وجهه، وأطلق لحيته بعدها، وعاش نباتيًا لا يأكل اللحم حتى آخر حياته عام ١٩٤٨م. جاوز التسعين ولم يتطرق الوهن والضعف إلى جسمه وعقله.

إنه جورج بورنارد شو الذي بنى دارته الفكرية على ثلاث قواعد:

لقد حول المأساة إلى ملهاة، والملهاة إلى فلسفة، وجعل الإنسان مركزًا ثابتًا لهذه الدارة. ونسأل لماذا اعتمد المسرحيات في التعبير عن آرائه؟.

كان لا يريد الابتعاد عن الجمهور. كانت المسرحية الصلة الحية بينه وبين الآخرين. كانت آراؤه وفلسفته على المسرح تلبس ثوبًا بشريًا حيًا؛ لهذا كان يشارك في الإخراج وانتقاء الممثلين والممثلات، وله اجتهادات كثيرة في هذا المجال ليستشف الأثر المباشر. كانت المسرحيات عائلة برنارد شو.



فريدريك نيتشه

كان يسعى إلى التغيير في التركيبة الداخلية التقليدية، ليبني الإنسان الحر داخليًا وفق آرائه وتطلعاته، لم يكن منظرًا اجتماعيًا، ولكنه عدّ نفسه صاحب آراء متطورة ترمي إلى بناء الإنسان الحر المتوازن. وما مسرحية «الإنسان والإنسان الكامل» إلا تجسيد لهذه الآراء. وهي إن دلّت على شيء، فإنما تدل على نضجه الفكري، وسعيه على مدى سبعين عامًا وراء الإنسان ليخرجه من دائرة الدون جوانية الغريزية، إلى دائرة الدون جوانية الفلسفية التي لا تخفي ما للطبيعة من هدف، بشرط أن يكون تحقيق هذا الهدف بشرف.

وفي قناعتي أن برنارد شو كان متدينًا ولكن على نمطه الخاص.. يؤمن بالجوهر لا بالشكل، ولا يقبل بالوسيط المحترف بين الله والبشر، وكان هذا ظاهرًا في مقدمته الرائعة.

وما زندقته إلا نتيجة مؤثرات قديمة، ومعاناة أيام صباه. مثل طلاق أمه من أبيه، والتمييز الطائفي بين أقرانه التلاميذ. ورأى أن الإنسان العادي يحمل بصمات هذا الاتجاه أو ذاك. وراح يبحث عن مقومات الإنسان الكامل كما يبحث الإنسان عن عروق الذهب في الأرض. يحفر ويطمر ويذيب الشوائب!! وهل توصل أو نجح؟ هو يجيب في آخر سطور المقدمة: الإنسان الكامل هو صديقنا القديم العادل - جُعِلَ كاملاً.

أهو اليأس؟! أم إنه رجعة حنين إلى شخص له زمان ومكان؟!!

وأغلب الظن أنها بصمة عاقل على واقع مبني على حسن النوايا.

يتضمن الكتاب:

- مقدمة المترجم الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي.



شكسبير

- مقدمة المؤلف برنارد شو.
- مسرحية الإنسان والإنسان الكامل.
- موجز الثوري: تأليف جون تانر بطل مسرحية الإنسان الكامل.
- حكم الثوريين.

مقدمة المترجم

قال المترجم في تقديم الكاتب برنارد شو:

صريح صاف لا غموض فيه ولا إبهام، متمرد لا يخضع لمذهب أو فكر، ولا يستهدي إلا عقله الجبار، زنديق له دين، أو فهم خاص للدين، خيالي يحلّق في الأجواء على متن الواقع. سيجد القارئ في شخصية

جون تانر ما يدلّ عليه، خيره أكثر من شرّه، وهو مزيج من كليهما، ولا يرهب أحدًا، عظيم الاعتداد بنفسه، لأن عبقريته على حق.

ناقد اجتماعي وكاتب مسرحي، ومقدمة «الإنسان والإنسان الكامل» لها شهرة مقدماته في الإحاطة؛ فمن لم يكن محيطًا لا يفهم مقدمات شو. وإن لم يزدد علمًا فسيزداد جهلاً، وعلى الأصح سيعلم أنه أجهل مما كان يظن.

مقدمة الإنسان والإنسان الكامل لبرناردشو

جاءت في نحو أربعين صفحة من الكتاب من صفحة ٧ ـ ٤٥ . هي عقدة العقد، زاخرة بالعروض الفكرية، محشوة بعشرات الأسماء من المفكرين والأدباء والفلاسفة والفنانين ممن عاصروه أو سبقوا عصره. نازلهم جميعًا فرادى وجماعات، لم يوافقه منهم إلا القليل. ولا مجال هنا لذكر أسمائهم أو ترجماتهم. والمهم أنه جعل من نفسه المحور الأساسي الذي تدور حوله آراؤه. وأعتقد أن هذه المقدمة هي أهم كنوزه الفكرية، لأن موضوعها صميمي في حياة الإنسان، ولها حساسيتها العامة والخاصة.

اقتطفت منها المقاطع والجمل التي تفيد في توضيح الصورة الفكرية والسلوكية والعقدية للإنسان الكامل وذلك من وجهة نظر برناردشو. وقد زخرت المقدمة بكل شيء، كأنها حديقة أفكار، لكن الشوك يحيط بكل مادة. ولا ينفع حذر بل تنفع إحاطة.

افتتح المقدمة بهذه العبارة: إلى آرثر بنجهام ووكلي (صديق شو وناقد مسرحي في جريدة التايمز آنذاك). عزيزي ووكلي: سألتني مرة، لماذا لا أكتب مسرحية عن دون جوان؟ فها هي ذي مسرحيتك، لقد جاء وقت الحساب. وأقول: مسرحيتك، لأن من عمل لنفسه يعمل لغيره فغنمها من نصيبي، وما حوته من أخلاق وآداب وفلسفة، وما يكون لها من تأثير في الشباب، إنما عليك تسويغه. وعليك أن تحمد الله على أنه ليس في كل يوم مسرحيات جديدة، فيها انتقادات ليس من تقاليد الصحيفة أن تسمح بتوقعها في النهاية. ولست متأكدًا أن لا يكون هذا نذيرًا بثورة، وهذا لا يقلقني في الوقت الحاضر. والمسألة هي ألا يخيّب ظنك مسرحية لا تظهر على خشبة المسرح واحدة من آلاف مغامرات دون جوان.

فما تحب أن تشجعني به هو أن ما أسميه دراما ما هو إلا تفسير. فيجب أن تقدرني كما أنا.. شخصًا صبورًا معقولاً ثابتًا مجدًا. فأنا صلب كالآجر، إن لي ضميرًا، والضمير نزوع دائمًا إلى التفسير، وأنت على



هنريك إبسن



تولستوي

النقيض من ذلك. والموضوع الصميمي الذي يضايقني ويعظ به ضميري، هو أن أرى الناس مرتاحين من حيث ينبغي ألاّ يكونوا كذلك، وإني أثابر على أن أجعلهم يفكرون كيما يقتنعوا بخطاياهم (الإنسان ص٧-٨-٩).

لقد أوضحت في مقدمات مسرحياتي التي قدمتها للمتطهرين (حزب ديني سياسي متشدد) ما يحيق من ورطة بدرامتنا المعاصرة المرغمة على معالجة الاستهواء الجنسي، ثم هي مع ذلك محظور عليها أن تعرض هذا الاستهواء.

وكان إيعازك بأن أكتب مسرحية عن دون جوان تحديًا لي، في الحقيقة، بأن أعالج الموضوع بصورة درامية؛ لأن الممثلة الإنجليزية محظور عليها أن تتعرض للعلاقات بين الرجل والمرأة. في حين أن قضايا الحب المحرّم مرذولة وسارة معًا.

ودعني أفرض عليك هذه النقطة، لماذا يشمئز الناس وينفرون مما تقوم به من محاولات بين الحين والحين لمعالجة هذا الموضوع؟؟! أليس لأنهم في صميمهم لا

دون جوان بالمعنى الفلسفي ـ وإن وهبه الله القدرة على التمييز بين الخير والشر ـ رجل يطيع غرائزه دون أي مبالاة بالقانون والأعراف الشرعية الكنسية

جنس لهم؟

امرأة اصطدمت بحبها بالقانون، رجل اصطدم بوقوعه في حبّها أو تزوجها، فاصطدام الناس بالقانون، يمكن أن تصاغ منه حالات درامية لكل منازعات البشر. وكوننا أكثر تطلعًا إلى العلاقات المحظورة هو الذي يخلق هذه الضجة والمضايقة بلا فائدة.

دون جوان فلسفي

وعندما سألتني أن أكتب مسرحية دون جوان، كان عليّ أن أسأل: من هو دون جوان بالمعنى الفلسفي؟.

دون جوان بالمعنى الفلسفي، وإن وهبه الله القدرة على التمييز بين الخير والشر، رجل يطيع غرائزه دون أية مبالاة بالقانون والأعراف الشرعية الكنسية، وبينما هو يفوز من ثم بحرارة العطف الصادرة عن غرائزنا المتمردة إذا به يلقي نفسه في نزاع قاتل مع السنن القائمة، فيذود عن نفسه بالخداع والعنف (ص١٠ ـ ١١).

ودون جوان الأصلي ابتكره راهب إسباني في القرن السادس عشر. وقد صوّره عاصيًا لله، وكان دائمًا يفلت من العقاب الزمني والروحي. وأحسُّ من أول المسرحية إلى آخرها أن انتقام الله قريب. على أنه يصعب أن يكون الدرس الذي قصد إليه المؤلف، هو الدرس الذي يحب العالم أن يتلقاه من كتابه، فالذي يستهوينا ليس استعجال التوبة، بل بطولة الجرأة على عصيان الله!!.

فمن بروميثيوس إلى كتاب الشيطان، كان أمثال هؤلاء محل الالتفات، وقد بات دون جوان محببًا إلى الناس.. حتى ليأبى العالم لعنه.

ودون جوان لموليير يتفق مع الأصل من حيث السدور في الغواية، ويخالفه كثيرًا من حيث التقوى. والوقت مبكر للتوبة، ولا يحسب كم بقي له؟

مع جورج برنارد شو في كتابه:
الإنسان والإنسان الكامل - ملهاة وفلسفة

وبعد موليير يجيء الساحر الفنان أستاذ الأساتذة موتسارت، الذي يكشف عن روح البطل. في انسجامات سحرية ونغمات عرائسية، وإيقاعات رفيعة خاطفة، كأنها البرق الصيفي. فهنا تسخر الحرية في الحب وفي الآداب من الرق في كليهما.

وجذاذة بيرون ليس لها كبير قيمة من الوجهة الفلسفية ولا تثير الاهتمام، لأنها صعلكة. فهو في الحقيقة مغاير لدون جوان الأصلي مغايرة تامة، فهو في عصيانه لله لا يختلف عن أي فتى خيالي. فلو كنت أنا وأنت في مثل سنّه فمن يدري أن نفعل مثله؟ اللهم إلا أن يكون تمنّعك سببًا لإنقاذك من الإمبراطورة كاترين.. ولم يكن بيرون في الفلسفة أوفر نصيبًا من بطرس الأكبر فلم يستطع بيرون أن يكون قوة دينية ولا بطرس الأكبر أن يكون غير سفيه (ص١٢-١٣).

فلنسقط دون جوان بيرون من حسابنا. ودون جوان موتسارت آخر دون جوان حقيقي، فقد بلغ إذ ذاك سن الرشد، وكان ابن عمه فاوست قد حلّ محله، فذهب في حربه وسلمه مع الآلهة إلى أبعد من العشق، إلى السياسة والفن الرفيع، إلى وضع المشروعات لاسترداد قارات جديدة من المحيط والاعتراف في الكون بمبدأ نسوي خالد.

وقد كان فاوست جوته ودون جوان موتسارت آخر كلمتين للقرن الثامن عشر في هذا الموضوع.

وفي الوقت الذي كان النقاد في القرن التاسع عشر قد تجاوزوا مرحلة ديكنز ودوماس وستندال وتورجنيف، واجهوا الرواية الفلسفية التي كتبها أمثال إبسن وتولستوي.

في ذلك الوقت بدّل دون جوان جنسه فبات دونا جوانا التي فرّت من بيت العرائس، وأقامت لنفسها كيانًا بين الأفراد، لا مجرد سلعة في معرض أخلاقي (ص١٥).

دون جوان جديد

والآن في مستهل القرن العشرين، كل شيء مؤات لك لأن تسألني مسرحية عن دون جوان، لكنك سترى مما أسلفت أن دون جوان قرن كامل لا يوائم عصرنا، ولا يلائم كلينا. إنك ستضحك مني إذا عالجت في أيامنا هذه مبارزات وأطيافًا، ونساء مؤنثات، ولو كان لدون جوان عاطفة شهوية لوصم سجله بالخلاعة، حتى خصم دون جوان الروحي الذي يقذف بمن يأبون التوبة إلى بحيرات من الكبريت الحامي.

فماذا بقي من هذا الخصم؟

فالمجتمع قد تمدين. فليس ثمة نبيل يستطيع أن يزدري بائع خضر، والنساء لم يعدن يفتين «نسأل الحماية عدل السماء».

وقد نجم عن ذلك أن الرجل لم يعد هو الغالب في منازلة الجنس الآخر كما كانت حال دون جوان، ومن المشكوك فيه مع ذلك أنه كان يومًا غالبًا حقًا. فالتفوق الهائل الذي يمتاز به ومكر المرأة الطبيعي في هذا الشأن تدل عليه في كل الأحوال قوة تتعاظم مع الأيام (ص١٦). ودون جوان الآن بدلاً من أن يزعم أنه يقرأ أوفيد (شاعر روماني ولد قبل الميلاد ونَعِمَ بمسرات الحياة) يقرأ بالفعل شوبنهور ونيتشه.

ويعنى بالجنس البشري ومستقبله بدلاً من أن يطلق لغرائزه العنان، وبذا اجتاز تهتكه وسلوكه الجنوني، طريق السيف والقيثار، إلى ما يماثل حانوتًا للخرق، قوامه الخلط في التواريخ والخرافات. وفي الواقع: إنه الآن أقرب إلى هاملت، منه إلى جوان. وإذا فعلت ما يجب أن تفعله في مآسي شكسبير، وذلك أن تستخلص من النسيج الشكسبيري الأصل، الحوادث الرنانة السخيفة، والمناظر الجثمانية العنيفة، لكان لك من ذلك عدو صميم للآلهة من طراز بروميثيوس، يشبه كثيرًا موقفه الغريزي حيال المرأة، ذلك الموقف الذي سبق إليه دون جوان. ومن هذه الوجهة كان هاملت طرازًا متقدمًا من دون جوان، شعوذ منه شكسبير رجلاً حسن السمعة، كما شعوذ من مكبث المسكين رجلاً قاتلاً.

واليوم لم تعد حاجة إلى هذه الشعوذة، ذلك أن السيرة الدون جوانية لم يعد يخلط بينها وبين السيرة الكازانوفية، بل إن دون جوان نفسه ليكاد أن يكون متقشفًا من فرط رغبته في تجنب هذا الخلط.

العلاقة بين الرجل والمرأة واحدة لا تتغير فهي المطارِد المدبِر، وهو المطارَد والمغلوب على أمره، فإذا أعيت المرأة الحيلة كأوفيليا جنت وانتحرت

وهكذا فإن محاولتي أن أجعله ملائمًا لروح العصر، بالزج به في بيئة حديثة، قد خلق شخصًا يختلف في السطح كل الاختلاف عن بطل موتسارت (ص١٨).

يجب عليك أن تعدّ نفسك لمواجهة قصة ملفقة عن الحياة الحديثة في لندن، التي جُلّ عمل الرجل العادي فيها أن يتلمس الوسائل التي تكسبه مركز الرجل الماجد، وجُلّ عمل المرأة أن تتزوج. فلنعتمد على أن هذا هو كل شيء فيهما. وهذا على الجملة أساس معقول، فالمال معناه القوت. والزواج معناه البنون.

وهذا هو قانون الطبيعة، وسر نجاح الناثر هو في البساطة التي يتابع بها هاتين الغايتين. والفنان إما شاعر أو ممالئ، فهو كشاعر لا يستطيع أن يرى ما يرى الناثر من أن الشهامة هي في القرارة لا تعدو الانتحار الرائع. وهو كممالئ لا يستطيع أن يرى أنه لا غنى له عن أن يعتصر شخصه ويستجديه (ص١٩).

ومع ذلك فإن مسرحية دون جوان ستعالج الاستهواء الجنسي لا القوت، وستعالجه في مجتمع يدع رجاله لنسائه وظيفة الجنس الخطيرة، ويدع نساؤه لرجاله مهمة القوت الخطيرة. صحيح أن الرجال، لكي يتقوا مجاوزة النساء الحد في القيام بوظيفتهن، قد أقاموا عرفًا خياليًا ضعيفًا بأن المبادأة في شؤون الجنس يجب أن تصدر عن الرجل، بيد أن هذه الدعوى سطحية إلى حد أنها حتى في المسرح ذلك الملاذ الأخير لغير الواقع، لا تبهر إلا عديم الخبرة، والمبادأة دائمًا للمرأة في مسرحيات شكسبير. وقد تفعل هذا إما بالرفق أو الحيلة. لكن العلاقة بين الرجل والمرأة واحدة لا تتغيّر. فهي المطارِد والمدبِّر، وهو المطارَد والمغلوب على أمره. فإذا أعيت المرأة الحيلة كأوفيليا، جنّت وانتحرت.

وأجد المرأة في مسرحياتي تسلك سلوك المرأة في مسرحيات شكسبير، وبذا قد ولد دون جوان يُمثل تصميمًا مسرحيًا لمطاردة المرأة الرجل في حب يجمع بين المأساة والملهاة ص٢٢.

وبعض أصدقائي صدمهم عدم المبالاة التي تلاحق به غرضها، والذي يعني الإغفال التام لصلابة الرجل، وقد فاتهم أنه لو كان للمرأة مثل تَصَلّب الرجل في المعنويات أو الماديات لكان في ذلك فناء العالم، فالمرأة

لا بد أن تتزوج.

والكتب المؤثرة حتمًا من أعمال رجال عباقرة. ويلحظ في الرجل العبقري ما في المرأة من عدم المبالاة والتضحية بالذات.

(ويسترسل شو لعدة صفحات في أمور السياسة وتنظيم المجتمع) ثم يتابع الموضوع الرئيس ويقول:

على أني أسمعك تسألني: هل وضعت كل هذه الترهات في ملهاة دون جوان؟! كلا، بل كل ما فعلته أني جعلت دون جوان يكتب رسالة سياسية. وإني لا أقول لك إن بطلي كتب كتيبًا عن الثورتين فحسب، بل أعطيك الكتاب لتقرأه. وفي هذا الكتاب ستجد سياسة المسألة الجنسية كما يفهمها سليل دون جوان في رأيي، وليس ذلك أني أتنصل من كل التبعة عن آرائي وآراء أشخاصي جميعًا، فهم على حق من وجهات نظرهم المتعددة ووجهات نظرهم لحظة عرضها في الدرامات هي وجهة نظر حق. وقد يحيّر الناس الذين يعتقدون أن هنالك شيئًا يسمى وجهة نظر حقة، وقد يبدو لهم أن من يشك في ذلك لا يمكن أن يكون ظريفًا.

من هنا أشير إلى أن شكسبير كان بهذا المعنى عديم الإدراك، وكذلك أنا.

ولك مع ذلك أن تذكّرني بأن إقحامي نفسي في السياسة قد تقدمه بيان مقنع بأن الفنان لا يمكنه أن يرى وجهة نظر الرجل العادي في مسألة الجنس. فأنا أدلّل أولاً على أن أي شيء أكتبه عن العلاقة بين الجنسين يضلّل بلا شك. وإذا سألتني لماذا أسلك هذا المسلك؟ فلن يسعني إلا أن أردَّ عليك بأنك طلبت إليَّ هذا، فإن معالجتي للموضوع قد تكون على أية حال سليمة من وجهة نظر الفنان (ص٣٠).

وعليَّ واجب هو الاعتراف بفضل المؤلفين الذين سطوت عليهم، فقد سرقت الشويعر اللص عمداً من السير آرثر كونان دويل. وقد أخذت أوكتافيوس من موتسارت كما هو.. وقد أوحى إليَّ بـ: آن دراما هولندية من درامات الفضيلة في القرن الخامس عشر.

ومنذ استنشقت أول مرة، وأنا طفل، الأجواء العليا في تمثيلية الناي السحرية لموتسارت، بتّ لا يؤثر فيَّ تلك البهرجة والعربدة الكحولية. وبنيان وبليك وهوجارت وترنر هؤلاء الأربعة على حدة.

وجيته وشلي وشوبنهور وإبسن وموريس وتولستوي ونيتشه، كل أولئك هم من الكتاب الذين أرى فيهم أن فهمهم للدنيا، قريب لدرجة ما من فهمي.

وانتبه لما أقول: فإني لأقرأ ديكنز وشكسبير قراءة لا تعرف ادعاء ولا حدًا، بيد أن ملاحظتيهما واستعراضاتهما الخصبة للحياة، لا تتسق مع أي فلسفة أو دين، فاعتقادات ديكنز العاطفية تتعارض على النقيض من ذلك تعارضًا شديداً مع ملاحظاته، وتشاؤم شكسبير ما هو إلا أثر لإنسانيته المجروحة. فلكليهما العنصرية النوعية التي لكاتب الرواية، وعطف الشعور الإنساني العام وفكره بدرجة فائقة. وهما في الغالب أعقل وأذكى من الفلاسفة، كما كان سانكو بانزا أعقل من دون كيشوت. وهما يزعان كثيرًا في كرب النفوس. بيد أنهما يعنيان باختلافات العالم أكثر مما يعنيان باتفاقاته. وهما من عدم التدين بحيث يستغلان دين الشعوب في أغراض المهنة، دون رفق أو تحرر (ص٣٥). مثال ذلك - سيدني كارتون، والشبح في رواية هاملت، وليس لديكنز أو شكسبير أفكار إنشائية، لأنهما فوضويان. وكلاهما لم يستطع أن يفعل شيئًا ذا صفة إيجابية جديّة.

مثل هذا لا يسعك أن تقوله عن الفنانين الفلاسفة، إذ التباين بينهما هائل.. إنك ترى فجأة أن شكسبير مع كل ومضاته وتنبؤاته، لم يفهم الفضيلة والشجاعة قط.

لماذا أذهب بعيداً فأنا، وأنا أفرض نفسي وقلمي في يدي، على تقديرهم ومجاملتهم، أجد أن كل ما في هجمتي من قوة، قد استنفد بخطة بسيطة هي عدم المقاومة. فعبثًا أطاعن عنف اللغة التي أعلن بها هرطقتي. وإني لأهاجم إيمان فولتير وإنكاره للوحي، وخرافة شلي الغرامية، وعودة الروح إلى الخرافة القبلية، والعبادة الصينية التي أسماها هكسلي علمًا (ص٤٠). أجل أهاجم حمأة الادعاء الكنسي والمهني الذي يستر نظام العنف والسرقة السخيفة.

حتى الأخلاقيون يتهمونني بالكف، والفوضويون يتهمونني بالنبهليزم، لأني لا أطيق بضاعتهم الأدبية، فبدلاً من أن يصيحوا (إلى المحرقة لهذا الشيطان). ترى الصحافة المحترمة تشدّ أزري مع ذلك، فأنا كمن له ظلامة.

وإني أؤكد لك، أني أبغض نفسي أحيانًا بغضًا يبلغ منه أن أرتاح كل الارتياح، ولكني لا أحلم أبداً أن أكون مصلحًا، عارفًا أنه يجب عليّ أن أرى نفسي كما هي! (ص٤٤).

وفضلاً عن ذلك، يجب أن لا يعبث أحد بشكسبير. وهكذا أكون قد رددت إلى ديدمونة بضاعتها.

ولم يفهمني كل من نقدني، فهم يسمونني متشائمًا لأن ملاحظاتي تجرح شعورهم ورضاهم، ومرتدًا لأني في رأيهم أطلب جمهوراً من القياصرة. وشر من ذلك أنني اتهمت بالتبشير بإنسان كامل في أخلاقه ليس بعده إنسان، وليس في الواقع سوى صديقنا القديم العادل - جُعِلَ كاملاً. وسوء فهمهم هذا يهيجني ويحملني على أن ألقي القلم.

خاتمة وتعليق

آثار جورج برناردشو الأدبية

فيما بين عامي ١٨٨٤-١٨٨٨م كتب خمس روايات هي (مخاطبة الأنشوطة - المخبولة - الجد بين أهل الفن - مهنة كاشل بايرون - اشتراكي شرود.

١٨٩٢م مسرحية بيوت الآرامل.

١٨٩٣م مسرحية (المغازل) - مسرحية (مهنة السيدة وارن).

١٨٩٤م مسرحية (السلاح والإنسان - مسرحية كانديدا).

١٨٩٥م مسرحية (رجل الأقدار) تعرض فيها لحياة نابليون على طريقته الخاصة. ثم مسرحية (لن تعرف أبداً).

١٨٩٦م مسرحية (تابع الشيطان).

١٨٩٨م (قيصر وكليو باترا - هداية الكابتن براسباوند). بعد ذلك كتب مسرحية (الإنسان والإنسان الكامل) عالج فيها موضوع العقائد والاقتصاد. طبعه عام ١٩٠٣م.

١٩٠٤م مسرحية جون بول الأخرى - ميجر بربار. بعد ذلك كتب مسرحيتين (الاستعداد للزواج - واتحاد فاشل). وخلال الحرب العالمية الأولى: كتب مسرحية (البيت الكسير القلب).

١٩٢٠م كتب مسرحية العودة إلى ميتو شالح. ثم ظهرت له مسرحيات عديدة - الجدير بالذكر أن جميع مسرحياته مُثلت على المسارح (١).

هذا عدا عن المقالات الصحفية الكثيرة.

بالإضافة لما سبق. لقد انتقده كثيرون وحاربه كثيرون. خصوصًا في المسرحيات التي مُثلت على المسارح. وبقي صامداً حتى نهاية عصره، وكال لهم الصاع صاعين.

إنه كاتب ملهم، ناقدٌ ومنظّر في آن واحد. الشهرة الواسعة نتيجة كرّه المتواصل والجهد الشاق، دون كلل أو ملل، يغرف من بحر عبقريته.

١٩٢٣م مسرحية جان دارك. ثم ظهرت له عدة مسرحيات منها (عربة التفاح) و(واقع شرير) و(على الصخور) و(المليونيرة). وكانت آخر مسرحياته (الملايين السعيدة).

مع جورج برنارد شو في كتابه:

الإنسان والإنسان الكامل ـ ملهاة وفلسفة

كتب برناردشو أغلب قضايا البشر، وغرف من الثقافات كما يغرف تنّين من بحر، وصبَّ في البحر كما يصب نهر عظيم مارد عملاق.

حين قلب الأمور عكسًا قالوا: إنه زنديق، وفي بحثه عن الحقيقة قالوا: إنه مرتد. وحين كشف بعض الحقائق الإنسانية قالوا: زنديق له دين أو فهم خاص للدين.

له صومعة بلا قباب، وله صلاة بلا ترانيم، وله إيمان عميق متفرد بأن الله خلق الطبيعة وأعطاها قوة الاستمرار، وخلق الإنسان ومنحه وسيلة النمو والبقاء، وأنعم عليه بالعقل وهو قاعدة طموح، وبين القاعدتين يكمن الخير والشر، ويتأرجح الإنسان بين المسيّر والمخيّر. وتحت هذين الظلين تحدث الملهاة والمأساة، وكان السقوط بعد الملهاة، ونتج عن السقوط إحساس، وبعد الإحساس كانت المأساة. والصورة الحسّية للمأساة هي أن الطين عاد الطين. وانفردت المأساة بنفسها، وبحثت عن الخلاص. والمسؤول هو العقل. وأفرز العقل مادة جديدة هي الفلسفة. ووقعت الفلسفة في حيرة!! على أي الطرفين تحكم؟! وتحوّل الحكم إلى سفسطة وجدل، وصدر الحكم على وجهين: التسويغ والتفسير.

وكانت أفكار برنارد شو في مقدمته ومسرحيته تدور حول محور واحد. هو الدون جوانية. مذكرة كانت أم مؤنثة. ولعب لعبتين:

في اللعبة الأولى: جعل من دون جوان شخصية فلسفية بحديّها الملهاتي والمأساتي، وحدد لها تاريخًا متطورًا. ومن خلال العرض بيّن خصائص المرأة والرجل ومهماتهما. كأداتين من أدوات الطبيعة.

مهمة المرأة الإنجاب، ولا بد أن تتزوج بالمعنى الطبيعي أو الشرعي. ومهمة الرجل مزدوجة: المساهمة في الإنجاب وتقديم القوت.

ولكي ينتهي إلى الحكم في قضية الملهاة، كشف مقدمات العلاقة بين الرجل والمرأة وخلفياتها، وأصدر حكمه بأن المبادأة تصدر عن المرأة.

وبرأ الرجل الدون جوان، لأن المبادأة ليست منه تحت شعار التسويغ. أما المرأة فبراءتها تكمن في طبيعة تكوينها تحت حماية التفسير. الحكم ليس خاصًا بل هو عام، أي إنه الدستور الطبيعي في علاقة المذكر مع المؤنث، أما في الخصوصيات، فالأمر أكثر تعقيدًا، وله مناخ مختلف. هناك أحكام أخرى، والأرحم فيها: أن الإنسان يخفف الحكم عن الإنسان، ويفتح له منفذًا اسمه التوبة أو الباب الضيق، وكلاهما ينجيان من الحرق أو الرجم.

أما اللعبة الثانية: فهي شطحة فكرية مقصودة لتثبيت قواعد اللعبة الأولى التي تستند إلى نقاط ارتكاز ثابتة وعميقة، ولها بصمات تغطي كل خطوط الطول والعرض على الأرض.

اللعبة كانت تجربة فكرية طرحها شو على مدى صفحات المسرحية.. اختار شو أشخاص المسرحية وعددهم يزيد على العشرة، اختارهم من المجتمع البريطاني من بيئات مختلفة، وتركهم على سجيتهم يقولون ويتصرفون دون أن يتدخل، كأنهم اجتمعوا مصادفة لها مناخ القدر.

أما الأبطال الرئيسون فهم ثلاثة: آن ـ جون تانر ـ أوكتافيوس. لقد اختار شو ـ آن ـ من فضليات نساء القرن الخامس عشر. امرأة توظف أنوثتها ونضجها العضوي في مشروع العالم. البطل جون تانر، لقد صنعه شو صنعًا، فكان دمية متحركة أمسك شو بكل خيوطها، ليقول من خلاله ما يريد وفق مخطط التجربة وأفكارها.

وألبسه ثوب الشاب الأنيق المثقف الثوري المتمرد. ودسّ له في يده كتاب: الموجز الثوري، والأهم من ذلك أنه أفرغه من المحتوى الغريزي الجامح، ثم دفعه على طريق الإنسان الكامل، وأنطقه بكل ما هو غير عادي.

البطل الثالث أوكتافيوس شاب مهذب لطيف خجول، يتصبب عرقًا إذا صافحته المرأة، وينتمي إلى دون جوان موتسارت.

ويحتدم الجدل في المسرحية حول أمور كثيرة اجتماعية واقتصادية وسياسية. وجون تانر هو الأعنف والأنقى والأكثر تمردًا على الطبيعة والمجتمع.

وتلاحق ـ آن ـ جون تانر على مدى مئة وخمسين صفحة من المسرحية، وكان أحد الأوصياء عليها بعد موت أبيها، وكانت فرص اللقاء به كثيرة. وبين آن وأوكتافيوس علاقة مشروع خطبة وزواج. أوكتافيوس يلاحق آن، وآن تلاحق جون تانر.

وكانت آن تحترم أوكتافيوس، وتناديه أحيانًا باسمه التدليلي ـ تافي ـ وأحيانًا تمسح على خدّه مجاملة وإخفاء لمشاعرها الحقيقية، ولم يكن رجلها الحقيقي الذي تبحث عنه، وربما كان رجلها الاحتياطي. وتستمر آن في محاصرة جون تانر، وتحاول تفتيت صلابته ولامبالاته.

وفجأة وعلى الصفحة الأخيرة من الفصل الرابع والأخير من المسرحية، ترتخي نوابض جون تانر المشدودة، وينتهي مفعول الشحنة الكمالية التي زوّده بها شو، ويقع جون تانر الصيد في شبكة المرأة الصائدة آن، وتتزوجه.

وهكذا تترسخ قواعد اللعبة الجديّة الأولى التي كشف عنها شو في مقدمته. لم يفشل شو لأنه كان ساخرًا في اللعبة الثانية؛ لعبة الإنسان الكامل؛ وكان يريد أن يدلّل بأن الموروث أقوى من المكتسب، وأعمق إرث وأقواه هو ما أرادته الطبيعة وبثته في عروق الحياة.

أختم موضوعي بالقول: إنني لمست حجرًا واحدًا في هرم برنارد شو الأدبي والفلسفي والفكري.. وإنصافًا له، لم يَدْعُ قط إلى الإباحية.

صحيح أنه زنديق. ولكن له دين أو فهم خاص للدين. وما كان يدعو إليه هو عدم وضع العراقيل أمام المسيرة الطبيعية حين يحق الحق. وما كان شو ليرضى أن يحاسب الإنسان بقسوة وصرامة على سلوكية كانت الطبيعة قد أوكلت إليه مهمة تحقيقها.

ولم يكن يهتم بالقشرة السلوكية ولا يجاملها مادامت الحياة مبنية على قطبين هما الذكر والأنثى، السالب والموجب، والانجذاب بينهما حركة طبيعية مخلوقة.

أما فكرة الإنسان الكامل أو الأسمى أو المتفوق، فهي عبث فكري فلسفي وسخرية من سخريات برنارد الكثيرة. وتحت اسم دون جوان قال ما قال. وهي تشبه صومعة بلا رهبان، أو رهبانًا يبحثون عن صومعة بين طيات السراب.

ذلك هو برنارد شو كما فهمته أنا.

كتب برنارد شو أغلب قضايا البشر، وغرف من الثقافات كما يغرف تنين من بحر، وصبَّ في أبحر كما يصب نهر عظيم مارد عملاق

المراجع:

١ـ كتاب الإنسان الكامل لبرناردشو.
٢ـ مجلة الآداب عدد شباط ١٩٥٥م.

ذكريات بغدادية

كوك الدين الأوقافي

د. عدنان الرشيد

ولقد دخل الجيش البريطاني البصرة عام ١٩١٤م، واصطحبوا معهم جنوداً كانوا يعملون في لندن نجارين وقصابين وحذائين «ركاعين باللهجة العراقية».

ومكث الجيش البريطاني في البصرة ثلاث سنوات زرع خلالها بعض العملاء والمخبرين من السراكيل (السركال سكرتير الإقطاعي أو صاحب الأرض) وقد أدّى هؤلاء دوراً غير مشرف إبان أحداث ثورة العشرين في العراق، وعندما احتل الجيش البريطاني بغداد في شهر مارس/آذار«مارس في اللاتينية إله الحرب» عام ١٩١٧م جاء معهم رهط آخر من الخياطين و«المكوجية» والنجارين.

وهنا شاعت في بغداد المقولة التي أطلقها يهود بغداد التي تقول: (جيه أبو ناجي) أي جاء الذي ينجينا من اضطهاد الأتراك، فقد كان الأتراك يضطهدون اليهود مما عمق الكراهية بينهم وبين الأقليات الأخرى، ولكن اليهود انصرفوا إلى التجارة والأعمال الحرة، وممارسة الربا، لأن دينهم لم يحرم الربا بينهم وبين الأديان الأخرى، ولكنه حرم الربا بينهم فقط (أي بين اليهود). والمعروف أن لليهود ٣٦ نبيًّا آخرهم النبي عزرا الذي دفن في البصرة، وسميت المدينة التي دفن فيها(العزير) بسكون العين وفتح الزاي وسكون الراء. وبين أنبياء اليهود نبيتان: خلدا وديبورا.

وكانت بغداد إبان دخول الجيش البريطاني مدينة صغيرة تكثر فيها البساتين ومضخات المياه التي تسحب الماء من دجلة، وكانت هذه المضخات تطلق أصواتًا فيها مسحة من الخدر الذي يوحي بالنعاس والاسترخاء.وكان الشباب يجلسون على ضفاف دجلة، ويراقبون الفلاحات في منطقة الكرادة الشرقية (كلمة كرادة مشتقة من كلمة جرد أي ناعور)، وصادف أن شاهد فلاح شاب فتاة تنزل إلى الشريعة «الشريعة ضفة النهر»لغسل أواني المطبخ، وقد رفعت ثوبها إلى الأعلى، فانكشفت ساقها، وكانت بيضاء، ووضعت في أسفلها خلخالاً من الذهب، وكان منظراً مثيراً، وقال فيها بيتًا من الشعر المعبر عن السليقة:

واسمع دوي الخلخال طب للشريعة
بالحضن خوش تلوك سلسلة ورفيعة

والواقع أن هذا الشعر يعبر عن السليقة الإنسانية الخالية من وصف مصطنع، وليس ما يسمى بالشعر الحر الذي يعد موجة تخريبية للشعر العربي الأصيل. ولنقرأ بعض أبيات هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم اسم شعراء الشعر الحر.

يقول أحد هؤلاء:

وعيون حذائي تراقب امرأة
والقمر الأخضروالضفادع تخلع ثيابها
والسماء تنفث ريشها والشمس
تمشط شعرها

إلخ من هذا الهراء.

وقد فات هؤلاء أن الشعر نشأ منذ بداية الحياة من أصوات الطيور، وأنغام البلابل، ولذلك فإن الشعر المقفى يمتاز بالنغم الموسيقي، والشفافية المنسجمة مع المعنى والسياق العام، ووحدة القافية التي هي في الواقع تعبير موسيقي، ونغم منسجم يعكس قوة التعبير وبلاغة التأثير.

ويوجد تعبير يدل على طبيعة السليقة الإنسانية، فالفلاح المصري مثلاً يقول عندما يغازل فلاحة شابة: ورموش جفونها تفرش فدان.

وفي هذا الوصف تعبير واقعي عن جمال العيون الطبيعي الذي يخلو من أي تزويق، ويمتاز بجرس موسيقي فيه حلاوة العيون الجميلة.

ولنعد إلى المستر كوك الذي دخل مع الإنجليز عام ١٩١٧م ،فكان يعمل في لندن قصّابًا، وقد عينه الحاكم البريطاني المستر كوكس مديرًا لدائرة الأوقاف العامة في بغداد.

وشاهد المستر كوك أن سراديب دائرة الأوقاف العامة وغرفها تزخر بالسيوف والخناجرالفضية والذهبية القديمة، كما أن مكتبة الأوقاف كانت تضم أقدم المخطوطات العربية، فتحركت في نفسه

غريزة الطمع والاحتيال، فأطلق في اليوم التالي لحيته، واعتمر العمامة البيضاء، ولبس الجبة، واشترى مسبحة من نوع كهرمان، وأطلق على نفسه اسم (كوك الدين الأوقافي). وقد استغرب أهالي بغداد هذا اللقب العائلي، فلم يكن في بغداد مثل هذا اللقب، وقد استغل المستر كوك ألقاب المهن، وتصور أن مديرية الأوقاف أيضًا مهنة، ولصقها باسمه، وأضاف بعد كوك كلمة الدين، فأصبحت كوك الدين لينسجم لفظ الاسم عند الناس.

وقد انطلت هذه الحيلة على بعض الجهال، ولكنها لم تنطل على الكثيرين، إذ راح بعضهم يتهكم على المستر كوك، وراح البغداديون يطلقون على اسم علي: علي كوك الدين أو كريم الأوقافي، وهكذا حتى جاء يوم أتى أهالي بغداد فيه ليشاهدوا المستر كوك الدين في دائرة الأوقاف، غير أنه اختفى هو وعمامته وجبته، وقد اختفت معه جميع السيوف والخناجر الذهبية القديمة وكذلك المخطوطات النادرة. سافر المستر كوك إلى لندن وهو يحمل معه عدة حقائب تضم هذه المخطوطات النادرة والسيوف القديمة، وباعها إلى المتحف البريطاني بمبلغ كبير، وعندما علم أهالي بغداد بهروبه إلى لندن راحوا يطلقون النكات عليه، وانبرى الشاعر الشعبي العراقي عبود الكرخي، ونشر قصيدة شعبية في جريدته الكرخ مطلعها:

لا تلقلق يحبسوك

ولا تكول انهزم كوك

وقد ظل هذا البيت يردده العراقيون كلما اشتدت وطأة الظلم من قبل الحكام.

وكان الشاعر الشعبي عبود الكرخي الصوت المعبر عن هموم الناس، وكان ينشر في جريدته أشعارًا شعبية سياسية.

فمرة أراد أن يحصل من شركة باتا للأحذية على حذاء مجانًا، إلا أن صاحب الشركة رفض طلب الشاعر الكرخي، فنشر الكرخي بعد يومين في جريدته الكرخ قصيدة يهجو بها شركة باتا. كان مطلعها:

هاي الشركة الملعونة باته

للوطن هدت قواته

وقد كان لهذه القصيدة تأثير عميق في نفوس الناس، فأحجموا عن شراء الأحذية من شركة باتا وفروعها في العراق، وأعلنت خسارتها.

ومن الذكريات البغدادية التي ظلت عالقة في أذهان الكثيرين أن واسطة النقل بين منطقة الجعيفر في الكرخ ومنطقة الكاظمية التي تدعَى (الكاري أو الكارو)، قد أُعلن عام ١٩٣٠م إفلاسها، والكاري قاطرة تسير على قضبان حديدية، وتجرها عدة خيول مطهمة، وقد تفتق ذهن أحد موظفي هذه المؤسسة عن فكرة ذكية وشيطانية، فمنح أحد المواطنين مبلغًا من المال، وأقنعه أن ينتحل صفة رجل ضرير، ويحمل بيده عصا غليظة، ويذهب معه إلى ضريح موسى الكاظم، وهناك طلب من الكاظم مساعدته، بإعادة بصره إليه، وراح الرجل يقبل ضريح لكاظم، ويستغيث، ففتح الرجل فجأة عينيه، وصاح الرجل المرافق له: لقد فتح الكاظم عينيه، وأعاد إليه بصره، وتعالت صيحات الناس مرددة: فدوة العينك يا الكاظم.

وانتشر الخبر في أنحاء العراق، وجاء العميان من جميع أنحاء العراق إلى الكاظمية زرافات ووحدانا، وانتقلوا من الكرخ إلى الكاظمية بواسطة الكاري، فامتلأت خزانة مؤسسة الكاري للنقل واستعادت عافيتها، وبعد ثلاثة أيام اكتشف العميان أن عيونهم لم تفتح، ولم يعد إليها النور، فأدركوا الكذبة الكبيرة، وراحوا يرددون الدعاء ضد مؤسسة الكاري للنقل.

والعميان في العراق لهم مواقف وطنية بمقاييس ذلك الزمان، فعندما كان المذيع العراقي في إذاعة برلين (يونس بحري) يذيع نشرة الأخبار في السادسة مساء قائلاً هنا برلين، فيردد العميان في العراق ينصرك رب العالمين، وكان ذلك عام ١٩٤١م، إبان انقلاب رشيد عالي الكيلاني.

ومن الذكريات البغدادية أن الإقطاعي محمد العريبي الذي كان يملك مساحات من الأراضي في العمارة تقدر بمساحة أراضي بلجيكا، وكان أميًا، ولكنه كان أحد أعضاء مجلس الأعيان، وصادف أن طلب العريبي عام ١٩٥٠م من أحد كتاب العرائض (أرضحلجي في اللغة التركية) أن يحرر له طلبًا إلى متصرف لواء العمارة لاسترجاع قطعة من الأرض، وعندما قرأ كاتب العرائض نص العريضة اعترض عليه الشيخ محمد العريبي قائلاً: ولك هي شلون عريضة؟ فأجابه كاتب العرائض : ليش عمي؟ فقال محمد العريبي: وين فَلَو؟

فقال كاتب العرائض: ماذا تقصد؟

فقال محمد العريبي:

جميع أعضاء مجلس الأعيان (الشيوخ) يرددون كلماتهم قائلين فَلَو أن فلو كان...

إذن أضف لي كلمة فلو لكي يستقيم نص العريضة. فما كان من كاتب العرائض إلا أن أضاف له كلمة (فلو)

ومن الذكريات التي يتحدث عنها جيل العشرينيات حادثة متصرف لواء الديوانية الذي زاره قائد حامية اللواء المستر هارس، فأقيم له سرادق، وحضر وجهاء المدينة وجميع المعلمين والموظفين، وكان على المتصرف أن يلقي كلمة الحفل باللغة الإنجليزية، إلا أن المشكلة هي أن المتصرف لم يكن يجيد الإنجليزية، فنهض من بين الحاضرين معلم مسيحي كان يقوم بتدريس الإنجليزية، فاقترح على المتصرف أن يكتب له لفظ الكلمات الإنجليزية بالعربية، فانشرح صدر المتصرف، وكتب المعلم للمتصرف جميع كلمات الكلمة الإنجليزية بالعربية وكانت أول كلمة هي المستر هاريس wilcome أي «مرحبًا»، ووقف المتصرف، وقد وضع السدارة السوداء (الفيصلية) نسبة إلى الملك فيصل الأول فوق رأسه، وبدأ يلقي كلمته فقال:

مستر هاريس ويل لكم بدلاً من ولْكَم، فضج الحاضرون بالضحك، ولم يفهم المستر هاريس شيئًا من كلمة المتصرف (المحافظ).

محمد كومياما

الإسلام دين القرن الحادي والعشرين

المجتمع الياباني، مجتمع فريد في نوعه، ذلك أن اليابانيين قوم يتميزون بالجدية والتمسك بعقيدتهم، وعلى الرغم من أنهم يقودون حاليًا ثورة التقنية ويسبقون في ذلك نظراءهم بعشرات السنوات، حتى ليمكن القول: إنهم دخلوا - فعلاً - القرن الحادي والعشرين بأعمالهم واختراعاتهم الباهرة، فإنهم، على كل هذا التقدم، لا يزالون يتمسكون بعقيدة «الشنتون» التي هي فرع من البوذية، وتقوم على الربط بين الشخصية القومية للبلاد والاعتقاد بأن الامبراطور أو «الميكادو» سليل لآلهة الشمس.

بيئة.. ومعتقدات

في ظل هذه البيئة وتلك المعتقدات ولد «جوشيرو كومياما» عقب الحرب العالمية الأولى بسنوات، ليشب مثل غيره من الأطفال اليابانيين يؤمن بـ «الميكادو» ويقلد، دون وعي، ما يفعله والداه وأقاربه وجيرانه من طقوس وثنية مُبهَمَة.

وحين شب عن الطوق دفعه شغفه بالعلوم إلى التخصص فيها، فاليابان أم التقنية الحديثة، والمستقبل مستقبل العلوم، وهو ما يتوافق مع طبيعة التكوين النفسي لأبناء اليابان الذين يعشقون العمل ويحرصون على إتقانه، والإخلاص له، فكان طبيعيًا أن يتجه جوشيرو إلى التخصص التقني، وأن يدفعه طموحه خطوات كبيرة إلى الأمام، حتى تقلد منصب وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، ثم ترأس وكالة العلوم والتقنية، وهما منصبان يلبيان طموح أي إنسان.

إلا أن جوشيرو كان له طموح من نوع آخر، فهو - كرجل عاش حياته للعلم - لم يكن مقتنعًا بصحة عقيدته، وما تقوم عليه من ادعاءات واهية، فتجاذبه عنصران: أولهما ميله - كياباني - إلى احترام الأسلاف والاعتقاد بصواب ما يقولونه. والثاني تلك الرغبة المتأججة في داخله للمعرفة، والنداء الغامض الذي يأتي من فطرته السليمة، ويدعوه إلى نبذ ما هو عليه من باطل وخلط لحقائق الأمور.

سؤال حائر

كان في داخله سؤال حائر: إن من الثابت أن الكون والخلق وُجدا قبل أن يوجد بوذا، وقبل أن يوجد كنفوشيوس، وغيرهما ممن عُبِدوا بعد موتهما، فكيف يمكن أن يقال بألوهية مثل هؤلاء أو الإيمان بهم؟ إن العلم بحقائق الأشياء يقطع بأن الخالق يسبق الخلق، وليس العكس.

لم يكن جوشيرو يملك أية فكرة عن الإسلام، حتى كانت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ وما تحقق خلالها من نصر للعرب المسلمين، وصاروا، بنفطهم الذي وضعوه في خدمة معركتهم الحضارية، قوة يعترف بها العدو قبل الصديق، فأخذ جوشيرو يشاور نفسه حول حقيقة هذا الدين، واطّلع على ترجمة لمعاني القرآن الكريم كان قد قام بها أستاذ ياباني غير مسلم يعمل بجامعة طوكيو عام ١٩٢٠م، وعلى الرغم من عدم إجادة المترجم للغة العربية واستعانته بالترجمات الإنجليزية، فإن تلك الترجمة أتاحت لجوشيرو أن يعرف شيئًا عن الإسلام كعقيدة سماوية للبشرية كافة لا تميز بين عرق وجنس ولون.

وأتيح لجوشيرو التعرف على مسلم ياباني هو الحاج عمر ميتا، المستشار العام للمركز الإسلامي في طوكيو، الذي أسهم في إرشاده للكثير من الحقائق حول الشريعة الإسلامية، مما كان له أكبر الأثر في توجيه قراءاته، وإتاحة الفرصة له ليوازن ويفكر، ذلك أن الياباني من طبيعته التروي وعدم التسرع، فلا يتخذ قرارًا إلا بعد تفكير عميق ومناقشة واعية موضوعية.

اعتناق الإسلام

وهذا ما حدث للمهتدي جوشيرو كومياما، الذي درس الإسلام بفكر متجرد وعقل منفتح، فوجد في هذا الدين القيم ما تبحث عنه نفسه الحيرى من أمن روحي واقتناع عقلي، وبخاصة بعدما وجد في القرآن الكريم دعوة إلى طلب العلم، وإعلاء شأن العلماء، مما حفزه على اتخاذ الخطوة الأولى نحو طريق الهدى والخلاص من شرك الجاهلية.

كانت حقبة السبعينيات الميلادية تقترب من نهايتها حين طيرت وكالات الأنباء العالمية خبر اهتداء جوشيرو كومياما إلى دين الحق، وإشهاره إسلامه ليصبح اسمه محمد كوميام، منتصرًا لنفسه في حربها الداخلية بين نداء الفطرة ودين الآباء.

بعد إسلامه لم يركن محمد كوميام إلى التقوقع داخل الذات أو الاكتفاء بإنقاذ روحه، بل عمل بإخلاص في خدمة الدعوة الإسلامية مع إخوته من المسلمين اليابانيين الذين سبقوه، إلى اعتناق دين الحق.

ومن أمثلة ذلك تنظيمه مع صديقه البروفسور الحاج شوقي فوتاكي مؤتمرًا للتضامن الإسلامي في طوكيو قبل نحو عشرين عامًا شاركت في أعماله ٢٦ دولة إسلامية، وحضره ما يزيد على سبعة آلاف مسلم ياباني، فكان ذلك المؤتمر الأكبر من نوعه، والأول الذي يعقد في دولة غير مسلمة، ونتج عنه توسع كبير في إقامة المساجد والمراكز الإسلامية في المدن الكبرى في اليابان.

رؤى

ويرى محمد كوميام أن القرن الحادي والعشرين الذي نحن على مشارفه هو قرن الدين حتمًا، وأن الإسلام مؤهل بما يشتمل عليه من قيم خالدة، ومعان روحية سامية لأن يسود العالم، وينتشر ويبز غيره من العقائد، وأن على المسلمين تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية، لتعريف البشرية بأن الإسلام هو دين البشرية جمعاء، وهو ما يمكن أن يحدث لو تكاتف المسلمون لنقل مبادئ دينهم السامي عبر تقديم خدمات تعليمية وصحية لإخوتهم في البشرية ليكونوا القدوة الحسنة لغيرهم من الأمم، فالكلام وحده لا يكفي لإنقاذ الأرواح وهدايتها ما لم يصاحبه عمل واع مدروس.

قصيدة

الوهم

مجدي محمود الفقي

رذاذ المطر يعزف موسيقى الليل، لا شيء يقتل سكون هذا الليل السرمدي سواه. دقات قلبي متزاحمة.. دقات الساعة متباطئة، ما زالت الثانية وخمس دقائق. ممسكًا بسلاح الخدمة الوحيد وحدي، لا أنيس لي سوى رذاذ المطر وشخير أفراد الخدمة أسفل البرج، صفعتني رياح أمشير بارود من المطر.. انطفأ الكشاف، فرَّ ثباتي مع فرار الضوء، شبح يفرق البوص ويقترب.. يغطي سواد وجهه بتلفيعة بيضاء.. ركبتاي تتخبطان مثلما يتخبط السونكي وماسورة السلاح، الخوف يهزني بقوة، تزاحمت في ذاكرتي نشرات الأخبار وعناوين الجرائد ووصايا اللواء قائد الكلية لنا في الإفطار المجمع. كل واحد يقف رجل في خدمته.. ممكن أي إرهابي يسطو عليك.. يُميتك ويأخذ منك السلاح والذخيرة. حاولت إصلاح الكشاف.. أرتعشُ بشدة، قذفني التيار إلى عمود البرج الخرساني.

يا ليته سلبني روحي وأراحني من هذه «الشنجاية السوداء»، نهضت محتضنًا سلاحي.. روحي شبح الإرهابي الأسود يقترب من السور.. جذبت الأجزاء يعاند ويمتطي السور:

اثبت.. مح.. لك.

بُحّت الحاء في حلقي.. ناديت بصوت لم يسمعه سواي: اثبت محلك، يعاند ويتخطى الأسلاك الشائكة.. ضغطت بيدي المرتعشة على الزناد، تكة مرتعشة بلا مقذوف، كانت الخزينة فارغة. عاد التيار بعودة الريح.. فرّ الشبح من الظلام وقل الخوف.

تذكر وعد محمود له في «الشنجاية النهارية» كان المرور عبر الأسلاك مقابل وقوف هذه «الشنجاية» الكئيبة، طير محمود إليه الوعد من الخارج:

سهرة سعيدة في الإسكندرية وراجع لك قبل الساعة الواحدة.

عاد الشيخ يفرق البوص رغم الضوء. تلبسني الرعب. طاردتني فكرة شيطانية.

سلْك الكابل الكهربائي ممتد على السور الدائري للكلية مثل السلك الشائك.. أقشر سلك الكابل.. أرفعه على السَلك الشائك هكذا تصعق الكهرباء من يتخطى السور.. أمسك البندقية من «الدبشك» الخشبي وبالسونكي أقشر العازل.

زعق ضابط الدورية عليه وهو يرفع الأسلاك للتلامس:

- يا خدمة

رد بصوت عال متحصن بالثبات:

أفندم.

الحلو بتاعك إيه الليلة؟

فداء يا فندم.

ارتكن على السلاح في ثبات المطمئن. لا خوف من الشبح ولا من المرور. فزع على صرخة آتية من ناحية برج «١٧» ردد أفراد الخدمة على التوالي:

حرس سلاح.. حرس سلاح.

أسرعت السيارة محملة بالمسلحين الخفيفي الحركة، تلاها نفير النجدة، زرعت أرض الوحدة بالمسلحين، اشتعلت الوحدة بالحيوية التي تمناها، طيَّر الصول مجاهد إليه:

العسكري محمود صعقته الكهرباء ومات.

استدار.. ما زالت الأسلاك متشابكة، تذكر جواب محمود له عندما سأله عن كيفية الرجوع: - سور برج «١٧» واطي عن هنا.

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

استفسار عن كتب

لـديَّ هـذه الـكـتـب فـي مكتـبـتي وهاك بعـضـهـا فـمـا الصالح منها:

الإمـام والسـيـاسـة، روضـة المحبين، منهاج السنة، إحياء علوم الدين، كـشاف القناع، حـاشـيـة ابن عـابدين، سـيرة ابن هشـام، التوابون.

سليمان ن. ن. - نيجيريا

الإمامة والسياسة: هذا كتاب منسـوب لابن قـتـيـبـة، وليس له لمخالفته نهجه أصلاً.

روضة المحبين: منسوب لابن قيم الجوزية لستُ أظنه له.

منهـاج السنة: لابن تيـمـيـة كتـاب جليل القدر عـالي القيـمة فلا تفرط فيه.

إحـيـــاء علوم الديـن: لأبي حامـد الغزالي كتاب صـوفي يقرأ بحذر بالغ، ففيه أحـاديث ضعيفة وموضـوعـة، وفـيـهـا كـلام عن التـوحـيـد، خـالف - رحـمـه الله تعالـى - فيـه الأصل، وقـد خـرّج الحـافظ العـراقي أحـاديثـه، وبيّن مـرتبـتـهـا في كـتـابه: «المغني في الأسفار عن حمل الأسفار»، كما جـرّده الشـيـخ جـمـــال الدين القاسمي من الواهيات في كتابه: مـوعظة المؤمنين من إحيـاء علوم الدين.

كـشـاف القـنـاع: كـتـاب مختصر في الفقه الحنفي فيه أقوال جيدة وأخرى مرجوحة.

حـاشيـة ابن عـابدين: كتـاب جيـد في بابه في الفـقـه والأدلة، وهو مختصر في الفقه الحنفي.

٧- السـيـرة لابـن هشـام: في السيرة النبوية اختصره من السيرة لابن إسـحـاق وزاد ونقص، لكنه فيـه روايات تحتـاج إلى تصحـيـح، وقـد صدر كـتـاب جيـد في هذا عليـه وهـو «الروض الأُنُف»، لابد منه معه، وهو شبه حاشية له.

التـــوابون: لعلـك تقـصـــد «كتاب التوابين»، كـتاب جيد في بابه مختصر، وهو قصص جيدة وروايات شبه مستقيمة مفيدة.

كيف التوزيع ؟

امـرأة توفيت وخلفت عـمًـا وثلاث عـمـــات وثلاثة أبـنـاء، أحدهم صـغير وأمًا، وكـانـت قد أوصت بربع مـالهـا وقـفًـا على والديها.. فكيف يتم التوزيع؟

ع ب ع ع. البكيرية - القصيم

أولاً: تُحصر التـركة، ويُجمع كل الذي خلفته من مـال وعقـار ونحوهما.

ثانـيًـا: يخـــرج الربع منه، ويجعل في موضعه الذي عينته.

ثالثا: إن كان عـليهـا دين أو عندها أمـانات أو ودائع فتُـخـرج هذه كلها وتعـطى أصحابهـا بعد ثبات ذلـك شرعًا أو بدليـل مادي واضح.

رابعًا: تقـسـيم التـركـة بعـد ذلك على الـورثة كـمــا يلي: عم ذكـر، ثلاث عـمــات، أم، ثلاثة أبناء.

فـالـعم والعـمـات، لا يرثون شيـئًا بسـبب وجود الأبناء، والأم تأخـذ السـدس، والـبـاقي يأخـذه الأبناء بالتـسـاوي فـيـمـا بينهم، ويقـــوم علـى القـــاصـــر - الابن الصغيـر- أحد الورثة البـالغ العاقل الأمين، أو من يرونه صـالحًا لذلك ليحـفظ نصيبـه ويشغله بالتـجارة الصــالحـة حـتى ينـمـو ويشب الصغير.

نبي رسول

هل يوسـف عليـه الـصـلاة والسلام نبي رسول أم نبي؟

داود جاسم الجفري - الكويت

يوسف عليه الصـلاة والسلام نبي رسـول، قـال تعـالى: «ولقـد جـاءَكم يوسُفُ من قبلُ بالبينات فمازلتم في شكٍّ ممّا جاءكم به». غـافر: ٣٤. فـهو نبي رسـول، ولم أقف حسب علمي على من قـال خـــلاف ذلـك بـدليل ثـابت صحيح.

المهر للزوجة

مـهـر الزوجـة وراتبـهـا بعـد الزواج لمن يكون؟

ط. ط. ط. قطر

المهـر للزوجـة لأنهـا سـببـه الأصلي ليس لـلوالد ولا لغيـره من أوليـــائهـــا، إلا أن تســـمح به، أو ببعضه لمن تريد من أقاربها.

أمـا الراتب فـلا داعي للسـؤال عنه، فهو حق لها تتصرف به كيف تشـاء، فـالإسـلام قـد كرم المرأة وجـــعـلهـــا ترث وتـورث وتبـيـع وتشتـري وفق الشريعة الإسلامية، ومـا نسمعـه من أخذ ورد بسـبب راتبـهـا فهـذه شنشنـة معـروفـة من أخـزم بسـبب قـصـر نـظر الرجل. اللهم إلا إن كـانـت المرأة منحرفـة وتجلب إلى البيت مـا يضره من لهو مـفـســد للفكر والعـقـل، خـاصـة الأطفـال فـهنـا لابد من التـحكم معها بعـقل وحكمة حتى لا يضيع البـيـت بانحـراف الصـغـار دينًا أو خلقًا أو فكرًا.

حقوق المؤلف بين الإسلام والفكر المعاصر

د.رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

الإنسان مفطور على حب المال، يقول رب العالمين: *وتحبون المال حبًا جمًا* **الفجر: ٢٠**، والمال مال الله، سبحانه وتعالى، المالك للمتلكات جميعًا، يقول الله تبارك وتعالى: *لله ملكُ السموات والأرض وما فيهنَّ*. **المائدة: ١٢٠**، ولقد ملّك الله الإنسان من ملكه ليبتليه فيه، يقول تعالى: *وهُوَ الذي جعَلَكم خلائفَ الأرض ورَفَعَ بعْضَكم فوقَ بعضٍ دَرَجات ليَبْلوكُمْ فيما آتاكُمْ إنّ ربَّكَ سَريعُ العقاب*. **الأنعام: ١٦٥**.

والملكية

كحق يختص به الإنسان، يجري عليه ما يجري على الحقوق الشرعية من واجبات في المقابل، ومهما طال الزمن باستئثار الإنسان بالملك لا بد من أن يزول عنه، ويُسأل أمام الله عن تبعة ذلك الحق، يقول عز وجل: *إنّ إلَينا إيَابَهُمْ ثُمّ إنّ عَلَيْنا حِسَابَهُمْ*. **الغاشية: ٢٥-٢٦**.

وملكية الإنسان لا تنصرف فحسب إلى الأشياء المادية التي لها كتلة ووزن، بل يمتلك الإنسان نتاج فكره وإفرازه الذهني وإبداعاته ومخترعاته، ومحصوله الفكري مردود عليه، فالابتلاء يصدق على الشيء المملوك ماديًا كان أم معنويًا. والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هو أول من تحدث في القيمة الفكرية حين تجمع في مستودع علمي تتوارثه الأجيال، وتنتفع به، يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم نافع يُنْتفع به أو ولد صالح يدعو له.

طبيعة حقوق المؤلف

المؤلف: هو كل صاحب إنتاج فكري أو ذهني في الآداب والفنون والعلوم، والمنتج الذي يفرزه المؤلف - حسب تخصصه - يدرجه في شكل من أشكال التصنيف الفنية أو الثقافية. ومن المعروف أن التقدم التقني أسهم في تطوير وسائل جمع المحصول الفكري وإبداعه في محفظات مسجلة، فإذا كانت الملفات المكتوبة هي وسائل الحفظ التي كانت سائدة فيما مضى، فقد عرفت الآن شرائط التسجيل والفيديو كاسيت، فيمكن استدعاء المنتج الفكري من الجهاز المودع فيه، وتمكن مطالعته بالرؤية أوالسمع حسب النمط التقني للمسجلات الصوتية والمرئية. والجاري الآن أن صاحب المادة الفنية أو الثقافية أو الاختراع يكلف هيئات متخصصة تنهض باستغلال المُفرز الذهني بموجب تعاقد بينهما.

لا شك أن حقوق المؤلف تقوّم بالمال، ولذلك تدق أهمية تحديد التكييف القانوني لهذه الحقوق، فهل يعدّ حق التأليف حقًا شخصيًا أم حقًا عينيا؟.

يقسم شراح القانون المدني الحقوق المالية - أي الحقوق التي تقوّم بالمال قسمين على أساس اختلاف موضوعهما: حقوق عينية، وحقوق شخصية. الحقوق العينينة: وتنصرف إلى الحقوق التي تتمثل في سلطة مباشرة يعترف بها القانون لشخص على شيء معين بذاته، كحق الملكية.

والحقوق الشخصية: تنعدم فيها هذه السلطة

المباشرة التي تتمثل في القدرة على مطالبة شخص أو أشخاص بالقيام بعمل أو الامتناع عن عمل، أي حقوق الدائنية. فالحق العيني سلطة مباشرة لشخص على شيء معين، أما الحق الشخصي فهو قدرة على اقتضاء أداء معين من شخص معين(١).

وتعريف نوعي الحق بالصورة السابقة يبرز خصائص كل منهما، فتنجلي أوجه الخلاف بين الحق العيني والحق الشخصي، فالسلطة المباشرة التي تتكون للشخص على شيء معين بذاته هي خصيصة الحق العيني، وهي التي تفرقه عن الحق الشخصي الذي لا توجد فيه لصاحب الحق هذه السلطة المباشرة على شيء، وإنما مجرد قدرة على مطالبة شخص آخر بأن يؤدي له عملاً أو امتناعًا تتحقق به المصلحة التي يرمي إليها حقه. ولا تتحقق لصاحب الحق القيمة التي يمثلها حقه إلا بقيام الشخص الذي يلتزم أداء العمل أو(الامتناع) بتنفيذ ما يقع على عاتقه من واجب العمل أوالامتناع، أي إن وساطة الملتزم ضرورة قانونية في الحق الشخصي، على خلاف الحال في الحق العيني، حيث تتحقق قيمته المالية بالأعمال التي يباشرها صاحبه على الشيء موضوع الحق بما له من سلطة مباشرة على هذا الشيء(٢).

ويضيف شراح القانون في الوقت الحاضر إلى الحقوق العينية والشخصية نوعًا ثالثًا من الحقوق المالية هو الحقوق الذهنية أوالمعنوية، وهي الحقوق التي ترد على الإنتاج الذهني للإنسان، وقد مال الرأي في البداية، إلى اعتبار هذه الحقوق ملكيةترد على أشياء معنوية، وبالتالي من صور الحقوق العينية، ولكن هذا التكييف انتقد على أساس أنه يتعارض مع أحكام الحقوق الذهنية، لأن هذه الحقوق ليست مؤبدة كالملكية، كما أن استئثار المالك بحقه لا يتصور فيها، لذا مال الشراح حاليًا إلى جعلها نوعًا مستقلاً من الحقوق المالية هو الحقوق الذهنية أو المعنوية.(٣)

وجدير بالذكر أنه بتعقب تعريف الملكية في الفقه الإسلامي الأصيل، يتضح أن القرافي - وهو من فقهاء المذهب المالكي - يرى أن الملكية حكم شرعي مقدر وجوده في أعين أو منفعة يقتضي تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من الانتفاع بالعين أو المنفعة أو بالاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك، (٤)، ويقترب من هذا مفهوم الملكية عند بعض فقهاء المذهب الشافعي بالقول: حيازة الشيء متى كان الحائز قادراً - وحده - على التصرف فيه والانتفاع به عند عدم المانع الشرعي.(٥)

وفي اعتقادنا - على الرغم من دقة تعريفات المالكية والشافعية لمفهوم الملكية - أن الحقوق الذهنية لا تعدو أن تكون صورة خاصة من الملكية تتميز من ملكية الأشياء المادية بأحكام تتفق مع الطبيعة المعنوية لها، وليس هناك ما يمنع من أن تكون للملكية صور متعددة لا صورة واحدة، وبذا تدخل الحقوق الذهنية في نطاق الحقوق العينية.

ونستدل على هذا الرأي بالمنظور الواسع لمفهوم الملكية عند بعض فقهاء المذهب الحنفي، فالكمال ابن الهمام يقرر: (أن الملك هوالقدرة على التصرف ابتداءً إلا لمانع)(٦)، ويضيف ابن نجيم الحنفي أن (الملك هو الاختصاص الحاجز).(٧) فالظاهر عند هذين الفقيهين الجليلين أنهما لم يقيد أيٌّ منهما نفسه بأشكال التملك ومحله مرة بالقول عنه«القدرة»، والثانية ذُكر فيها الاختصاص، ومؤدى ذلك الاتساع في مفهوم مواد الملكية أن يصير الإفراغ الذهني الصادر عن فكر الإنسان من ضمن حقوق الملكية العينية، متى أدرج في محفوظ مكتوب أو مسجل في وسيلة من الوسائل التي أفرزها التقدم التقني، وبالتالي تدخل حقوق المؤلف في نطاق الحقوق العينية، ويجري عليها بالتالي ما يجري على الحقوق العينية من أحكام إلا من فروق طفيفة ناتجة عن طبيعتها الأدبية والمعنوية.

ينبغي على القضاء أن يفرق بين نماذج الاعتداء المنصوص عليها في القوانين الخاصة، والأنموذج المتضمن إنكار ذاتية الإبداع الفكري

حماية المؤلف

تلبية لنداء جمعيات حماية هذه الحقوق في النصف الأخير من القرن الماضي عقدت اتفاقية «برن» لحماية حقوق المؤلف في العام ١٨٨٦م، وحيث أنشئ فيها مكتب الاتحاد الدولي لحماية المصنفات الأدبية والفنية والعلمية، وبفضل نشاط خبراء هيئة اليونسكو حظي موضوع حقوق المؤلف باهتمام عالمي، توالت على إثر ذلك المواثيق الدولية التي حاولت وضع نظرية عامة لحقوق التأليف، فعقد في روما اتفاقية حماية حقوق المجاورة، وفي باريس اتفاقية حماية الملكية الصناعية، واتفاقية واشنطن للدوائر المتكاملة. وتحت رعاية منظمة اليونسكو أنشئت المنظمة العالمية لحقوق الملكية الفكرية المعروفة بـ (الوايبو)، وشهدت جنيف منتدى عامًا في سنة ١٩٨٢م تحت رعاية هاتين المنظمتين، انتهى إلى توصيات توضح أسس حماية حقوق الملكية الفكرية، والضوابط التشريعية التي ينبغي على الدول أن تراعيها حماية لتلك الحقوق التي شهدت انتهاكات وصلت إلى درجة تجاوز الحدود الإقليمية.

واستجابة لذلك تدخلت الدول بإفراد قوانين خاصة لأجل التصدي لظاهرة الاعتداء على حقوق المؤلف. وبالقطع كان لهذا صداه في الدول العربية تجاوبًا مع نص المادة ٢١ من ميثاق الوحدة الثقافية العربية عام ١٩٦٤م الذي أهاب بالدول العربية أن تضع كل منها تشريعًا لحماية الملكية الأدبية والفنية والعلمية ضمن حدود سيادة كل منها، بهدف تشجيع المؤلفين والمبدعين العرب على الابتكار والتجديد من خلال حماية حقوقهم في مجالات الآداب والفنون والعلوم أيًا كانت قيمة هذه المصنفات أو أنواعها أو الغرض منها، أو طريقة التعبير المستعملة فيها، ومنها الكتب المكتوبة، والمؤلفات المسرحية، والمصنفات الموسيقية والصور التوضيحية والخرائط الجغرافية والطبوغرافيا، وفن العمارة والعلوم وما أشبه.(٧)

التدخل التشريعي بتنظيم حقوق المؤلف

التشريعات الوضعية الخاصة - بوجه عام - ضمنت نصوصها أنماط حقوق المؤلف التي يكفلها القانون، وفي مقدمتها: نشر المصنّف، وتعيين طريقة النشر، وحق المؤلف في استغلاله ماليًا، ومنع الآخرين مباشرة هذا الحق إلا بعد الحصول على إذن كتابي من صاحب حق الاستغلال المالي للمصنف الأصلي أو خلفائه.

ثانيًا: نقل المصنف إلى الجمهور بطريقة مباشرة «التلاوة العلنية، التوقيع الموسيقي، والتمثيل المسرحي، العرض العلني»، أوغير مباشرة «نسخ صورة منه أو نقله عن طريق الطباعة أو الرسم».

ثالثًا: للمؤلف أن يدخل ما يراه من تعديل أو تحوير في مؤلفه، وله وحده الحق في ترجمته إلى لغة أخرى.

رابعًا: تداول المصنف بعنوانه الأصلي أو ترجمته المطابقة له، ولا يجوزتعديل هذا العنوان أو تغييره إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو ممن يخلفه.

وفيما يتعلق بالوصف التشريعي لحقوق التأليف، يتضح أن المشرع السوري نص في المادة ٨٩ على أن

حقوق المؤلف بين الإسلام والفكر المعاصر

(الحقوق التي ترد على شيء غير مادي تنظمها قوانين خاصة)، وبذلك عدّ القانون السوري حقوق الملكية الذهنية صورة خاصة من صور الحقوق، ولم يجزم الشارع بطبيعتها كحق ملكية، وإنما يكفله بقواعد خاصة، وهو النهج نفسه المتبع في مصر، إذ قضت الفقرة الأولى من القانون رقم ٣٥٤٥ لسنة ١٩٥٤م، بشأن حق المؤلف بأن يتمتع بحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة في الآداب والعلوم أيًا كان نوع هذه المصنفات.

في حين أن القرار اللبناني رقم ٣٢٨٥ لسنة ١٩٢٤م بنظام حقوق الملكية نص صراحة على اعتبار حقوق المؤلف حقوق ملكية (الشخص الذي يبتكر أثرًا أدبيًا أوفنيًا، له بمجرد ابتكاره حق الملكية المطلقة على هذا الأثر)، وجدير بالتنويه أن معظم العلماء الذين شاركوا في برنامج الحفاظ على حق المؤلف بمهرجان التربية الثقافي الكويتي الذي عقد في ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٥م ، عكفوا على دراسة تعريف عربي موحد لحقوق المؤلف، وعلى أن تكيف هذه الحقوق بوصفها حقوق ملكية، يجري على حمايتها جنائيًا قواعد الحماية المقررة في شأن الممتلكات المادية.

صور الاعتداء على حقوق المؤلف

يدخل فعل الاعتداء الأنموذج التشريعي المعاقب عليه في القوانين الخاصة إذا أقدم الجاني على الإتيان بتصرف ينطوي على المساس بحقوق المؤلف التي تحصرها التشريعات الخاصة، ومن هذا القبيل: أن يعمد الجاني إلى نشر المصنف أو عرضه دون تصريح أو إذن مسبق من المؤلف أو صاحب حق الاستغلال، أو قيام الجاني بتحوير المؤلَّف أو ترجمته إلى لغة أخرى، كما تؤثم التشريعات الخاصة تداول المصنف أو تعديل عنوانه دون استئذان مؤلفه.

ويُعد من قبيل الاعتداء على حقوق التأليف أن يدخل الجاني إلى موطنه مصنفًا منشورًا في الخارج دون أن يصرح المؤلف الأجنبي له بذلك، أو أن يقلد في بلده مصنفًا منشورًا في الخارج أو يبيعه أو يعرضه للبيع أو للتداول أو للإيجار، أويصدره أو يشحنه للخارج.

وجدير بالذكر أن القوانين الخاصة تحظر على كل من صاحب الحق ومن يزاول نشاط استغلال المصنفات - السمعية والسمعية والبصرية، سواء كان شخصًا طبيعيًا أو اعتباريًا، أن ينتج أو ينسخ أويصور أويسجل أو يطرح للتداول أيًا من هذه المصنفات بأية طريقة إلا بعد الحصول على ترخيص من الدولة (متمثلة في الوزارة أو الهيئة الثقافية المعنية).(٩)

والجزاءات الجنائية حددتها هذه القوانين الخاصة وتراوح بين الحبس البسيط والغرامة المالية، مع حفظ حق المتضرر في اللجوء إلى القضاء المدني لجبر الضرر المادي والمعنوي طبقًا للقواعد العامة للمسؤولية المدنية.

والحقيقة أن أنماط التجريم التي تحصرها التشريعات الخاصة لا تخرج عن نطاق الصور السالفة الذكر، وهذا المنطق اقتضته السياسة التشريعية المعاصرة، وذلك لسد الفراغ التشريعي الناشئ عن صعوبة توصيف أي فعل مما سبق تحت النماذج التشريعية المُعاقب عليها في القوانين الجنائيةالعامة.

وتدق المسألة - على نحو خاص - إزاء تصرفات قد تبدر من بعض المؤلفين، خاصة كتابة المنشورات العالمية أوالإقليمية والمحلية، العاملين بالصحف والمجلات وسائر الدوريات العامة والمتخصصة، وكذلك الأدباء وكتاب التراث وأصحاب التخصصات العلمية المختلفة، وتتميز جرائم الاعتداء هنا بأن طرفيها من المؤلفين؛ إذ يعمد مؤلف إلى الاستيلاء على مادة التأليف المختص بها مؤلف غيره، بأن يستبعد اسم المؤلف صاحب الحق ويقوم المؤلف المعتدي بإثبات اسمه محل اسم المؤلف المعتدى عليه. والواقع أن هذا السلوك يمثل أشد صور الاعتداء جسامة على حقوق المؤلف، لما ينطوي عليه التصرف من إنكار لذاتية الإبداعات الفكرية التي ينبغي أن يختص بها من أفرزها. ومن صور التصرفات المؤثمة في هذا المجال أيضًا - وإن كانت أقل جسامة مما سبق - أن يعرض المعتدي مادة فكرية من صنعه وإبداعه، ومع ذلك يقوم بإدراج مساحة متسعة أو ضيقة داخل مؤلفه ليست من إنتاجه الذهني، وإنما من إنتاج غيره، ويعمد المؤلف المعتدي إلى عدم الإشارة في مؤلفه إلى أن المادة المعروضة مقتبسة اقتباساً حرفيًا عن منتجها الأصلي. كما نلمح نموذجًا آخر للاعتداء على حق المؤلف، يقع بشكل خفي وغير ملموس، حين يعمد عارض المادة المؤلفة إلى استقاء معلوماته وبياناته وإحصاءاته من مؤلفات غيره، ويتغافل عمدًا عن ذكر المصدر. مع أن نمط الاعتداء الأخير هذا يكون من الصعوبة إثباته في معظم الحالات - لافتراض حدوثه من ذوي الخبرة في التأليف - إلا أن الضمير العلمي يستهجن هذه التصرفات في أعماقه، مما جعل أهل العلم والمعرفة يصمون تصرف المؤلف بأنه تصرف مخل بالأمانة العلمية، وهي فرض واجب على جميع المؤلفين.

إن الاقتباس الحرفي أو عدم الإشارة إلى مصادر المعلومات، وإن كان من الصعب إدخال أي من هذين التصرفين ضمن النماذج التجريمية الواجب معاقبتها جنائيًا، إلا أن تقرير المسؤولية التأديبية عنها أمام الهيئات الثقافية والعلمية، نمط رقابي ينبغي عدم التغافل عنه ولو أدى الأمر إلى مقاطعة أعمال المؤلف ونشرها، بل والتنديد بتصرفه في المحافل العلمية وعلى صفحات النشر.

جريمة إنكار ذاتية الإبداع الفكري

وهذه الجريمة - حسب اعتقادنا - هي التي تُسمى بـ: السرقات الأدبية والفكرية الذهنية، وذلك طبقًا للقواعد العامة المنظمة لجرائم السرقة(١٠)، وحيث ينطوي فعل المؤلف على حذف اسم المؤلف الأصلي وإدراج اسم المعتدي محل اسم المعتَدى عليه، ويباشر الجاني سلطات المالك عليها. ومن رأينا أن العقوبات الواردة في التشريعات الخاصة لا تكفي في مواجهة تلك الجريمة بالذات، ولذلك نوجه العناية إلى أنه ينبغي على القضاء الذي ينظر أقضيةالاعتداء على حقوق المؤلف أن يفرق بين نماذج الاعتداء المنصوص عليها في القوانين الخاصة، والأنموذج المتضمن سلوك إنكار ذاتية الإبداع الفكري، فيطبق على الحالة المنظورة قضائيًا نصوص السرقات في القوانين الجنائية العامة. وتسويغ ذلك أن ما اقترفه الجاني يمثل اختلاس مال منقول مملوك لغيره. صحيح أن الإفراز الفكري والذهني لايصدق عليه وصف المنقول المادي، إلا أنه بمجرد إفراغ الفكر في مستودع محفوظ - أيًا كان شكل محل الحفظ أو نموذجه - يجري عليه حكم المنقول المادي المُقوّم بالمال. ولنا في ذلك قياس فقهي، فمن المعروف أن الطاقة الكهربائية - رغم أنها ليست منقولاً

يعد انتهاك حقوق المؤلف الذي يتضمن إنكار ذاتية الإبداع جريمة سرقة، واختلاس الطاقة الفكرية، يماثل اختلاس الطاقة الكهربائية

حقوق المؤلف بين الإسلام والفكر المعاصر

استجابت التشريعات إلى ما انتهى إليه شراح القانون وعلماؤه، فعدّت الاستيلاء على الطاقة الكهربائية سرقة، وعاقبت المعتدي بوصفه سارقًا، فإذا كان الاعتداء على الطاقة الكهربائية سرقة، فإن الاعتداء على الطاقة الفكرية يصير سرقةً من باب أولى (١١)، ولذلك نهيب بالسياسات التشريعية المعاصرة أن تنتهج أحد سبيلين، إما النص في القوانين الخاصة على تطبيق نصوص قانون العقوبات العام في السرقة، وإما تضمين نصوصها وصف السرقة عند انتهاك حقوق المؤلف بارتكاب الفعل المتمثل في إنكار ذاتية الإبداع الفكري، بحيث لا يتساوى الجاني في هذه الجريمة بأقرانه ممن يرتكبون صور الاعتداء المدرجة في القوانين الخاصة.

حقوق التأليف في السياسة الشرعية

التشريع السماوي - كما هو معلوم - يصلح للتطبيق العلمي في كل زمان ومكان، ولعل التأمل في كمال الشرع ومحاسنه وقدرته على استيعاب الجرائم المستحدثة بفعل التطور الحضاري والاجتماعي المصحوب بالتقدم العلمي والتقني، يقدم للعلمانيين أبلغ دليل على أن الشريعة الإسلامية ليست عقيدة فحسب، وإنما هي شريعة كذلك، أي نظرية وتطبيق على حسب لغتهم وفكرهم ، فعند استقصاء نظام الحماية الجنائية في الإسلام لحقوق المؤلف، الذي نؤثر وصفها بحقوق ملكية - حسب منهج الفقه الحنفي الراجح كما سبقت الإشارة إلى ذلك - يتضح أن الشريعة تفرض جزاءات على من ينتهك حقوق التأليف، تلك الحقوق التي ترفع من قدر صاحبها تصديقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الذين آمنُوا منكم والذين أُوتُوا العلمَ درجات﴾.المجادلة:١١.

والجرائم في الشرع هي(١٢) محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجيه الأحكام الشرعية.

والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر الله، وترك ما أمر به، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرًا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعًا، وما أمر به من فروضه متبوعًا، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم.

والحدود ضربان: أحدهما ما كان من حقوق الله تعالى، والثاني ما كان من حقوق الآدميين، فأما المختص بحقوق الله تعالى فضربان: أحدهما ما وجب في ترك مفروض، والثاني ما وجب في ارتكاب محظور، وهذا الأخير قُسم إلى ضربين: أولهما ما كان من حقوق الله تعالى وهي أربعة: حد الزنا، وحد الخمر، وحد السرقة، وحد الحرابة، وثانيهما: من حقوق الآدميين، حد القذف بالزنا والقذف في الجنايات.

وإلى جوار الحدود الشرعية الثابتة بالنص الشرعي (الكتاب والسنة) اقتضت السياسة الشرعية تخويل ولي الأمر (المشرع الوضعي) سلطة تجريم وعقاب عن أفعال الناس خارج النصوص الشرعية - رعاية للمصلحة العامة التي تقتضي ضرورة تحقيق الضبط الجنائي، هذا النظام العقابي أطلق عليه فقهاء الشريعة (نظام التعازير) يواجه به الحاكم الأفعال والتصرفات التي تلحق ضررًا بأحوال المسلمين، وتبدو قيمة التعزير في زجر الخارجين على نظم الحاكم التي يضعها حفظًا للحقوق، ومما لاشك فيه أن هذا النظام قد ضمن لشريعة المسلمين ظهورها على الدهر وإلى أن تقوم الساعة(١٣)

والحدود فروض واجبة لا اجتهاد فيها ولا نزول، بعكس التعزير وطابعه اجتهادي عملاً بسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفه الصالح من الرعيل الأول، ولا قياس في الحدود بإجماع العلماء، فليس للحاكم تشريع الحدود، وله تطبيقها محكومًا بضوابط الشرع التي تفصل بين الحد والتعزير، فالشرع يقرر التعزير سياسة لحماية الأنظمة الاجتماعية المستجدة بفعل التطور الحضاري أوالتقني. إن التشريع الوضعي يكون مشوبًا بالنقصان والخروج على الشرع الحنيف إذا ضمن نصوصه تفريطًا في حدود الله أو غلوًا تعزيريًا بغير مقتضى، فالتعزير في أدق تعريف فقهي له: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود، ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله.

وما يهمنا الآن أن نوضح موقف الشريعة الإسلامية من العقاب على انتهاك حقوق المؤلف، وهي انتهاكات قد أفرزها التقدم الحضاري والتقني على النحو السابق تفصيله. فمن شأن مسايرة تعريف بعض فقهاء الحنفية للملكية، توصف حقوق المؤلف الذهنية والفكرية على أنها حقوق ملكية، وبالتالي تخضع لأنماط الحماية الجنائية المقررة لحقوق الملكية العينية، فيُعد فعل المؤلف الذي يتضمن إنكار ذاتية الإبداع الفكري، جريمة سرقة، لأن الجاني استلب المال المعلوماتي، إذ أخذ المال خفية أو قل اختلس الطاقة الفكرية المملوكة لغيره، كما يختلس لص الكهرباء الطاقة الكهربائية. وعقوبة سارق المؤلفات يطبق فيها حد السرقة تنفيذًا للنص الشرعي في الكتاب، يقول رب العالمين: *﴿السَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزَاءً بما كَسَبَا نَكالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ﴾*. **المائدة:٣٨.**

أما صور الاعتداء الأخرى، التي لا يمكن إدراجها تحت وصف الحدود الشرعية، سرقة أو غيرها مما هو محدد في النصوص الشرعية، تعد بالتالي جرائم تعزير، للحاكم أن يشرع فيها ما يراه، محكومًا بضوابط السياسة الشرعية المنظمة لأصول الضبط الجنائي فيما لم يرد بشأنه نص في الكتاب أو السنة.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وخير ختام :

﴿قُلْ لئن اجْتَمعت الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتُوا بمثل هذا القرآن لا يأتُونَ بمثله ولوكان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا. ولقد صرَّفْنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كُفُورًا﴾. **الإسراء: ٨٨ و٨٩.**

الهوامش:

١ ـ عبدالرازق أحمد السنهوري الوسيط في شرح القانون المدني، نظرية الالتزام بوجه عام القاهرة ١٩٦٦م، عبدالحي حجازي «النظرية العامة للالتزام» الجزء الأول، مصادر الالتزام، القاهرة ١٩٦٠م، وجميل شرقاوي «النظرية العامة للالتزام» دار نافع للطباعة، ١٩٧٠م.

٢ ـ أنور سلطان «الوجيز في النظرية العامة للالتزام» الجزء الأول، مصادر الالتزام، ١٩٦٤م.

٣ ـ د.أحمد عبدالرحيم السايح «حق الله وحق الإنسان في المال» مجلة منار الإسلام، عدد يوليو١٩٩٦م.

٤ ـ القرافي «الفروق» الجزء الثاني ص٢٠٨.

٥ ـ «فقه السنة» للسيد سابق المجلد الأول.

٦ ـ الكمال بن الهمام «فتح القدير» الجزء الخامس ص٧٤.

٧ ـ ابن نجيم الحنفي «البحر الرائق» الجزء الخامس ص٢٧٨.

٨ ـ زياد كمال حمامي «حقوق الملكية الذهنية للمؤلف» مجلة الكويت، العدد ١٥٨ .

٩ ـ القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤م، بشأن حماية حق المؤلف، مدرج بكتيب الإدارة العامة لمباحث الضرائب والرسوم، وزارة الداخلية المصرية ١٩٩٥م.

١٠ ـ د. علي راشد «القانون الجنائي - المدخل وأصول النظرية العامة»، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

١١ ـ د. مأمون سلامة «قانون العقوبات»، دار الفكر العربي ١٩٨٢ ـ١٩٨٣م.

١٢ ـ الماوردي «الأحكام السلطانية والولاية الدينية»، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى١٩٨٣م.

١٣ـ الشيخ محمد أبو زهرة «الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي» ١٩٥٧م ود. عبدالعزيز عامر «التعزير في الشريعة الإسلامية» ١٩٥٥م.

الإجهاض: حقائق علمية وضوابط شرعية

د. أحمد كنعان

الإجهاض هو إلقاء الجنين خارج الرحم قبل أن يكون قابلاً للحياة، وقد يسمى: سِقْطًا، وهو بهذا يختلف عن «الخداج» الذي هو إنزال الجنين بعد أن يصبح قابلاً للحياة ولكن قبيل تمام مدة الحمل المعتادة. وفي الأحوال الطبيعية لا يكون الجنين قابلاً للحياة إذا خرج قبل أن يكمل (٦ أشهر) من عمره، إلا في حالات نادرة جدًا، ويتطلب الجنين الذي يولد قبل إكمال الشهر السادس عناية طبية فائقة للمحافظة على حياته (انظر: حمل) وقد يلتبس الإجهاض في بعض الحالات، كأن يحصل في الأسبوعين الأولين من الحمل فتظنه المرأة حيضًا، وقد يتأخر لسبب آخر غير الحمل فتظنه حملاً، فإذا حصل الطمث الفعلي حسبته إجهاضًا!

أ ـ أسباب الإجهاض:

يحصل الإجهاض لأسباب عديدة، نذكر منها:

الإجهاض العفوي: أي دون تحريض خارجي، ونسبته (٢٠٪) من حالات الإجهاض، ومعظم هذه الحالات تحصل بسبب وجود تشوه شديد في تكوين الجنين، ومن ثم فإن إجهاضه في هذه الحالات يعد رحمة كبيرة من الخالق عز وجل؛ لأنه إذا وُلد كان مسخًا مشوهًا، وكان عالة على أهله وعلى المجتمع! وقد يحصل الإجهاض العفوي في حالات أخرى بسبب مرض في الأم.

الإجهاض المحرض: ويشكّل نحو (٨٠٪) من حالات الإجهاض، وقد يكون لغرض شرعي معتبر، كأن يكون بغرض سلامة الأم ودفع الخطر عنها من بقاء الحمل في بطنها، وقد يكون جنائيًا بغرض التخلص من الحمل الذي كان نتيجة سفاح مثلاً! وتذكر بعض الإحصائيات أرقامًا مرعبة عن عدد حالات الإجهاض الجنائي التي تجري سنويًا في غفلة عن أعين القانون، بلغت في أواسط السبعينيات من القرن العشرين أكثر من (١٣ مليون حالة إجهاض) في البلدان النامية فقط(١) ناهيك عن البلدان التي توصف عادة بالمتقدمة التي تبيح الإجهاض من الزنى ولا تعده جنائيًا! وارتفع العدد في غضون عقد واحد من الزمان إلى أكثر من خمسين مليون إجهاض في عام ١٩٨٤م (٢) (٣)، ولأن الإجهاض غير القانوني يجري عادة على أيدي قوابل غير مؤهلات أو بوسائل بدائية أو باستعمال مواد سامة، فإنه يؤدي في معظم الحالات إلى مضاعفات خطيرة جدًا، وتدل إحصائيات منظمة الصحة العالمية على أنه يموت سنويًا أكثر من مليوني امرأة بسبب الإجهاض غير القانوني، وتصاب ملايين أخرى بأمراض وعاهات مختلفة من جملتها العقم الدائم!

> تدل إحصائيات منظمة الصحة العالمية على أنه يموت سنويًا أكثر من مليوني امرأة بسبب الإجهاض غير القانوني، وتصاب ملايين أخرى بأمراض وعاهات مختلفة من جملتها العقم الدائم

ب ـ حكم الإجهاض:

ونخص به الإجهاض المحرض دون الإجهاض التلقائي الذي لا حيلة لأحد في حدوثه، وعندما جاء الإسلام لم يكن الإجهاض المحرض معروفًا بصورته التي نعرفها اليوم، بل كانت عندهم أيام الجاهلية عادة قتل الأولاد (الوأد)؛ فلما جاء الإسلام حرمها وعنّف فاعليها، فقال تعالى: وإذا الموؤودة

سُئلتْ بأي ذنب قتلت. التكوير: ٨ ـ ٩. وعُدّ قتل الأولاد من الكبائر. ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق، نحنُ نرزقهُم وإياكم إن قَتْلَهم كان خطأً كبيرًا. الإسراء: ٣١. ، وسُئل النبي صلى الله عليه وسلم: «أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خَلَقَك. قلتُ: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك (٤). وهكذا اختفى الوأد من المجتمع الإسلامي الأول، ثم عاد في العصور المتأخرة بصورة الإجهاض غير المشروع، بعد أن ضعف رادع الدين في القلوب، وبعد أن أصبحت وسائل الإجهاض ميسورة سهلة التناول!

ونظرًا لما يترتب على الإجهاض من أضرار بليغة على الأم والجنين، ولأن الجنين يعدّ حيًا من بداية الحمل، وحياته محترمة في أدوارها كافة وخاصة بعد نفخ الروح، فقد ذهب معظم الفقهاء إلى أنه لايجوز الاعتداء عليها بالإسقاط إلا للضرورة الطبية القصوى، ورأى قلة منهم جوازه قبل الأربعين يومًا من عمر الجنين وبخاصة عند وجود أعذار(٥)، وقد فرقوا بين حكم الإجهاض قبل نفخ الروح بالجنين، وحكمه بعد نفخ الروح على النحو الآتي:

الإجهاض قبل نفخ الروح: ونفخ الروح يحصل بعد (١٢٠ يومًا) من بدء تخلق الجنين في بطن أمه كما ورد في جملة من الأحاديث الصحيحة، ويبدأ هذا التخلق من لحظة تلقيح نطفة الرجل لبويضة المرأة، أي من منتصف الدورة الشهرية تقريبًا، لأن البويضة تنطلق من مبيض المرأة في هذا الوقت غالبًا. وبطبيعة الحال لا تحس المرأة بحصول الإلقاح، ولا تفكر بحصول الحمل إلا بعد أن تفوتها الدورة الشهرية التالية، فإذا تأخرت دورتها عن وقتها المعتاد بدأت تفكر باحتمال حملها، أي بعد حوالي أسبوعين من الإلقاح على الأقل، ولتحديد زمن نفخ الروح يجب أن نأخذ هذا في الحسبان.. وفي الإجهاض قبل نفخ الروح أقوال متعددة حتى في المذهب الواحد، إلا أن التحريم هو الراجح عند الجمهور، فهو المعتمد عند المالكية، وهو مذهب الحنابلة كما ذكره ابن الجوزي(٦) وهو الأوجه عند الشافعية، لأن النطفة بعد أن تستقر في الرحم آيلة إلى التخلق مهيأة لنفخ الروح(٧) وأجاز الحنفية الإجهاض لعذر فقط، ومن الأعذار التي ذكروها: خشية الأم أن ينقطع لبنها بسبب الحمل، وليس لأبي الصبي ما يستأجر به مرضعًا [أو ما يشتري به لبنًا] وهو يخشى هلاك الصبي.

وهناك أقوال بالإباحة (بعض المالكية والشافعية والحنفية) وأقوال بالكراهة (بعض الحنفية والشافعية، والمالكية فيما قبل الأربعين يومًا)؛ لأن الماء بعد أن يقع في الرحم مآله في الغالب الحياة، فيكون له حكم الحياة ويكره إجهاضه. وقال بعضهم: إن المرأة لو دعتها الضرورة لشرب دواء مباح يترتب عليه الإجهاض فلا شيء عليها(٨).

الإجهاض بعد نفخ الروح: حرام باتفاق الفقهاء، وعدّوه قتلاً للجنين، سواء أكان في بقاء الجنين خطر على حياة الأم أم لم يكن، وقد صرح ابن عابدين بهذا فقال: (لو كان الجنين حيًا، ويخشى على حياة الأم من بقائه، فإنه لا يجوز تقطيعه، لأن موت الأم به موهوم فلا يجوز قتل الآدمي لأمر موهوم)

ج ـ الإجهاض الطبي:

قد يتعين الإجهاض لأسباب طبية تتعلق بالحامل: مثل بعض الأمراض التي إذا اجتمع الحمل معها شكلت خطورة على حياة الحامل (القصور القلبي ـ القصور الكلوي، بعض الآفات العصبية، وبعض الحالات النفسية.. وغيرها)(٩)؛ وقد يكون الإجهاض لأسباب تتعلق بالجنين نفسه كأن يكون مصابًا بتشوه أو إعاقة ونحوها، وهناك اتفاق بين أهل الطب حول الأسباب الداعية للإجهاض الطبي في الحامل، ولا مانع شرعًا من الإجهاض في مثل هذه الحالات؛ لأنها من باب الضرورات التي تبيح المحظورات، وتشترط معظم القوانين الطبية أن يتفق على هذه الضرورات طبيبان عدلان ضمانًا لضبط عمليات الإجهاض وعدم الإساءة فيها.

وبالإجمال نرى ضرورة التريث قبل إجراء الإجهاض المبني على أسباب تتعلق بالجنين، لأنها في الغالب أسباب ظنية، أما إن تأكد وجودها وقرر طبيبان عدلان أنها تشكل تشوهًا غير قابل للعلاج، أو تشوهًا ينجم عنه معاناة شديدة للمولود، أو تشوهًا يؤدي في الغالب إلى موته ولو بعد فترة من الولادة، فلا بأس حينئذ من إجهاضه إذا رغب الوالدان بذلك. كما نرى للخروج من الخلاف أن تخضع الحامل للفحص الدوري خلال فترة الحمل، حيث يمكن تشخيص مثل هذه الأمراض في وقت مبكر قبل نفخ الروح، حيث يكون لنا في آراء الذين قالوا بإباحة الإجهاض في هذه المرحلة سعة لمن أراد الإجهاض. هذا مع التذكير بالأجر الكبير والمثوبة الجزيلة من الله عز وجل على الصبر لمن ابتلاه الله عز وجل بولد معوق أو مشوّه (وقد أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي قرارًا في دورته الثانية عشرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م أباح فيه إجهاض الجنين المشوه تشوهًا شديدًا، واشترط أن يكون ذلك بقرار لجنة من الأطباء المختصين، وأن يتم الإجهاض قبل مرور ١٢٠

فرّق الفقهاء بين حكم الإجهاض قبل نفخ الروح بالجنين وحكمه بعد نفخ الروح

الإجهاض:
حقائق علمية وضوابط شرعية

يومًا محسوبة منذ لحظة التلقيح(١٠) كما ذكرنا.

ويشترط في الإجهاض الطبي ثلاثة شروط، هي:

١ - موافقة الزوجين، لأن للزوجين حقوقًا وواجبات تتعلق بالإجهاض، ولأن الإذن الطبي أساس في عقد الإجازة بين الطبيب والمريض.

٢ - عدم تعريض الحامل لخطر أشد، عملاً بالقاعدة الشرعية التي تقول باتقاء أشد الضررين، فإن كان خطر الحمل أكبر من خطر الإجهاض جاز.

٣ - شهادة طبيبين عدلين يتفقان على ضرورة الإجهاض، ويقرران أنه لا يترتب عليه خطر أشد.

د - عقوبة الإجهاض:

١ - اتفق الفقهاء على أن الواجب في الجناية على الجنين: غُرَّة (نصف عشر الدية الكاملة) إذا أدت الجناية إلى انفصال الجنين عن أمه ميتًا، سواء أكانت الجناية نتيجة فعل أم قول أم ترك، ولو من الحامل نفسها أو من زوجها، وسواء أكانت الجناية عن عمد أم خطأ(١١) واختلف الفقهاء في وجوب الكفارة (صيام شهرين متتابعين) مع الغرة، فالحنفية والمالكية يرون أنها مندوبة(١٢)، ويرى الشافعية والحنابلة أنها واجبة، وإذا اشترك أكثر من واحد في جناية الإجهاض لزم كل شريك كفارة، لأن الغاية من الكفارة الزجر، أما الغرة فواحدة لأنها للبدلية(١٣).

٢ - واتفق الفقهاء في أن العقوبة تقع إذا استبان بعض خلق الجنين، كظفر وشعر، لأنه يكون في حكم تام الخلقة (انظر: جنين) وقد شدد المالكية فأوجبوا الغرة حتى لو لم يستبن شيء من خلقه، وإن ألقته دمًا مجتمعًا، والشافعية يوجبون الغرة أيضًا حتى لو ألقته لحمًا في صورة آدمي.

٣ - واشترط الجمهور لترتب العقوبة انفصال الجنين ميتًا، أو انفصال بعضه الدال على موته، إذ لا يثبت حكم المولود إلا بخروجه، إلا الشافعية فعندهم إذا تيقن موته وهو في بطن أمه فهو كالمنفصل(١٤). ويمكننا اليوم التيقن من موته بوسائل التشخيص الحديثة. واشترط الحنفية والمالكية أن ينفصل الجنين ميتًا قبل موت أمه، فإن خرج الجنين ميتًا بعد موت أمه فلا شيء فيه، لأن موت أمه سبب لموته ظاهرًا إذ حياته بحياتها(١٥)، أما الشافعية والحنابلة فيوجبون الغرة سواء حدث انفصال الجنين ميتًا في حياة الأم أم بعد موتها(١٦).

٤ - ولا خلاف بين الفقهاء في أن الواجب المالي من غرة أو دية يتعدَّدُ بتعدُّد الأجنة، لأنه ضمان آدمي، وعند الشافعية والحنابلة الذين يرون وجوب الكفارة مع الغرة كما ذكرنا، تتعدد الكفارة أيضًا بتعدد الأجنة(١٧) فتجب الكفارة على كل من شارك في الجناية.

هـ - آثار الإجهاض قبل نفخ الروح:

النفاس: المالكية والشافعية يعدّون الأم نفساء ولو بإلقاء مضغة أو علقة؛ لأنها أصل الآدمي، أما الحنفية والحنابلة فعندهم إذا لم يظهر شيء من خلق الجنين لا تصير المرأة نفساء، وفي رواية لأبي يوسف ومحمد أنه لا غُسل عليها لكن يجب عليهاالوضوء(١٨).

العدة والطلاق: يرى الحنفية والشافعية والحنابلة أن العلقة والمضغة التي ليس فيها أي صورة آدمي لا تنقضي بها العدة ولا يقع الطلاق؛ لأنه لم يثبت أنه ولد لا بالمشاهدة ولا بالبينة، أما المضغة المخلقة التي لها صورة آدمي ولو خفية، وشهد الطبيب أو القوابل الثقات بأنها لو بقيت لتصورت، فإنها عند الحنفية والحنابلة تنقضي بها العدة، ويقع الطلاق؛ لأنه علم به براءة الرحم، وأما الشافعية فلا يوقعون الطلاق المعلق على الولادة في هذه الحال؛ لأنه لا يسمى ولادة عندهم، وأما عند المالكية فإن العدة تنقضي بانفصال الحمل كله، ولو كان علقة(١٩).

و - آثار الإجهاض بعد نفخ الروح:

استحقاقات الجنين من: إرث أو وصية أو وقف أو نحوها يتوقف على تحقق الحياة فيه، وانفصاله عن أمه حيًا، ومن ثمَّ فإن الإجهاض الذي ينفصل فيه الجنين عن أمه ميتًا يمنع عنه تلك الاستحقاقات(٢٠)، وتترتب على الإجهاض بعد تمام الخلق الأحكام التي تترتب على الولادة، من حيث الطهارة، والعدة، والطلاق المعلق على الولادة لتيقن براءة الرحم(٢١).

الهوامش

١ - MEDICINE DIGEST, MARCH ١٩٨١

٢ - ١٥: ١٩٨٧م GUILLEBAUD J: "THE PILL" OX-FORD UNIVERSITY,

٣ - TIME: AUGUST, ٦ , ١٩٨٤

٤ - أخرجه البخاري في الديات ٦٣٥٤، ومسلم في الإيمان ١٢٤، ١٢٥. من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٥ - المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: الإنجاب في ضوء الإسلام، الكويت، ١٩٨٣م، ص ٣٥١.

٦ - الإنصاف لولي الدين الدهلوي ٣٨٦/١، المغني: لابن قدامة المقدسي موفق الدين ٨١٦/٧ ط الرياض.

٧ - تحفة الحبيب وهو كتاب الإقناع الآتي نفسه رقم: ٨ ، ٣٠٣/٣، حاشية الشرواني ٢٤٨/٦، نهاية المحتاج لشمس الدين الرملي ٤١٦/٨.

٨ - الإقناع للخطيب الشربيني، بحاشية سليمان بن محمد البجيرمي ١٢٩/٤.

٩ - سيف الدين السباعي: الإجهاض بين الفقه والطب والقانون: بيروت، دمشق، دار الكتب العربية ١٩٧٧م.

١٠ - السباعي والبار: الطبيب أدبه وفقهه. دار القلم بدمشق، الدار الشامية ببيروت، ١٩٩٣م ص٢٧٧.

١١ - حاشية ابن عابدين ٣٧٧/٥، بداية المجتهد لابن رشد، ٤٠٧/٢، الشرح الكبير لابن قدامة شمس الدين ٥٧٧/٩.

١٢ - تبيين الحقائق لفخر الدين الزيلعي وحاشية الشلبي ١٤١/٦، الهداية لبرهان الدين المرغيناني، وتكملة الفتح ٣٢٤/٨.

١٣ - أسنى المطالب لزكريا الأنصاري، وحاشية الرملي ٩٥/٤، المغني ٨١٦/٧.

١٤ - حاشية ابن عابدين ٣٧٧/٥، المغني ٨٠١/٧.

١٥ - حاشية ابن عابدين ٣٧٨/٥.

١٦ - المغني ٨٠١/٧ ط الرياض.

١٧ - شرح المنهج بحاشية الجمل ١٠٠٥/٥، المغني ٨١٦/٧ ط الرياض.

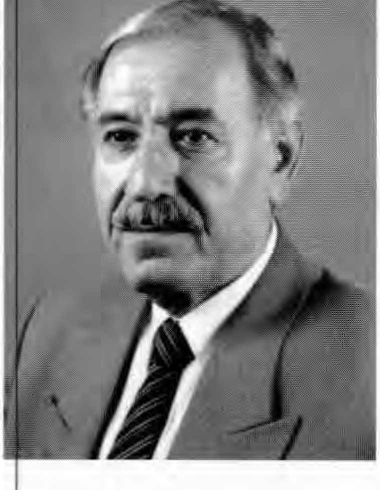
١٨ - تبيين الحقائق وحاشية الشلبي ٦٣/١، كشاف القناع ١٣١/١.

١٩ - بدائع الصنائع ١٩٦/٣، حاشية ابن عابدين ٢٠١/١، نهاية المحتاج ١٢٨/١.

٢٠ - حاشية الدسوقي ١١٧/١ ط المكتبة التجارية.

٢١ - ابن عابدين ٢٠١/١.

د. مسعود بوبو



رحلة عناء لم تنته بعد

تبقى تجربة الفرد حبيسة الذات الإنسانية في إطارها الضيق ما لم تنهل من موارد الآخرين، وتظل طافية كالقش فوق المياه الراكدة، وخفيفة كالغبار في الهواء ما لم يثقلها الهم الإنساني العام، وعلى المتحدِّث عن تجربته أن يتفادى الانكفاء على «الأنا» حتى لا يكون حديثه كرجع الصدى يرتد إليه وحده، وأخذاً بهذا التصور أو الإحساس ستبدو المرافعة للتبرؤ من الشبهات والزلل شاقة، أو كالمخاطرة.

عندما أستعيد تلك المسافة التي تسعى نحو الستين من العمر أجدني موزّعًا كأوراق الخريف تتناهبها الرياح الحواشك. هل ألجأ إلى التشبيه لأ لخّص البعثرة فأقول: كنت كدود الخشب أشق طريقي بأسناني؟ أو أعدل عنه فأقول: إن التشبيه يقصر عن نقل المعاناة.

يقفني الترجيع على ظاهرة اجتماعية لم أتأملها من قبل هي أن من أبرز مشكلات الفرد في البلدان النامية الحيلولة بينه وبين حريّة اختياره مستقبله، وقسره على ارتضاء مستقبل تمليه الأحوال الراهنة، أو الضرورات المرحلية، أو حاجة البلد والشواغر والتبني والوساطة والحماية ومايشبه ذلك. وفي زحام من هذا القبيل ينقلب المرء عن مساره الذي استشرفه، ويُجبر على تقبّل ما رُسم له، وعلى الاضطلاع بما ندب إليه مبتدئًا طريقه في «مشروع» ما يلبث أن يغيّر ليبتدئ غيره فيضيع، أويضيع عمره في معاودة التجربة. وقد يتعلم الجَلَد والمناعة وإرادة أن يبدأ كل يوم من نقطة الصفر!!.

إلى جانب الدراسة كنت أزاول الرياضة، من كرة القدم إلى الجري والسباحة ورفع الأثقال، حتى أوشكت أن أحترف في أحد النوادي، لكنني فضلت الفن بديلاً عن الرياضة، وكونت مع بعض الأصدقاء فرقة فنية للإخراج والكتابة والتمثيل، وعكفت على قراءة المسرحيات، لكن الإمكانات أعوزتنا فانصرفنا عن ذلك.

كان هذا في الخمسينيات، في ظل غليان سياسي دفعنا - نحن الطلاب - دفعًا إلى الاشتراك في المظاهرات وتوزيع المنشورات. والسجن بتهمة التحريض على الإضراب والانتماء إلى تنظيم سياسي. صحيح أنّ عددنا كان قليلاً، لكن الطريف في الأمر أننا كنا من اتجاهات سياسية مختلفة، وكان الاعتقاد السائد بيننا أن السياسة اختيار مستقبل، أو هي تخصص أو احتراف. وعندما بدا لي أن القضية أكبر من ذلك، أو هي غير ذلك، دخلت الجيش وقلت هذا مستقبل، ونشرت إبانها بعض القصص القصيرة والخواطر التي لقيت استحسان أصدقائي وتشجيعهم، فقلت لنفسي: سأحترف كتابة القصة. وعندما عيّنت مدرّسًا في ثانويات اللاذقية قلت: انتهى الأمر هذه المرة، هذا مستقبلي، لكنني عينت بعدها معيدًا في جامعة دمشق فصرت محكومًا بإعداد الدكتوراة والانصراف إلى العمل العلمي التربوي.

ومع كل هذه الرحلة وذلك التشتت والعناء لم يُفارقني هاجس الكتابة والتّوق إلى صوغ هموم الناس في قصص تكون معادلاً موضوعيًا لصوتهم وشكواهم، وحتى الساعة تعاودني هذه النزعة كلما أرهقني العمل، أو أرقتني أحوال الناس فأهرب إلى كتب التخصص خشية أن تغرر بي هواية القصّ، إلى أن صار هذا المهرب ألفة، وصار البحث اللغوي شغفًا وترفًا ومشغلة، وصار مجمع اللغة العربية بدمشق ملاذًا أخيراً وتبعة لا تفسح جسامتها مستزادًا لحلم آخر.

وبعد، أيكون التنّوع في طبيعة العمل تبديداً للطاقات أم تمكينًا لها وتدريبًا للإرادة على معاودة الفعل؟ قد يتوقف ذلك على الأفراد والحوافز. أما أنا فأعزو الأمر إلى تجربتي الطويلة مع الكتب، لا بتأثير أب أو أخ أو معلم، اللهم

إلاّ في المرحلة المتأخرة، مرحلة ما يمكن أن تسمى نضج الوعي والخبرة.

كانت صلتي المبكّرة بالآخرين تمليها الضرورات الاجتماعية التي لا معدى عنها، فإن انتفت تلك الضرورات انتفت الصلة وقامت العزلة بديلاً عنها، العزلة مع الأوراق قراءة أو كتابة.

في صغري كنت أشبه بمجنون: أخرج من قريتي في الفصول المعتدلة المناخ متأبطًا كتابين أو ثلاثة، ولا أعود مساء إلى البيت إلا بعد الفراغ من قراءتها، لم يكن مهمًا أن أفهمها، بل المهم أن أقرأها كلها.

أما في الشتاء فكنت أحتل عتبة البيت الذي لم تكن له نوافذ وأقرأ حتى تنهرني الوالدة - رحمها الله - أو تنتزع الكتاب من يدي بعد توبيخ مشفق لأنني «أتلف عيني بالقراءة» وهكذا تلبستني عادة القراءة، وتقوّت مع الأيام، واتسعت بسخاء من يعيرونني ما بحوزتهم من كتب .

في الأماسي كنت أنصرف إلى كتابة المذكرات، صحيح أنها كانت كتابات ساذجة ترصد أحداث الأيام المتشابهة، أو تلخص مضمونات بعض الكتب التي قرأت، أو تستفيض في وصف الطبيعة مازجة بين البصر والشعور، ولكنها كانت بشكل عام تدريبًا على الكتابة، هو تدريب لمست بعيد جدواه عندما دخلت الجامعة.

المدة التي قضيتها في الجيش علمتني أمرًا كان عميق التأثيرفي حياتي لاحقًا هو النظام، وإن شئت التحديد أكثر: الدقة في النظام، وفيه تابعت الدراسة الخاصة وحيدًا كنبتة صبار في الصحراء، وحصلت على الثانوية العامة، ثم دخلت قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وصار لتعلقي بالكتب طعم آخر، انتماء كآصرة القربى.

في دراستي الجامعية شجعني وآزرني رجلان أكن لهما في نفسي صادق الحب والامتنان، وأقر لهما بكبير الفضل والمنّة: خارج الجامعة كان السيد الرئيس حافظ الأسد الذي كنت رئيس قلم عنده وهو برتبة الرائد الجوي. وداخل الجامعة كان أستاذي المرحوم أحمد راتب النفاخ طيب الله ثراه وذكراه. ما من شك في أن تشجيع من يشق طريقه العلمي من خارج المؤسسات الرسمية يقوّي عزيمته على المضيّ، ويرفع له منارة أمان وهداية، ويرسخ في وعيه الصورة المثلى للمربي ولرسالته النبيلة، فينشأ على الاعتقاد بأن حمل قضية ما أو رسالة ما ليس إعجابًا خالصًا بمن يمثلون عنده القدوة، وإنما هو مطلب إنساني يداخله قدر غير قليل من شهامة رد الجميل.

وبهذا الشعور الحميم أستعيد الآن ذكرى الأيام الطيبة مع أستاذي العظيم الدكتور حسن ظاظا في الإسكندرية الجميلة، كان مشرفًا على رسالتي في الماجستير، وإبان مناقشتها قال بظرفه المحبّب اللطيف: «كنت مشرفًا غير مشرِّف ففي حين كان الأخ مسعود يعدّ رسالته كنت أنا أتابع السفر في مهام علمية من مالطا إلى طوكيو فالرياض».

بيد أن الدكتور ظاظا، حفظه الله، لم يكن يقدّر مثلي قيمة ما غرسه في نفسي من الرغبة في الاطلاع، والحض على التحصيل، وهو يروي لي ألوانًا لا تحصى من معرفته الموسوعية، وتجربته الغنية، في جلسات طويلة عنده أو عندي في البيت، أو في بعض مقاهي الإسكندرية الشعبية الغاصة بالطيبين، قبل أن يلبي نداء الأسفار. كان أستاذًا وأبًا صديقًا وقلبًا حار النبضات بحب الناس ومؤالفتهم، وكان ذاكرة متماسكة تضع ما قرأه بين يديه كحبات المسبحة متى ما أراد.

وفي الإسكندرية منحني الأب الواسع العلم والكرم الدكتورعبدالمجيد عابدين، عطّر الله ذكراه، بركة بيته، ومنحني الكثير من كتبه ووقته، وشهادة الدكتوراة محشوة، كالحلوى الفاخرة، بمجموعة من دررنصائحه التي أُلزم نفسي بها في اعتداد حتى الساعة.

لكي تكونوا رموزًا لمن بعدكم ينبغي أن تتعلموا كيف تمنحون، وكيف تعزفون عن عرض الدنيا، وكيف يكون الغنى عن الشيء، لا به، مصدرسعادة وارتياح. وكما علمتني صحبتي الطويلة للكتب كيف أنتقي أنفسها، علمتني معرفتي المتنوعة بالناس محاولة الاقتداء بالنخبة منهم، حتى لأوشك أن أغبط قدماء العرب على فراستهم، وإنّ علمًا من هذا النوع ليضيّق على المرء بالأسئلة الكبيرة: كيف تتمثل تلك القيم التي ورثتها عمن أخذوا بيدك؟ كيف تبذل لطلابك ما يحفزهم على الالتفاف حولك والإصغاء إليك بإقبال؟ كيف تردّ الدين للجامعة التي أوفدتك على نفقتها لتتعلم؟ كل تلك الأسئلة وغيرها كان في انتظاري حين عيِّنت مدرِّسًا في جامعة دمشق عام١٩٨٠م، وأيقنت أن قطع المسافات في الصحارى سيرًا على الأقدام، أو حفر الآبار في الأرض الصلبة يكونان أحيانًا أيسر من الأسئلة غير الخاصة. أعرف الآن أن رحلة العناء لم تنته بعد، لكن أوزارها غدت أخف وطأة. وأحمد الله تعالى شعورًا بالرضى يمرّ على صدري اليوم كريح الصَّبا الرُّخامي، ليس لأنني أنجزت أو قدمت ما يُرضي، بل إنني لم أقصر عن توان أو فتور. لقد أخلصت لله عملي في إطار الواجب العلمي والوطني، وفي الحدود المتاحة للمواطن السوري، ولا ينبغي أن ينظر إلى قول كهذا على أنه ضرب من اللغة الانفعالية، إنما هو لون من الصلاة الداخلية تشيع روح سلام الأمن وبرد التطهر من التلوث أو تبكيت الضمير، وتمد الإرادة بطاقة متجددة على بلوغ الأفضل وبذل المزيد.

ومن غير إفاضة في التفصيلات يمكن القول إن في تجربة كل إنسان محطات أوصُوى تترك أثرها، أو تبقى ماثلة في الذاكرة، وقد كان لي من ذلك واحتان:

مجمع اللغة العربية بدمشق الذي كنت أتطلع إليه مستشرفًا حلمي الأخير، لأن العربية كانت منذ الصغر غذائي الروحي، وملاذي ومستمتعي الذي لا يدانيه مستمتع آخر، ومن إتمام نعم الله عليّ أن تفضل إخواني وزملائي الكرام بترشيحي وانتخابي عضوًا عاملاً فيه عام ١٩٩٦م، فقّرت بذلك نفسي، وطابت لي منذ ذلك الحين، هذه الصحبة الجليلة، وهذه السانحة الطيبة لخدمة العربية وتراثها العريق، ولمتابعة الإفادة والتعلم إن شاء الله.

- أما الواحة الثانية: فهيئة الموسوعة العربية التي ألزمتني، منذ انتقالي إليها عام ١٩٩٣م، قراءة كل بحث يكتب لها قراءة مسؤولة متفحصة، أمدّتني بالكثير الكثير مما لم أكن أعرفه أو يخطر في بالي الاطلاع عليه. كما أتاحت لي شرف تعرّف نخبة من الباحثين العلميين في اختصاصات متباينة متباعدة، ومتكاملة في الوقت نفسه، وليس بعد هذا أو فوقه ما يُلتفت إليه. ولأنني شديد الإيمان بفكرة العمل الجماعي، فقد جهدت مخلصًا لإقامة جسر من التعاون بين المجمع وهيئة الموسوعة العربية التي كُلفت الإشراف عليها، فأشركت من تفضّل عليّ من أعضاء المجمع في الإسهام في العمل العلمي داخل الموسوعة. وأنعم بهؤلاء صحبة ورفيقًا.

العنوان: الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب.
المؤلف: لي ديفيد كوبر ـ جورج رينتز.
الترجمة والتعليق: د. عبدالله بن ناصر الوليعي.
الناشر: مؤسسة الممتاز للطباعة والنشر والتجليد ـ الرياض ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط.



غلاف الكتاب

الكتاب انطباعات سريعة ومشاهدات عابرة ومرئيات بسيطة لبعض الرحالين الأجانب الذين زاروا الجزيرة العربية عن الحركة الوهابية وآل سعود، وكان لأسباب زيارتهم للجزيرة العربية في ذلك الوقت المبكر أغراض سياسية وغايات استعمارية، وكان معظم الرحالة يعرف اللغة العربية معرفة بسيطة ويجهل الدين الإسلامي جهلاً مطبقًا لم يمكنهم من الحكم على الحركة الوهابية حكمًا صحيحًا مما جعلهم يخطئون كثيرًا في بعض الأحكام التي أطلقوها على الوهابيين، وكذلك بسبب تأثرهم بما كان ينشره العثمانيون عن الوهابيين.

بدأ الكتاب بتقديم قيّم للشيخ حمد الجاسر أجمل فيه الكتاب ولخصه، وألقى فيه بعض الأضواء على دراسات بعض الغربيين عن أحوال العرب والمسلمين التي لم تسع أغلبها إلى الوصول إلى حقائق علمية، وإنما لها بواعثها وغاياتها الخاصة.

والكتاب المترجم في أصله رسالة ماجستير تقدم به ديفيد كوبر لجامعة أريزونا الأمريكية، وترجمه إلى العربية د. عبدالله ناصر الوليعي وعلّق عليه وصحّح بعض أخطائه. وقد مهّد المؤلف بإيجاز عن بدء معرفة الغربيين للجزيرة من خلال نظرة الرحالين إليها. وأتبع ذلك بفصول ستة على غاية من الإيجاز.

الفصل الأول: محمد بن عبدالوهاب والصحوة الدينية:

تناول فيه حياة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ونشأته وثقافته وشيوخه وتنقلاته ودعوته السلفية التوحيدية التي قامت على محاربة الشرك بكل أشكاله الذي كان منتشرًا في البلاد العربية، والبدع والضلالات والعودة إلى الدين الصحيح بإشراقه وصفائه كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وأخيرًا لقاءه مع أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود.

الفصل الثاني: موقف الجزيرة العربية من الاستعمار:

تحدث فيه عن تاريخ الدولة السعودية في مراحلها الثلاث إلى أن استولى الملك عبدالعزيز على الرياض ١٣١٩هـ، وتطلع الاستعمار الإنجليزي إلى الخليج العربي والجزيرة.

الفصل الثالث: العملاء والجنود والمغامرون:

تكلم فيه على أهم الرحالة الغربيين الذين تمكنوا من التغلغل إلى داخل الجزيرة العربية منذ عام ١٥٠٢م، ووصلوا إلى حائل وجبل شمّر، مع ذكر دوافع كل واحد منهم للقيام برحلته.

الفصل الرابع: مرئيات الرحالة حول الدعوة الوهابية:

وهذا الفصل أطول فصول الكتاب، وقد تحدث فيه الرحالة عن الدعوة الوهابية وكيف كانوا متأثرين بما يشاع عن الوهابيين من أخطاء كتحريم الحج وزيارة المدينة وغير ذلك؟ وتحدثوا عن أعمال الوهابيين وتشددهم في تطبيق الشريعة الإسلامية.

الفصل الخامس: مرئيات حول آل سعود:

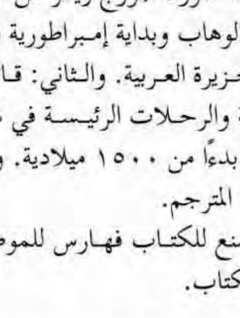
تحدث فيه عن خصائص الحكم السعودي في القرن التاسع عشر الميلادي، وحديثه مبني على لمحات تاريخية مما كتبه الرحالون الذين زاروا البلاد في تلك الفترة.

الفصل السادس: خاتمة: تحدث فيها عن ضآلة قيمة تقارير رحالة القرن التاسع عشر الميلادي في دراسة الحركة الوهابية ودولة آل سعود، بسبب زيادة عدد المصادر الوثيقة المحلية، عن الحركة الوهابية، ومع ذلك تعدّ هذه التقارير مصدرًا من مصادر دراسة التاريخ السياسي لشبه الجزيرة العربية.

وقد ألحق بالكتاب قسمين: الأول مصادر رسالة الدكتوراه لجورج رينتز عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبداية إمبراطورية الموحدين في شبه الجزيرة العربية. والثاني: قائمة بأسماء الرحالة والرحلات الرئيسة في شبه الجزيرة العربية بدءًا من ١٥٠٠ ميلادية. وقد ترجمها جميعها المترجم.

وصنع للكتاب فهارس للموضوعات في بداية الكتاب.

العنوان: رجال في الذاكرة: سير ذاتية لبعض رجال نجد المعاصرين.
المؤلف: عبدالله بن زايد الطويان.
الناشر: دار الطباعة للأوفست بعنيزة ـ ط ١ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ـ ٢٣٦ص من القطع المتوسط.



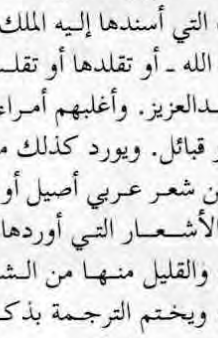
غلاف الكتاب

يضم الكتاب مجموعة من التراجم الذاتية الموجزة لـ ٨٠ علمًا من أعلام نجد عاشوا في القرن الرابع عشر الهجري، أو قبله بقليل أو بعده بقليل، وكان لهم حضور متميز في الجزيرة العربية بشكل عام، أو في قبائلهم أو عشائرهم بشكل خاص، ومعظمهم ممن عاصر

الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وجهاده المرير، وكفاحه الذي لم يهدأ في سبيل توحيد الجزيرة العربية وقيام مملكة التوحيد التي رفرفت عليها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأغلبهم كان من أعوان صقر الجزيرة المخلصين، أو من جنوده الصادقين الذين نهدوا معه في حروبه، ووقفوا وقفة الأسود الشجعان الأشاوس، وقاتلوا ببسالة وشجاعة، تعيد إلى الذاكرة سير أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأبطال الذين نشروا دين الله في أصقاع الأرض شرقًا وغربًا.

وقسم منهم كان من أمراء القبائل، أو زعماء العشائر أو شيوخ الأفخاذ والبطون لبعض القبائل الذين اشتهروا بالأخلاق الفاضلة، والسجايا الحميدة، والصفات النبيلة، والكرم والجود والشجاعة، وحسن إدارة القبيلة، والمعاملة الحسنة لأفرادها، والتضحية في سبيلها. وعراقة النسب.

وكان المنهج الذي سلكه الكاتب في ترجمة كل رجل من هؤلاء الرجال الكبار أن يذكر اسمه، ويرفع نسبه إلى القبيلة التي ينتمي إليها، ويذكر لمحة موجزة عن نشأته وتعليمه وشيوخه الذين أخذ عنهم، واسم البلد الذي ولد فيه، أو انتقل إليه، واستقر فيه، وربما عرّج على ذكر والده إن كانت له مكانه مرموقة في قبيلته، ويذكر أولاده الذين أنجبهم وبناته كذلك. وقد يذكر قصره أو مزرعته أو خيله أو إبله وغير ذلك مما يتعلق بشخصية الرجل. ثم يتحدث عن خلاله من شجاعة وكرم وحكمة ودراية.. ويتحدث كذلك عن المناصب التي أسندها إليه الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أو تقلدها أو تقلب فيها قبل الملك عبدالعزيز. وأغلبهم أمراء على مدن أو مناطق أو قبائل. ويورد كذلك ما قاله الشعراء فيهم من شعر عربي أصيل أو شعر نبطي، وأغلب الأشعار التي أوردها من الشعر النبطي، والقليل منها من الشعر العربي الأصيل، ويختم الترجمة بذكر وفاة الرجل وسنة وفاته. وربما ذكر من خلفه في إمارة القبيلة من أبنائه.



غلاف الكتاب

العنوان: في آفاق التربية الوطنية في المملكة العربية السعودية

المؤلف: د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل

الناشر: مطبعة التقنية للأوفست - ط٢- ص٢٥٦ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

يرمي هذا الكتاب إلى تعزيز الثقافة الوطنية لدى الشباب السعودي، هذا ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه، وذكر أيضًا أن هذا الكتاب هو مقرر مادة التربية الوطنية في الجامعات السعودية.

يحتوي هذا الكتاب على أربعة فصول وملاحق:

الفصل الأول تناول فيه ما بذله جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - من جهود موفقة وأمينة من أجل توحيد المملكة وجمع الأمة وتوحيد كلمتها بعد شتات ضياع، وتثبيت دعائم الأمن والأمان وإرساء الاستقرار فيها. ويتضمن هذا الفصل: نشأة الدول السعودية، وقيام المملكة العربية السعودية، وكيف وحّد الملك عبدالعزيز الجزيرة العربية، و سر نجاح الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة، وعزا ذلك إلى الظروف والملابسات التي أثرت في نفسية الملك عبدالعزيز، والمزايا الشخصية له، والأساليب والإجراءات الفعالة التي اتخذها لبناء دولته وتتضمن: مبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية، وسياسة الباب المفتوح، ونشر العلم، وسرعة القضاء على الفتن، وتوطين البادية.

الفصل الثاني تحدث فيه عن نظام الحكم في المملكة العربية السعودية مبينًا نوعه ووظيفته ومميزاته، فهو حكم قرآني شوري ملكي دستوري دستوره القرآن، وموضحًا أسس هذا الحكم الذي يعتمد على الشريعة الإسلامية، والشورى، والعدالة، والحرية والمساواة، ومبرزًا العلاقة بين الحاكم والمحكوم كواجبات الملك بصفته رئيسًا لدولة إسلامية، وواجبات الشعب تجاه ولي الأمر، ثم الميزات الأساسية لأسلوب القيادة السعودية وتتضمن القدوة الحسنة، والإحاطة بشؤون الرعية، وتتمثل في سياسة الباب المفتوح، وفتح الحوار مع المواطنين وخاصة الشباب. وأخيرًا منهج القيادة السعودية في تنظيم العلاقات بين المواطنين، ويدور حول المحاور التالية: سيادة النظام، والتزام الجماعة، وإشاعة المحبة والتعاطف والتعاون بين المواطنين، والمحافظة على الأسلوب الإسلامي في الحياة.

وتكلم في الفصل الثالث على مكانة المملكة العربية السعودية وإمكاناتها ومنجزاتها، ويتضمن هذا الفصل المعالم الشخصية للمملكة، ومنجزات خطط التنمية في المملكة.

وعقد الفصل الرابع للحديث عن كيفية المحافظة على نعم الأمن والاستقرار والرخاء في المملكة، ويتضمن هذا الفصل الموضوعات التالية: أهم الضمانات اللازمة للمحافظة على النعمة، وهي: التمسك بتطبيق الشريعة الإسلامية، وشكر النعمة، والتزام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يجعل كل مواطن من نفسه رجل أمن، والتزام جانب الاعتدال في كل شيء في الحياة، والتوسع في سياسة فتح باب الحوار مع المواطنين ومع الشباب بخاصة، ومواجهة مشكلات العصر بروح إسلامية واعية، كمشكلات المخدرات، والتطرف، والجنس، وصيانة عقول الشباب من آثار الغزو الفكري المدمر، المتمثلة في إبراز بعض مظاهر هذا الغزو الفكري، وخطط الغزاة التفصيلية في العالم الإسلامي، وركائز الغزو الفكري وأدواته.

وختم الكتاب بذكر ثلاثة ملاحق: الأول: النظام الأساسي للحكم، والثاني: نظام مجلس الشورى، والثالث: نظام المناطق، وأخيرًا ذكر المصادر التي رجع إليها في تأليف هذا الكتاب، والوثائق والصحف والمجلات. وأما الفهرس فقد وضعه في أول الكتاب.

البعد التربوي لآراء ابن رشد الفلسفية

الزبير المهداد

ولد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، أبو الوليد عام ٥٢٠هـ بمدينة قرطبة في الأندلس، في بيت اشتهر بالعلم والفقه. درس الشريعة والفقه ثم الطب والرياضيات والحكمة.

وفي عام ٥٤٧هـ دعاه عبد المؤمن الموحدي ت: ٥٥٨هـ إلى مراكش ليعاونه على إنشاء معاهد هناك، فتعرف مذهب الموحدين وعقيدتهم، وسره أن يجد منه العناية بالعلم ومؤسساته ورجاله، ثم كان له لقاء ثان بالدولة الموحدية من خلال اتصاله بالخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ت: ٥٨٠هـ، الذي كان مولعًا بالفلسفة والعلم، وقد تم هذا الاتصال عن طريق ابن الطفيل ت: ٥٨١هـ صاحب حي بن يقظان، وتلبية لرغبة هذا الخليفة الموحدي قام ابن رشد بترجمة كتب أرسطو وتفسيرها وتلخيصها لتصحيح التصورات الخاطئة السائدة في وسط العلماء حول أفكار هذا الفيلسلوف الكبير ودفع الشكوك التي كانت تحوم حولها.

تولى ابن رشد منصب القضاء في إشبيلية عام ٥٦٤هـ. وفي عام ٥٦٦هـ عينه السلطان أبو يعقوب قاضيًا على قرطبة.وبقي في منصبه هذا مدة تزيد على عشر سنوات وفي عام ٤٧٧هـ استدعاه الخليفةإلى مراكش وجعله طبيبه الخاص ، ثم أعاده إلى قرطبة بوظيفة قاضي القضاة.

لقي ابن رشد العناية نفسها من السلطان أبي يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (ت:٥٩٥هـ)، الذي تولى حكم دولة الموحدية بعد وفاة أبي يعقوب، فأثار ذلك غيرة العلماء وحسدهم، فسعوا لدى السلطان يتهمون ابن رشد بالزندقة والكفر، فحوكم ونفي إلى إحدى القرى بضواحي قرطبة وأحرقت كتبه، وعند عودة السلطان إلى مراكش قاعدة حكمه استقدم ابن رشد وعفا عنه وأعاده إلى سالف نعمته، وأذن له بالعودة إلى قرطبة، إلا أن المنية وافته بمراكش، فمات عام ٥٩٥هـ، ونقل جثمانه إلى مدينته قرطبة.(١)

وابن رشد فقيه كبير وفيلسوف مبرز وطبيب لامع. أكثر آثاره في الفلسفة والمنطق، إذ ترجم آثار الفلاسفة الإغريق كأرسطو وأفلاطون. وفي الطب خلف كتبًا وشروحًا مهمة، وفي الكلام وفي الفقه والأصول وغيرها من العلوم.(٢)

آثاره التربوية:

عاش ابن رشد في عصر سادته الصراعات السياسية والمذهبية والنزاعات العسكرية، سواء في المغرب أم الأندلس. وظروفٌ مثل هذه تحرك همم المفكرين والعلماء وتدعوهم للتأمل في أسبابها وتلمس حلول لها، وقد اهتم ابن رشد الفيلسوف بهذه الظروف وأولاها عنايته وعبر من خلال اهتمامه عن انشغاله بقضية التربية والتعليم بوصفها عاملاً أساسيًا من عوامل تشكيل شخصيات الأفراد وتحديد قنوات لإيجاد مسارب التوافق والتكيف الاجتماعي والذاتي.

تتوزع آراء ابن رشد في التربية ضمن مؤلفاته المختلفة، وأهمها:

١ـ تهافت التهافت: الذي رد فيه على كتاب الغزالي ت: ٥٠٥هـ، « تهافت الفلاسفة» وكان رد ابن رشد من أهم ما صنف في الرد على الغزالي وإبطال مزاعمه، بحيث إنه أثار الجدل الواسع بين الفقهاء والحاكمين والخاصة والعامة. لأن ابن رشد رام في كتابه الدفاع عن الفلسفة وبيان أهميتها في الإصلاح السياسي والاجتماعي والتربوي.

٢ـ جوامع سياسة أفلاطون: وهو ترجمة وتلخيص وشرح لكتاب جمهورية أفلاطون، وفيه تعرض لشروط المجتمع الفاضل، وسبل بنائه ووقايته وطرق سياسته وتدبيره، ووظائف أفراده.

٣ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: وفيه فصّل القول في قضايا مهمة تحتل مكانة في فلسفة التربية، منها واقعية المعرفة ووجوب النظر العقلي والفلسفة وغيرها، كما تعرض لحكم تعلم الفلسفة، وحكم علوم غير المسلمين، والقدرة على الإحاطة بالعلوم، والتأويل، وتصنيف العلوم، راداً في فصول كثيرة على كلام الغزالي وآرائه.

٤ ـ شرح أرجوزة ابن سينا في الطب: حيث عمد ابن رشد إلى الحديث عن نمو الجنين والعناية به وميلاده وتدبيره ورعاية نموه النفسي والبدني.

وكتب أخرى كثيرة عبر فيها عن آراء في التربية مؤسسة تأسيسًا فلسفيًا إسلاميًا، تنم عن سعي ابن رشد الفيلسوف الطبيب لوصف بلسم شاف يعالج أسقام أمته وعصره ، والمقالة المتواضعة التالية تحاول الاقتراب

من ابن رشد واستعراض ملامح فكره التربوي.

أسس فلسفته

العقلانية:

يقول ابن رشد في تعريف العقل: «هو إدراك نظام الأشياء الموجودة وترتيبها.. فالصور المادية إذا تجردت في النفس من مادتها صارت علمًا وعقلاً، ولما كانت معقولات الأشياء هي حقائق الأشياء، كان العقل هو إدراك المعقولات، أي إدراك نظام الأشياء الموجودة وترتيبها وأسبابها».(٣) ويتفق ابن رشد في تعريفه للعقل مع مفكري اليونان الذين عدّوه ملكة خاصة بإدراك المجردات، وبمعرفة الكلي في مقابل المحسوس الجزئي.

فالعقل بهذا التعريف هو منهج في النظر، وطريقة في تحصيل المعرفة تسعى لإدراك أنظمة الموجودات وترتيبها وأسبابها، وهذا النظر العقلي يرى ابن رشد أنه واجب في الإسلام، قال في كتابه فصل المقال: «إن الشرع قد أوجب النظر العقلي في الموجودات واعتبارها»(٤) واستعرض آيات من القرآن الكريم ونصوصًا من الحديث الشريف لتأكيد قوله.

وإذا كان التفكير العقلاني يعني عرض المرء أفكاره بطريقة منطقية تنم عن قدرته على كشف أسباب وجواهر الظواهر، فإن هذا لايمكن أن يتحقق في ظل تربية متخلفة، تعتمد إرهاب الصبيان وسيلة للتحكم فيهم وتوجيههم وتنشئتهم ، يقول في جوامع سياسة أفلاطون: «لا يجب أن نعلم النشء أن هناك جانًا تهدم الجدران على الناس ولا يحول بينهم وبينهم أي حائل، وأنهم يَرَون ولا يُرَون ويوجدون أينما يريدون، وأنهم ينتحلون ما شاؤوا من الصور»(٥) فهذه الخرافات تأثيرها السيئ في التكوين النفسي للصبي قوي بحيث يلازمه طوال حياته، وقد يحول دون توافقه الذاتي السليم، ويعرقل اندماج الفرد في مجتمعه ويمنعه من أداء وظيفته الاجتماعية «إذ تمنع هذه الوليد من أن يكون جنديًا قويًا، وتنمي الخوف في قلوب الناشئة»(٦) فَـأَمْرُ الشرع بوجوب استخدام العقل قد ينقضه هذا الأسلوب التربوي الخاطئ.

إن الحصيلة الضخمة من المعارف المتمثلة في العلوم المختلفة هي وليدة النظرة العقلية التي همها البحث عن الحقيقة في كل أرجاء الكون، ويؤكد ابن رشد أن المعرفة الإنسانية والعلم البشري أصلهما من الواقع «العلم اليقيني هو معرفة الشيء على ما هو عليه، والعلم المخلوق فينا إنما هو أبدًا شيء تابع لطبيعة الوجود»(٧) فالواقع هو مصدر المعرفة. «فكل علم ومعرفة، جزئية كانت أو كلية، لا يمكن إلا أن تكون مرتبطة بالواقع ونابعة منه»(٨) بل حتى القضايا الكلية المجردة المؤلفة بواسطة العمليات العقلية الذهنية المعقدة من الجزئيات هي موجودة في الواقع قبل أن توجد في الذهن، يتمثل وجودها الواقعي في أشكالها الأولى وجزئياتها التفصيلية قبل أن تتبلور في الذهن»(٩).

ومع اعتراف ابن رشد بمكانة العقل في التمييز والتحصيل والوصول إلى المعرفة، فإنه يرى أن قدرات العقل محدودة، ثم إنها تختلف من شخص إلى آخر، والعقل عاجز عن تحصيل جميع العلوم، فهناك أمور لا يستطيعها ولا يمكنه أن يستقل بمعرفتها بمفرده، وكي يستطيع الوصول إلى ما غمض عليه من العلم لابد من الاستعانة بمن سبقه والاستفادة من اجتهاداتهم .

والمعرفة متنوعة بقدر تنوع هذا العالم المحيط بالإنسان، لذلك كان مستحيلاً على الإنسان الفرد الإحاطة بكل العلوم، كما يستحيل على فرد منفرد أن ينشئ علمًا مبتكرًا كامل القواعد من دون الاستعانة بتجارب من سبقه. فالعلوم لا يكمل النظر فيها إلا بعد زمن طويل من البحث فيها(١٠) والمعرفة تمثل تراثًا

> الحصيلة الضخمة من المعارف المتمثلة في العلوم المختلفة هي وليدة النظرة العقلية

إنسانيًا عالميًا تغنيه التراكمات الناتجة عن إسهام الشعوب المختلفة وعطائها، فلذلك يصعب استغناء المتأخرين عن أعمال المتقدمين(١١) وهذا يوجب الاستعانة بما انتهى إليه البحث العلمي والاسترشاد باجتهادات العلماء السابقين حتى ولو كانوا مختلفين معنا دينًا مثل اليونان، فنأخذ منهم ما نجده موافقًا للحق، ونعذرهم على ماهو ليس موافقًا له(١٢) لأن آثارهم تتجدد قيمتها بحسب الشروط التي أوجدتها، فما توصلوا إليه ليس ملزمًا للأمةالإسلامية، وليس واجبًا على الفلسفة من حيث كونها فلسفة، لأنها مجرد تأويلات اضطروا إليها حسب المقال والمقام، لأن الفلسفة هي النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع (١٣).

السببية :

ويؤكد ابن رشد أن العلاقة الضرورية بين السبب والمسبب خطوة نحو إرساء الفكر العلمي في الثقافة العربية، وذلك برد كل شيء في العالم إلى أسباب تدرك بالعقل.

يرى ابن رشد أن الأشياء الطبيعية متصل بعضها ببعض اتصالاً ضروريًا بأسباب محسومة مشاهدة، وأنّ الأسباب فاعلة والمسبَّبات منفعلة، والدليل على ذلك أن لكل موجود فعلاً يخصه لأن له طبيعة تخصه، ومعرفتنا بهذه الطبيعة وهذا الفعل هي التي تسمح لنا أن نطلق على كل شيء اسمًا واحدًا يخصه(١٤).

لم يجد ابن رشد حرجًا في تقرير علاقة السببية على الاعتقاد والإيمان الديني العميق في هذا الكون، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون وخلق القوانين والسنن التي لا سبيل إلى خرقها وتبديلها، فعلى حين تحرج الغزالي في تقرير علاقة السببية لم يتحرج فيلسوفنا في تقرير العلاقة السببية باعتبارها من سنن الكون وقوانينه(١٥). لم يقبل ابن رشد موقف الغزالي القائل بعقم التصور الفلسفي للضرورة السببية، وذهب إلى أن رفع الأسباب إنما هو رفع للعقل نفسه، ورأى إلى جانب ذلك أنه ليس يلزم العلم ليكون علمًا أن يكون قائمًا على الضرورة السببية(١٦) فالعلم الحقيقي الذي يستند على العقل هو العلم بالأسباب والمسببات، فالعقل هو الذي يدرك الأسباب والموجودات الطبيعية، وإذا رفعت الأسباب والمسببات رفع العقل، وإذا رفع العقل بطل العلم وحلت الظنون محل العلوم الحقيقية العقلية(١٧).

فكرة السببية كما شرحها ابن رشد تؤكد العلاقة بين الأسباب والمسببات، وهي تتعارض مع فكرة التواكل التي لعبت دورًا أساسيًا في التخلف العربي في العصور الوسطى، لأن الإيمان بفكرة السببية يثمر الاعتقاد بحرية الإنسان واختياره، وبأن للأشياء في ذاتها وبطبيعتها نفعًا أو ضررًا وحسنًا أو قبحًا(١٨).

الإسلامية:

وكان ابن رشد فوق ذلك فيلسوفًا مسلمًا وفقيهًا مالكيًا مجددًا، لم يخرج عن الإطار العام للفلسفة الإسلامية على مستوى إشكالياتها أو موضوعاتها، أو من حيث المفهومات التي وظفها في التحليل والتناول. وتفرده يرجع إلى إثباته العلاقة بين الحكمة والشريعة، خلافًا لرأي الفارابي الذي يرجع أولوية الحكمة على الملة إلى الأولوية الزمنية. إلا أن ابن رشد نظر إلى المسألة من زاوية الفقيه المفتي المجتهد المتحمل مسؤولية القضاء، التي تلزمه أن يتمسك بحياده ويلتمس الحكم من داخل الشرع لا من خارجه(١٩). فأدت آراؤه إلى تغيير نظرة الفقهاء خاصة وعامة المسلمين إلى الفلسفة، كما غيرت موقف الفلاسفة من الدين، وهذا الموقف لا يستغرب من رجل جمع بين الفقه حتى بلغ فيه درجة الاجتهاد، والفلسفة حتى وصل إلى رتبة الأستاذية فيها. والجمع بين الفلسفة والشريعة وتقليص حدة التناقض القائم بينهما لا يتم إلا بضبط حدودها بشكل محكم،

ووسيلة ذلك التزام الشروط التربوية لتعلم الفلسفة والشريعة وتعليمهما، فانتقد كثيرًا الفكر الفلسفي الذي لا يعبر عن احترام قواعد الإسلام، وثوابته وقيمه الراسخة، كما دعا في الوقت نفسه الفقهاء للاقتراب من الفلسفة، لأن ضررها العارض، الناتج عن أخطاء الخطابات الفلسفية السائدة لا ينفي نفعها بالأصل(٢٠) وبسبب آرائه الإسلامية اعتبره فلاسفة أوربا في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث المثل الأكبر للفلسفة الإسلامية، واشتدت الحملة عليه وعلى آرائه.وكتبه(٢١).

غاية التربية مجتمع فاضل

لاحظ ابن رشد أن من أعراض الأزمة السياسية والفكرية تخلي الطبقة الحاكمة من القادة والأئمة والعلماء عن مبادئهم العقلية واتخاذهم موقفًا معاديًا للعلم والعقل. كما لاحظ أن مواطنيه لم يلتزموا وظائف اجتماعية محددة بل لم يشتغلوا بصنعة واحدة وانساقوا وراء أغراض مختلفة متناقضة، وانشغلوا بصنائع متعددة.ولرصد غاية التربية رجع ابن رشد إلى الإرث الفلسفي اليوناني، وهو به خبير، بل وأكثر من ذلك، فقد كان ابن رشد يرى أن شروط تأسيس مدينة فاضلة كما حددها أفلاطون يمكن إقامتها في بلاد المغرب، لأن بلاد المغرب في عصره توافرت فيها الشروط التي كانت تتوافر في بلاد اليونان زمن أفلاطون، ولعل عقيدة المهدي هي التي أغرته بذلك، فالمهدي محمد بن عبد الله بن تومرت: ت: ٥٢٤هـ، زعيم الدولة الموحدية شرح عقيدته في كتابه: «أعز ما يطلب»، ووضع العلم في مقدمة الدولة، وكذلك فعل أفلاطون في جمهوريته، مما أغرى ابن رشد وجعله ينظر إلى شروط المجتمع الفاضل في ظل الدولة الموحدية، ويتخذ مرجعيته من آثار أفلاطون(٢٢). فرأى ابن رشد رأي أفلاطون، أن غاية التربية هي بناء مجتمع عادل يتألف من مواطنين أصحاء البدن والنفس، والفيلسوف المربي هو الذي يوجه الأفراد نحو الوظائف المناسبة لهم حتى يقوم كل فرد بما هو أهل له، وهذا يتطلب منه معرفة بطبائع الرعايا والتشكيلة الاجتماعية حتى يوفق في توجيه الأفراد الوجهة التي تستجيب لظروف الأفراد وتلبي حاجات المجتمع، مع الحفاظ على التوازن والاعتدال، والمجتمع العادل في رأي ابن رشد هوالذي يقوم فيه الفرد بمسؤولية واحدة لا يتعداها، والاعتدال سبب السعادة والدوام .

هذه التربية تحدد وظيفتها في حفظ النشء في بدنه حفظًا طبيًا، وفي عقله ولسانه حفظاً تربوياً أخلاقيًا، والفيلسوف المربي، حتى يوفق في ذلك، يجب أن يكون مطلعًا على العلوم النظرية، ومكتسبًا حنكة الدهر، هذه الحنكة هي التي تدلّ على التمرّس بقواعد الصناعة الفلسفية التربوية وتخرج عمله التربوي إلى التطبيق والتجربة.

ومن شروط المجتمع الفاضل قيامه على علاقات تبادلية بين أطرافه، بحيث لا مجال فيه للانعزال والاغتراب والانكفاء على الذات.

الانعزال نزعة سلبية

إن أبرز آراء ابن رشد هي إيمانه المطلق بضرورة الانفتاح على الآخر وعدم الانعزال والتقوقع على الذات الذي يعدّه انحرافًا في السلوك، تترتب عليه مساوئ وأضرار اجتماعية كثيرة.

ينادي ابن رشد بتحقيق الانفتاح على مستويين اثنين: اجتماعي، وثقافي فكري.

١ـ على المستوى الاجتماعي: لاحظ ابن رشد أنه في خضم الصراعات والفتن السياسية والفكرية تنتشر النزعة الانعزالية بين الناس على اختلاف

التربية تحدد وظيفتها في حفظ النشء في بدنه وعقله ولسانه

طبقاتهم ووظائفهم، وهذه النزعة علة تصيب الإنسان لخلل يلحق توازنه النفسي، وهي تتعارض مع ما جبل عليه من ميول نحو الاجتماع والأنس.

يرى ابن رشد أن حياة التوحد والانعزال لا تثمر صناعات ولا علومًا، وواجب الإنسان أن يأخذ بنصيبه في إسعاد نفسه والتمتع بفرص الحياة الدنيوية، وإسعاد المجموع، وهذا يقتضي من كل فرد أن يؤدي دوره الاجتماعي ووظيفته المؤهل لها(٢٣).

والمرأة أيضاً نالت حظها من اهتمام ابن رشد ولم يهملها، فنادى بضرورة إشراكها في تحمل نصيبها من خدمة المجتمع وأداء دورها في إنتاج الثروة المادية والثقافية مثلها مثل الرجل.فعلى النساء أن يقمن بالأعمال التي يقوم بها الرجل، ولا تقتصر وظيفتهن على النسل وخدمة بعولتهن، فإن ذلك مبطل لدورهن الحقيقي. وقد تطرق في كتابه بداية المجتهد لموضوع ولاية المرأة المناصب الإدارية الشرعية كالقضاء، وأورد في ذلك أقوال عدد من العلماء والفقهاء. وكتب في جوامع سياسة أفلاطون «ولما حرمت النسوة من مشاركة الرجال في الفضائل الإسلامية، كان الكثير منهن شبيهًا بالنبات وكن عالات على الرجال، فإنهن لا يقمن بالأعمال الضرورية، بل يقمن بأعمال غير ذات أهمية تملأ الفراغ كالغزل والنسيج»(٢٤) وهذا الكلام ينم عن احتقار للعمل اليدوي المتمثل في الغزل والنسيج، ولا نظن أن إمامًا فقيهًا وفيلسوفًا كبيرًا كابن رشد يصدر عنه ذلك، لكنها الترجمة عن أفلاطون هي التي أوقعته في الغلط ولم يلتفت إليه، فإنه لا يختلف اثنان حول الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للنسيج والغزل ولتربية الصبيان، لكن الفلسفة اليونانية تريد النساء حكيمات مشتغلات بالنظر العقلي، والوظائف القيادية والولاية مثل الرجال، إلا أن القول يتضمن دعوة إلى إقرار حقها في التعلم والتكوين بشكل مساو للرجل.

٢ـ وعلى المستوى الثقافي الفكري يحث ابن رشد على ضرورة الانفتاح على الفكر الآخر وعدم الانغلاق الثقافي، مع الحرص على إخضاع الفكر الآخر لأحكام الشرع والنظر في مدى موافقته لأحكامه، وفي ذلك اجتهاد وعمل عقلي لا يكتفي العالم المتعلم بما جاء به السابقون . «يجب علينا، إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظرًا في الموجودات واعتبارًا لها، بحسبما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقًا للحق قبلناه وسررنا به وشكرناهم عليه،وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم»(٢٥)، وبهذا نضمن ممارسة المعرفة الحق، والتحررَ من الانغلاق الفكري والمذهبي، وتفتحاً على الآخرين. والدعوةُ لـلتواصل مع الناس تتضمن نداءً لاختراق أفكار وثقافات مغايرة والتفاعل معها.

وقد عبر ابن رشد عن تصور جديد لاختلاف الآخر المخالف لنا في العقيدة، تصور ناتج عن احتكاك ابن رشد بمجتمعات معاصرة له مختلفة تمامًا عايشها، وأخرى قديمة خبر أحوالها من خلال تراثها الذي قرأه ودرسه وبحثه. ويستفاد من آراء أبي الوليد أن الاحتكاك بالاختلاف يكون إيجابيًا إذا كنا قادرين على مقابلته وموازنته بالنظام القيمي الذي ننطلق منه ونؤسس عليه مشاهداتنا وتأملاتنا للمغايرة والاختلاف، وهذا النظام القيمي يجب أن يكون الإسلام.

فإذا كانت الحكمة حسب التعريف الرشدي هي النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالاتها على الخالق، فإن الشريعة تبصر الإنسان بحقيقة الوجود، أي بالخالق والمخلوقات وما بينهما من علاقة، وترسم إلى جانب ذلك منهجًا للسلوك الفردي والجماعي

الكفيل بتحقيق سلامة الفرد والمجتمع، هاديًا إلى الأسلوب الأصح في الممارسة والتطبيق. والتربيةُ هي وسيلة الشريعة في ضبط مسار الناس وتوجيههم وتبصيرهم بما يضمن سلامتهم، ويحقق كمالهم،وهي تزود العقل المسلم بمعايير قادرة على التمييز بين الخبيث والطيب، وتشكل معالم الشخصية المسلمة، مع الحرص على تحديد الهوية الإسلامية وإبراز معالمها وحمايتها من الذوبان في خضم الاحتكاك مع الثقافات الأخرى.

البعد التربوي للشريعة والحكمة

يقول ابن رشد: إن الشريعة تدعو إلى التأمل والتدبر، وتوجب النظر الفلسفي واستعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله والبرهنة على وجوده من خلال موجوداته. وساق لذلك آيات من القرآن الحكيم تحث على استعمال العقل والنظر في الموجودات.

وما يراه أيضًا أن الشريعة، وإن كان الوحي مصدرها، لا تخالف العقل ولا تناقضه، «فالعقل يخالطها» والشرائع العقلية الوضعية المجردة من الوحي تكون أنقص من الشرائع السماوية التي استنبطت من العقل والوحي(٢٦).

والشريعة هي صناعة مدنية ضرورية للاجتماع، تأخذ مبادئها من العقل والوحي، وتتضمن توجهًا تربويًا أساسه تربية الفرد حتى يغدو صالحًا، يعمل على بلوغ كماله الإنساني، ويسعى لتحصيل سعادة نفسه وجماعته في حياته الدنيوية والأخروية. فهي ضرورية لتحصيل الفضائل الخلقية للإنسان، هذه الفضائل لا تتمكن إلا بمعرفة الله تعالى وتعظيمه بالعبادات المشروعة. ويقدم ابن رشد لذلك مثلاً بالصلاة التي هي ليست مجرد ركوع وسجود بل لها بعد تربوي يتجلى في نهيها عن الفحشاء والمنكر(٢٧).

أما الفلسفة «فهي تنحو نحو تعريف سعادة بعض الناس العقلية»(٢٨) وسبيل ذلك تعلم الحكمة، وهي لا تتوجه إلى الجمهور وعموم الناس بل تقصد بخطابها فئة خاصة من الأفراد القادرين على استيعابها. وهذا الصنف الخاص من الناس إنما يتم وجوده وتحصيل سعادته بمشاركة الصنف العام، لذلك فالتربية الشرعية ضرورية وأساسية، لأنها تنشئ الأفراد عامة على الفضائل الشرعية، وتحقق تعليماً عامًا وضروريًا للفئة الخاصة الحكيمة.

إن الشريعة تعم الناس كافة بالخطاب، وتربي الجمهورعامة تربية أساسية مشتركة، فهي «تنحو نحو الحكمة بطريق مشترك للجميع، لذلك فهي واجبة» «ومع ذلك فلا نجد شريعة من الشرائع إلا وقد نبهت فيما يخص الحكماء، وكتبت بما يشترك فيه الجمهور»(٢٩).

فالتربية الشرعية تؤثر في وقت الصباوالمنشأ، وعند الانتقال إلى زمن الرشد يجب على الفيلسوف ألا يستهين بما نشأ عليه من تربية دينية، بل عليه أن يتأول ذلك أحسن تأويل، وأن يعلم أن المقصود بذلك التعليم الديني هو ما يعم لا مايخص. فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً بإطلاق.

والحكمة أيضًا تتفق مع الشريعة في هذا المنحى، وتدعو إلى تربية النشء على الفضائل والأخلاق الحسنة، وتحذر مما يمكن أن يؤدي إلى عكس هذه النتيجة. ففي جوامع سياسة أفلاطون رسم ابن رشد منهجًا لتربية الصبيان، اقترح فيه وسائل لحماية أخلاق النشء وتربية أذواقهم تربية سليمة، وحذا في ذلك حذو أفلاطون في التحذير من إسماع الصبيان الحكايات الخرافية الكاذبة، فضررها يفوق ضرر إصابة

> لا سبيل إلى البرهان على وجوب العمل إلا بوجود الفضائل الحاصلة على الأعمالة الخلقية والعملية

جسم الصبي بالثلج، على حد تعبير ابن رشد «ونحذر ـ كما يقول أفلاطون ـ من أن نعود نفوسهم سماع الأقاصيص السافلة أكثر مما نحذر من إصابة أجسامهم بالثلج»(٣٠).

كما يدعو إلى حماية النشء من سماع سيّئ الشعر ورديئه الذي يتضمن دعوة إلى الرذيلة والفسق والفجور ويتعارض مع الأخلاق الحميدة والعفة ويهدد الفضيلة « فاعلم أن أشعار العرب مملوءة بهذه الأمور الشريرة، وضرره كبير على النشءفي الصبا»(٣١).

ثم إن مبادئ العمل يجب أن تؤخذ تقليدًا، إذ إنه لا سبيل إلى البرهان على وجوب العمل إلا بوجود الفضائل الحاصلة على الأعمال الخلقية والعملية. والفلاسفة، يرون في الشرائع هذا الرأي. أي الأخذ بالتقليد من الأنبياء والواضعين مبادئ العمل والسنن المشروعة في الملة، فيجب على كل إنسان أن يسلم بمبادئ الشريعة ويقلد فيها، والممدوح عند الفلاسفة من هذه المبادئ الضرورية هو ما كان منها أحث للجمهور على الأعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها أتم فضيلة من الناشئين على غيرها(٣٢).

مراعاة الخطاب الشرعي لقدرات الناس:

يقول في كتاب «فصل المقال»: إن مقصود الشارع هو تعليم العلم الحق، أما العلم الحق فهو الذي ينحصر في معرفة الله تعالى ومعرفة الموجودات على حقيقتها، ومعرفة السعادة والشقاء الأخروي، والعمل الحق هو عمل ما يفيد السعادة ويتجنب ما يفيد الشقاء. وطرق التعليم اثنان، التصور والتصديق. والتصور يكون إما بتصورالشيء نفسه أو مثاله، والتصديق يكون إما بالبرهان أو الجدل أو بالخطابة.

الناس في الشريعة على ثلاثة أصناف:

ـ صنف ليس من أهل التأويل أصلاً .وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق.

ـ وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط أو بالطبع والعادة

ـ وصنف هم من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أعني صناعة الحكمة(٣٣).

فالناس يختلفون بطباعهم لذلك جاء الشرع مشتملاً على جميع أنحاء طرق التعليم هذه حتى يجد كل واحدما يلائم طبعه واستعداده، فمنهم من يصدق البرهان، ومنهم من يصدق الجدل، ومنهم من يصدق الأقاويل الخطابية، وهو ما ترشد إليه الآية الكريمة «ادعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلْهم بالتي هي أحْسنُ».النحل: ١٢٥.

ويلاحظ ابن رشد أن أكثر الناس يصدقون بالخطابة والجدل،والقليل جداً منهم يصدقون بالبرهان، لهذا جاء الشرع متفقًا مع الأغلبية، أي إن في ظاهره ما يرضي هذه الفئة الغالبة في الناس، دون أن يهمل الفئات الأخرى وحاجاتها العقلية (٣٤).

ولما كانت طرق التصديق منها ما هي عامة لأكثر الناس، هي الخطابية والجدلية، والخطابية أعم من الجدلية، ومنها ما هي خاصة لأقل الناس وهي البرهانية، وكان الشرع مقصده الأول العناية بالأكثر من غير إغفال تنبيه الخواص، كانت الطرق المصرح بها في الشريعة هي الطرق المشتركة للأكثر في وقوع التصور والتصديق. (٣٥).

فحري بالعلماء أن يقتدوا بذلك من جهتين:

١ ـ في خاصة أنفسهم، فالشرع لا يؤخذ كله على ظاهره بل على الخواص من العلماء أن يؤولوا ما يحتاج لتأويل حتى يدركوا حقيقته التي تتناسب

واستعدادهم وقدراتهم العقلية (٣٦).

٢ـ في تعليمهم الناس حيث يجب عليهم، مراعاةً لقدرات الناس العقلية، أن يحفظوا التأويل في نطاق رجال البرهان وفي كتبهم لحماية الناس منها، لأن التصريح بالتأويل لعامة الناس تترتب عليه مفاسد كثيرة أخطرها الكفر، وهذا الخطأ وقعت فيه كثيرمن الفرق الإسلامية التي صرحت بالتأويل لعموم الناس، فأشركوا السواد الأعظم من الناس في مسائل تفوق مستوى عقولهم، فأدى بكثير منهم إلى الوقوع في الكفر والانحراف الديني، مما يتناقض والغايات السليمة التي جاءت بها الشريعة وعلومها، ويتعارض مع الرسالة السامية التي حملها العلماء والأئمة المسلمون.

وقد نقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله»(٣٧).

وانتقد ابن رشد طريقة الأشاعرة والفرق الإسلامية في الاستدلال، ولما وضعوه من مقدمات وما انساقوا إليه من نتائج وخيمة على العلم والعقل معًا.« ولقد بلغ تعدي نظّارهم ... على المسلمين أن فرقة من الأشعرية كفّرت من ليس يعرف وجود البارئ سبحانه بالطرق التي وضعوها لمعرفته في كتبهم ... ومن هنا اختلفوا ... فأخطؤوا مقاصد الشارع فضلّوا وأضلّوا»(٣٨).

طرق التعليم التي سلكتها الفرق الكلامية خاطئة، لم تحقق المقصود،وبدل تثبيت الإيمان وتقويته في نفوس المسلمين زرعت فيهم الشكوك وأدت بهم إلى الانحراف الديني، أخطأت هذه الطرق التعليميةالهدف لأنها أخطأت السبيل بسبب ابتداعها طرق تعليم مخالفة للطرق التي جاء بها الشرع، يقول ابن رشد موضحًا ذلك سائلاً «فإذا لم تكن الطرق التي سلكتها الأشعرية ولا غيرهم من أهل النظر هي الطرق المشتركة التي قصد الشارع تعليم الجمهور بها، وهي التي لا يمكن تعليمهم بغيرها، فأي الطرق هي هذه الطرق في شريعتنا هذه؟»(٣٩) ولا يلبث أن يجيب موضحًا بأن الطريقة هي التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم، وهي الطريقة التي تعتمد استقراء القرآن الكريم والوقوف عند ظاهر ألفاظه للعموم.(٤٠).

فالطرق المشتركة لتعليم عامة الناس وخاصتهم والتي جاء بها الشرع هي من أفضل الطرق للتعليم « إذا تؤمل ظهر أنه ليس يلفى طريق مشترك لتعليم الجمهورأفضل من الطرق المذكورة (٤١) لأنها تخاطب الناس كلاً حسب قدراته واستعداده، وقصدها إفادة السعادة الإنسانية بتعليمهم العلم الحق والعمل الحق، وخلاف هذه الطرق تؤدي إلى قلة تقوى الناس وإضعاف إيمانهم ونشر البغض والكراهية والنزاعات بينهم وتفريقهم وتمزيق الشرع.(٤٢).

ويضيف موضحًا أن لا سبيل إلى تصحيح هذا الخطأ الكبيرإلا بالرجوع إلى القرآن الكريم والاقتداء بالخطاب الشرعي في مراعاته قدرات الناس العقلية ومسلكه في تعليم الناس.

ولما كان لكل صناعة مبادئ فواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم بمبادئها، فليس يجوز لمتعلم الفلسفة التكلم ولاالجدل في مبادئ الشرائع، وفاعل ذلك يحتاج إلى الأدب الشديد. وإن تمادى الزمان والسعادة بالمتكلم إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم، فعرض له تأويل في مبدأ من مبادئها، ففرضه ألا يصرح بذلك التأويل، وأن يقول فيه كما قال سبحانه «والراسخونَ في العلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربنا»آل عمران :٧ وهذا هي حدود العلماء(٤٣) لأن العالم بما هو عالم إنما قصده طلب الحق لا إيقاع الشكوك وتحيير العقول (٤٤).

الخاتمة: إن سبر أغوار فكر ابن رشد عمل لا يخلو من متعة ومفاجآت على ما يكتنفه من مشقة، وهذا العمل لا يمكن أن يتم عبر وريقات قليلة تحاول أن تتصدى لجانب واحد من جوانب فكر ابن رشد، وأعني به الرؤية التربوية ، فابن رشد فيلسوف كبير أغنى حياتنا بعطائه الفلسفي والفقهي، وأثر بآرائه في كثيرمن المفكرين الذين استغرقهم همّ تجديد العقل المسلم وشحذه وتثقيفه.

ابن رشد كان فيلسوفًا مسلمًا كبيرًا ذا إيمان قوي، بذل جهده في الدفاع عن العقل والفلسفة والتقريب بينهما وبين الشريعة، وبرهن على أن الوحي والعقل لا يتعارضان، وحاول النهوض بالعقل المسلم وتجديده ووضع خطة لتربية النشء تربية عقلية مؤسسة على الإسلام، تحقق معرفة بشرية طبيعية تمكن من فهم قوانين الطبيعة والاقتراب من قوانين الوجود، تحترم العقل وتقدره وتراعي القواعد الشرعية في التفكيروالحكم.

المراجع:

- ابن رشد، أبو الوليد. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعةمن الاتصال. تقديم ألبير نصري نادر. بيرووت دار المشرق ١٩٦٨م.
- ابن رشد أبو الوليد. تهافت التهافت. تقديم محمد العريبي، بيروت .دار الفكر اللبناني١٩٩٣م
- أبو شوار إبراهيم. الأسس التربوية لعلاقة الحكمة بالشريعة فلسفة ابن رشد . المجلة العربية للعلوم الإنسانية. الكويت. العدد ٥٥ ربيع ١٩٩٦م
- بدوي عبد الرحمن . موسوعة الفلسفة ج١ بيروت.المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٩٤م.
- الجابري محمد عابد.بنية العقل العربي.الدار البيضاء . المركز الثقافي العربي ١٩٩١م
- الجابري محمدعايد. لتتخلص من الأسئلةالمزيفة. الاتحاد الاشتراكي.١٩٩٦/٧/١٢ص٢
- شحلان أحمد. أبو الوليد بن رشد، الفيلسوف المصلح. نشر ضمن كتاب مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، جامعة القاضي عياض. كلية الآداب.١٩٨٩م
- العشري، جلال. العقاد بين الغزالي وابن رشد مجلة الفيصل. عدد ٢٢ . ربيع آخر١٣٩٩هـ.
- العقاد عباس محمود.ابن رشد القاهرة دار المعارف. ١٩٧١م
- علي سعيد إسماعيل.أصول التربية الإسلامية. القاهرة دار الثقافة ١٩٧٨م
- عمارة محمد. مقام العقل في مدرسة التجديد الديني الحديث، مجلة الهلال«القاهرة» يناير ١٩٨٠م.

الهوامش:

١ـ حول محنة ابن رشد انظر الجابري، المثقفون في الحضارة العربية. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٦م، والمراكشي، عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب.تقديم محمود حقي. الدار البيضاء. دار الكتب. ص٤٣٥.

٢ـ حول قائمة مؤلفات ابن رشد انظر ـ
- عمارة محمد: المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد. القاهرة. دار المعارف:١٩٧٩م. ص٩٧ وما بعدها.
- العلوي، جمال الدين: المتن الرشدي. الرباط، دار توبقال:١٩٨٦م.
- بدوي عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة. ج١، مادة ابن رشد. بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٤م.

٣ ـ ابن رشد، تهافت التهافت. تقديم محمد العربي. بيروت. دار الفكر اللبناني ص١٩٣-٢٢٩.

٤ ـ ابن رشد: فصل المقال. تقديم: ألبير نصري نادر، بيروت دار المشرق، ص٢٨.

٥ ـ شحلان أحمد، أبو الوليد بن رشد، الفيلسوف المصلح، أشغال ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي. كلية الآداب جامعة القاضي عياض. مراكش: ١٩٨٩م، ص٢١٨.

٦ـ شحلان أحمد. المرجع نفسه، ص٢١٨.

٧ـ ابن رشد: تهافت التهافت، ص٢٩٦.

٨ ـ علي سعيد إسماعيل. أصول التربية الإسلامية.القاهرة. دار الثقافة١٩٧٨. ص٢٢٦.

٩ـ علي سعيد إسماعيل المرجع السابق نفسه. ص٢٢٦.

١٠ـ ابن رشد: فصل المقال ص٣٢.

١١ـ ابن رشد: المرجع نفسه ص٣٢.

١٢ـ ابن رشد: المرجع نفسه. ص١٨.

١٣ـ ابو شوار إبراهيم: الأسس التربوية لعلاقة الحكمة بالشريعة في فلسفة ابن رشد. المجلة العربية للعلوم الإنسانية. عدد ٥٥، ربيع ١٩٩٦م ص١٥٨.

١٤ـ العشري جلال. العقاد بين الغزالي وابن رشد، بمجلة الفيصل عدد٢٢، ربيع الآخر١٣٩٩هـ ص٦٠.

١٥ـ عمارة، محمد. مقام العقل في مدرسة التجديد الديني الحديث. مجلة الهلال يناير١٩٨٠.ص٥٠

١٦ـ أبو شوار، إبراهيم. المرجع نفسه. ص١٤٩.

١٧ـ العشري، جلال:المرجع نفسه.ص٦٠.

١٨ـ عمارة، محمد، مجلة الهلال. ص٥٠.

١٩ـ الجابري محمد عايد. لتتخلص من الأسئلة المزيفة.جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم ١٩٩٦/٧/١٢م ص٢.

٢٠ـ أبوشوار. المرجع نفسه ص١٥٥و١٧٧.

٢١ـ بدوي عبدالرحمن. المرجع نفسه ص ٣٨.

٢٢ـ شحلان، أحمد، المرجع نفسه ص٢١٣.

٢٣ـ على سعيد إسماعيل، المرجع نفسه ص٢٧٧.

٢٤ـ شحلان، أحمد المرجع نفسه ص٢٢٠.

٢٥ـ ابن رشد: فصل المقال. ص٣٣.

٢٦ـ ابن رشد: تهافت التهافت. ص٣٢٦.

٢٧ـ ابن رشد المرجع نفسه، ص٣٢٦.

٢٨ـ ابن رشد: المرجع نفسه، ص٣٢٥.

٢٩ـ ابن رشد المرجع نفسه ص٣٢٥.

٣٠ـ شحلان، أحمد. مرجع سابق. ص٢١٨.

٣١ـ شحلان، أحمد. المرجع نفسه ص٢١٨.

٣٢ـ ابن رشد: تهافت التهافت. ص٣٢٦.

٣٣ـ ابن رشد، فصل المقال. ص٥٢.

٣٤ـ ابن رشد. المرجع نفسه. ص١٨.٢٣.

٣٥ـ ابن رشد. المرجع نفسه،ص٥١.

٣٦ـ ابن رشد. المرجع نفسه. ص٣٥.

٣٧ـ ابن رشد المرجع نفسه. ص٣٨.

٣٨ـ ابن رشد. المرجع نفسه، ص٥٦.

٣٩ـ ابن رشد. المرجع نفسه. ص٥٦.

٤٠ ـ الجابري، محمد عابد بنية العقل العربي. الدار البيضاء. المركز الثقافي العربي. ١٩٩١م، ص٥٣١.

٤١ ـ ابن رشد. المرجع نفسه.ص٥٦.

٤٢ ـ ابن رشد المرجع نفسه.ص٥٦.

٤٣ ـ ابن رشد، تهافت التهافت. ص٢٢٤.

٤٤ ـ ابن رشد. المرجع نفسه.ص١٥٠.

الطاقة الذرية

بين راحة الإنسان وشقائه!

د. صلاح يحياوي

تختلف الطاقة الذرية عن التطورات التقانية الأخرى كالسيارة والمذياع (الراديو) من حيث طول الزمن في الانتقال من الاكتشاف إلى التطبيق على نطاق واسع. لقد استغرق الانتقال من العمل الأساسي في الترمو ديناميك «علم الحرارة والتحريك» إلى الآلة البخارية ومحرك الاحتراق الداخلي زمنًا طويلاً قبل أن يتآلف البشر مع هذه التطورات، وقبل الاعتياد على التسليم بإمكان وجود مصدر للطاقة في القاطرة أو السيارة.

أما الطاقة الذرية فقد كان ظهورها مذهلاً بل خفيًا غامضًا! إنها تتضمن أمورًا غير مألوفة وصعبة الفهم على الرغم من أن وقائعها الأساسية بسيطة نسبيًا، ولكن على الناس التعمق في تفهمها لما لها من تأثير في مستقبل البلد، اي بلد، وربما في مستقبل العالم.



الأسلحة النووية تطور وتجارب دائمة



تحصل الشمس وجميع النجوم على طاقتها من اندماج ذرات الهيدروجين اندماجًا كليًا يؤدي إلى ذرات الهليوم، وفي هذا الإجراء يتحول جزء من الكتلة إلى طاقة وفق معادلة آينشتاين الشهيرة • الطاقة =الكتلة ×مربع الضوء أو E=mc2). وتصلنا الطاقة المتحررة على شكل إشعاع شمسي، وهذا التحول هو المصدر الوحيد للطاقة في الشمس، والمصدر الوحيد للطاقة في النجوم، والمصدر الوحيد للطاقة على الأرض أيضًا. نعم لقد أتت هذه الطاقة ولا تزال تأتي من الشمس مباشرة أو على نحو غير مباشر إلى الأرض، وما تراكمات الفحم إلا ضوء شمس مختزن، اختزن في النباتات في العصور الماضية. إن الغذاء الذي يُؤكل، والخشب أوالفحم أو النفط الذي يُحرق، والرياح التي تعصف، والأمواج التي تتلاطم، والمطر الذي يهطل مدرارًا قد نشأت جميعها من طاقة الشمس.

ليست الطاقة الذرية شيئًا جديدًا، أما الجديد فهو اكتشاف تقانة مختلفة لتوليدها. إنها تقانة تعتمد على ظواهر الانشطار الذري. ففي النجوم تندمج ذرات الهيدروجين الخفيفة مؤدية إلى ذرات أثقل كالهليوم. أما الذرات المتوسطة الوزن والمتوافرة في الطبيعة فهي أكثر ثباتًا لكنها أقل طاقة. كما أن هناك في الطبيعة ذرات ثقيلة جدًا وغير ثابتة تتهافت فتعطي ذرات متوسطة الوزن، وتحرر طاقة أيضًا. إن الشيء الجديد حول الطاقة الذرية المتحررة هو تمكن الإنسان من التحكم بها.

تتحرر طاقة النفط بالاحتراق البطيء كما هي الحال في الاحتراق في مصباح زيت الكاز(الكيروسين)، أو تتحرر بالاحتراق السريع كما في الانفجار الداخلي في أسطوانة السيارة. ويمكن في حالة انشطار الأورانيوم ترتيب الأمور بحيث تتحرر الطاقة فجأة أو تدريجيًا بمعدل يمكن من التحكم بها. فإذا ما تحررت على نحو فجائي خلال عدة أجزاء من المليون من الثانية. كنا أمام انفجار ذري (قنبلة ذرية) وإذا ما تحكم الإنسان بتحرر هذه الطاقة ببطء، خلال أدوار طويلة كنا أمام ما يدعى المفاعل النووي.

إن المفاعل النووي نبيطة يتم التحكم بها بحيث تحرر طاقة الأورانيوم وأمثاله ببطء، إذ تعتورها مشكلات رهيبة، ومن هذه المشكلات الإشعاع المنبعث من تهافت النوى إلى نوى غير ثابتة.

إن هذه الفعالية الإشعاعية المنطلقة من المفاعلات النووية (الإشعاعات الكهرطبية، أشعة غاما، أشعة بيتا) تكافئ من حيث الكيف ما يمكن الحصول عليه من الراديوم في المستشفيات. أما من حيث الكم فبدلاً من استخدام غرام من الراديوم، هناك أطنان من المواد المشعة. ويحفظ هذا الغرام في المستشفيات بمنتهى الحذرضمن صندوق كبير من الرصاص، ويتم تداول هذا الغرام بقفازات حافظة ومن خلف ستائر من زجاج الرصاص، ويتم حفظه باتخاذ جميع الاحتياطات، وليس لارتفاع ثمنه فقط، بل لأنه خطير جدًا.

فإن كان يتوجب حفظ هذا الغرام من الراديوم وتداوله بمنتهى الحذر فكيف إذا كان الأمر أمر تدبر أطنان من المواد المشعة!.

ستبقى الطاقة الذرية مشكلة تعني كل إنسان من حيث التطبيقات والاستخدامات الممكنة، إنها مشكلة توجب إنعام النظر فيها جيدًا.

من هذه التطبيقات استخدام المفاعلات النووية في إنتاج الكهرباء. إن الدول التي لجأت إلى ذلك جزئيًا تعدّ على أصابع اليد، وهي مع ذلك تعاني من مشكلات وليس من مشكلة واحدة.

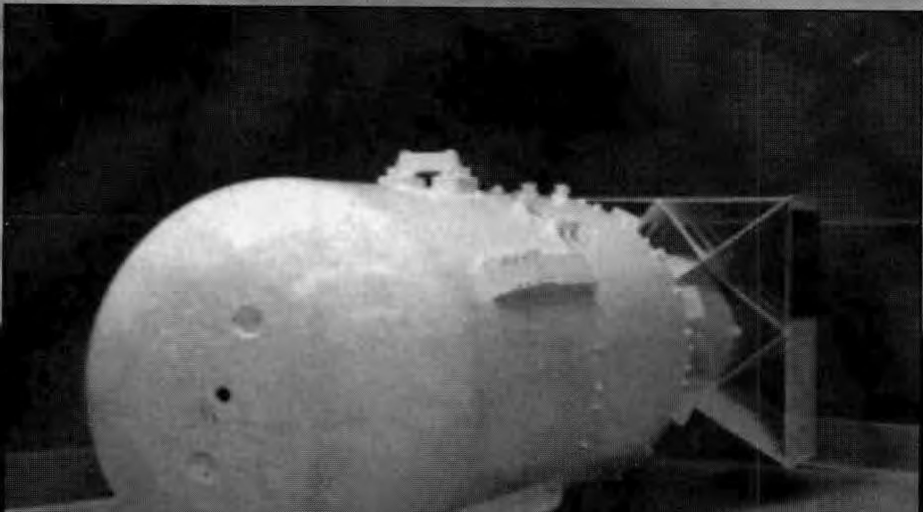
أولاً: إن التكاليف غير المرئية لاستخدام الطاقة الذرية في إنتاج الكهرباء تفوق وحدها كثيرًا ثمن الطاقة المتاحة من المصادر الطبيعية كالنفط والفحم والمياه.

ثانيًا: إن المفاعلات التي يدب فيها العطب ويصعب إصلاحها تدفن ومنشآتها، وتتحول إلى مقابر تحيط بها أسوار عالية، والمشكلة العويصة في قبر كهذا أن المدفون لا يزال ينبض بالحياة، إذ تستمر فيه العناصر المشعة بإصدار الإشعاعات، وتنتقل هذه الإشعاعات إلى الجو باستمرار، وكليًا في بعض الأحيان على الرغم من جميع الاحتياطات.

ثالثًا: التخلص من نفايات هذه المفاعلات، هذا التخلص الذي غدا مشكلة المشكلات. أين تدفن هذه النفايات، ومنْ يدفنها، ومن يقبل أن تكون أراضيه أومياهه مقبرة لها؟ إنها مشعة وتحمل الموت للجميع، للصغار والكبار، للإنسان والحيوان والنبات. لقد غدت سلعة تتعامل بها المافيات الدولية. تغوي الجهلة أو ضعاف النفوس الذين يستهينون بحياة شعوبهم فيدفنونها في أراضيهم أو مياههم مقابل أبخس الأثمان وإن علت.

إن من أكثر الإشعاعات المنبعثة أذية الإشعاع المشارد (المؤيّن) الذي يضرب النسج بفعل الدقائق المشحونة، إنه ذو تأثيرات حادة عاجلة وآجلة جسدية وماسخة وراثية.

ومن أنماط هذا الإشعاع المشارد الأمواج الكهروطيسية «الكهربائية المغناطيسية» العالية التواتر (التردد) القصيرة الطول نسبيًا كالأشعة غاما والأشعة السينية القادرة على التغلغل



«الولد الصغير» أول قنبلة سورانيوم ألقيت على مدينة هيروشيما في ٦ آب /أغسطس ١٩٤٥ م

بعمق في النسج، وعلى مشاردة (تأيين) الأنسجة على طول مساراته، أما الأفعال المتبادلة بين ذرات البنى النسيجية وجزئياتها فتؤدي إلى تحرير الإلكترونات وتشكيل شوارد (أيونات) وجذور فعالة تلحق الأذى بمكونات الخلايا، وتوقع الفوضى في الإجراءات (البيولوجية) أما النمط الآخرمن الإشعاع المشارد فهو ضرب من دقائق ما تحت ذرية أهمها دقائق ألفا والبروتونات والإلكترونات المشحونة كهربائيًا والنترونات غير المشحونة.

تتدخل هذه الإشعاعات في إنتاج الرنا RNA (الحمض الريبي النووي الوحيد الطاقة أو الجديلة)، واصطناع الدنا DNA (الحمض الريبي النووي المنقوص الأكسجين الثنائي الطاقة أوالجديلة) على المستوى الخلوي مفاقمة حالات ابيضاض الدم وأورام الدماغ وأورام أخرى وخاصة عند الأطفال.

يتواكب حدوث أغلب التعرضات الحادة أوالمتقطعة المفرطة للإشعاع المشارد مع التشخيص والمعالجة الإشعاعيين، أو مع تفجيرات الأسلحة النووية، أو مع حوادث نبائط الإشعاع والمفاعلات النووية، أو مع الاستخدام غيرالملائم للنويدات المشعة.

إن من أهم أنماط الإصابات الخلوية التي تلي التعرض للإشعاع المشارد هو الأذى الذي يلحق بالجهاز الوراثي لنواة الخلية نتيجة للتغيرات البنوية في الدنا والصبغيات.

من المعروف بأن الدنا DNA يتألف من طاقين (جديلتين) ملتفين لولبيًا على التوازي وكأنهما على جدار أسطوانة، ويتصلان فيما بينهما بأسس (قواعد)





الغواصة النووية الفرنسية لاتريل:
تطلق صواريخ في ثوان معدودة

عضوية، إن من أكثر تضررات الدنا بالإشعاع شيوعًا التضررات الناشئة عن انقطاعات الطاق الواحد وتغيرات الأساس (القاعدة). يتغير الدنا DNA، وتتغير الصبغيات، وتموت الخلايا، أو تتحرض أسس الدنا بالإشعاع مسببة تأثيرات طفرية جسدية، وتأثيرات ورمية آجلة في الخلايا المنسخة.

وقد تسبب الجرعات الكبيرة من الإشعاع موتًا مباشرًا للخلايا يعزى إلى التأذي الغشائي أوالتأذي الصبغي البنوي.

لقد استقرئ أغلب ما يعرف عن التأثيرات الآجلة لتعرض البشر للإشعاع المشارد من سلسلة من حوادث وأخطاء مرتكبة مؤسفة خلال ال ٧٥ سنة الماضية، ففي بواكر العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين عندما ابتلع نحو ألفين من عمال الأقراص المضيئة وأغلبهم من النساء الشابات في الولايات المتحدة - مقادير كبيرة من الراديوم ٢٢٦ بامتصاص ألسنتهم وشفاههم على نحو غير متعمد تطورت لدى العديدين منهم فيما بعد سرطانات الجيوب حول الأنف أو الأغران (الأورام الخبيثة الناشئة في النسيج الضام) العظمية.

وقد زُرق في ألمانيا في أواسط الأربعينيات عدد من الأولاد المصابين بسل العظام، وعديد من البالغين المصابين بالتهاب المفاصل الرثياني بالراديوم ٢٢٤. وبعد ما يراوح بين ٥، و١٠ سنوات تطورت لدى العديدين منهم أغران عظمية أيضًا.

وقد أعلن أطباء الأشعة رسميًا عن وفيات متزايدة من ابيضاض الدم والنقيوم (التورم النقوي) المضاعف خلال بواكير سني استخدام تجهيزات الأشعة الطبية. وقد استخدم أكسيد التوريوم في الثلاثينيات حتى بواكير الخمسينيات، فتطورت لدى العديدين أورام كبدية أو ابيضاض دم أو فقد دم ورمي فيما تلا ذلك من السنين. وقد أعلن رسميًا عن معدلات متزايدة من سرطان الدرق وابيضاض الدم عند أطفال عولجوا بالأشعة السينية في الأربعينيات والخمسينيات من أجل سعفة الرأس.

وتوسع التوتة المزعوم وقد أدت معالجة ما يزيد على ١٤٠٠٠ شخص مصاب بالتهاب الفقار الرثياني في إنجلترا وشمال إيرلندا إلى تزايد ابيضاض الدم وعدة أنماط أخرى من السرطان. ويعد الباقون على قيد الحياة بعد انفجار القنبلة الذرية في هيروشيما وناجاساكي عام ١٩٤٥م أكثر دلالة على حدوث لاحق لابيضاض الدم وأورام خبيثة في مواضع متعددة. وقد تبدي السّقط (الغبار الذري) الناتج من اختبارات الأسلحة في جزر مارشال عام ١٩٥٤م مسؤولاً عن عدد من حالات قصور الغدة الدرقية والعقيدات الدرقية الحميدة وسرطان الدرق. وقد تم تمييز حدوث مزيد من سرطان الرئة الإشعاعي الصناعي في منطقة سيليا بينسك SILIA BINSK في روسيا في الخمسينيات إلى ازدياد مفرط في ابيضاض الدم.

أما في شرنوبيل CHERNOBYL في أوكرانيا UKRAINE عام ١٩٨٦م فقد كان التقدير الأولي للإشعاع يراوح بين بليون و٦.٤ بليون كوري (١) وعزت أرض قرية روديا أوسوشينا RUDIA OSOSHKYA ومياهها التي تبعد ٦٠كم عن محطة الطاقة المشؤومة مشعة مما عجل بإجلاء قطعان الماشية إلى منطقة ملوثة أخرى. وقد وضّح ما بعد تشرنوبيل كم كان الفهم لتأثيرات الإشعاع على الصحة محدودًا.

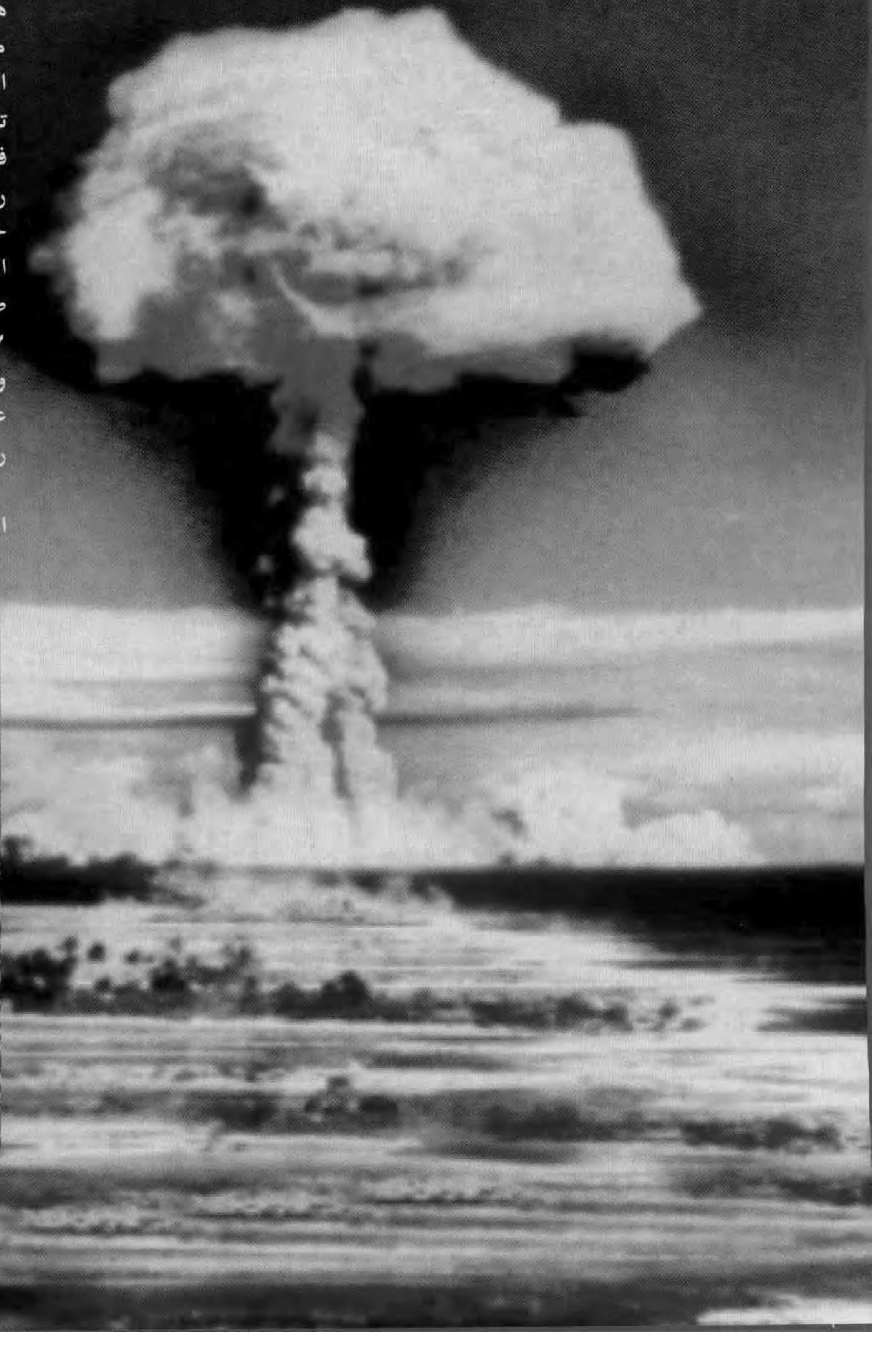


المفاعلات النووية تساهم مباشرة في التلوث بواسطة الفضلات النووية مثلما حصل في شرنوبيل

وما كان أحد من العشير الدولي العلمي محضرًا لمثل هذا الارتفاع غيرالعادي في سرطان الدرق بين الأولاد ممن كانوا عند الانفجار في الثانية عشرة من عمرهم أو دونها، إن سرطانًا كهذا نادر إلى حد بعيد، ويقدر وقوعه في هذا العمر بنحو حالة واحدة بين كل مليون شخص في السنة، وكان التقدير لبيلاروس BELARUS تسع حالات فقط في حين شهدت المنطقة في بواكير التسعينيات أكثر من سبعين حالة. وكان الشيء الوحيد القابل للموازنة بين حادث شرنوبيل وحادثي هيروشيما وناجازاكي من ضروب السرطانات المتعلقة بالإشعاع هو سرطان الدم أو ابيضاض الدم (اللوكيميا) عند الأطفال.

لقد أدت حوادث الإشعاع الحاد العديدة في العالم منذ عام ١٩٠١م، والانفجارات الذرية عام ١٩٤٥م في اليابان إلى تأثيرات حادة من التعرض المفرط إلى الإشعاع المشارد. لقد كان هناك ١١٠٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠ حالة موت بين المدنيين من انفجار القنبلتين اللتين ألقيتا على اليابان، ويعتقد أن ثلثهم تقريبًا ماتوا من التعرض للإشعاع، وجاء في سجل حوادث الإشعاع في أوك ريدج تنشي في الولايات المتحدة ٣٤٠ حادث إشعاع على نطاق عالمي بين الأعوام ١٩٤٤م - ١٩٩١م راح ضحيته ١٣٢٩٢٨ إنسانًا. وكان هناك ٣٠٣٧ تعرضًا ذا شأن، و١١٦ حالة وفاة (بما في ذلك ٣٢ في شرنوبيل عزيت إلى تأثيرات إشعاع حاد، أو إلى رضخ فيزيائي.

تحدث التأثيرات السريرية الحادة أو العاجلة خلال الدقائق القليلة الأولى إلى





الطاقة الذرية بين راحة الإنسان وشقائه!

نحو شهرين بعد التعرض إلى مقادير كبيرة من الإشعاع المشارد المسدد خلال دور زمني قصير، وهي تعزى إلى قتل الخلايا وتعطل الوظيفة الخلوية والالتهاب والخمج والنزف.

وتحدث التأثيرات المتوسطة بعد الأشهر القليلة الأولى وحتى بعد عدة سنوات من التعرض.

أما التأثيرات الآجلة فتتطور في أي وقت بعد السنوات القليلة الأولى التي تلي التعرض لإشعاع مشارد أو مزمن.

تتألف الظواهر المجموعية العاجلة للتعرض الحاد لمقادير مفرطة من الإشعاع المشارد من متلازمة الإشعاع الحاد، فالباقون على قيد الحياة من المتلازمة الكاملة يعانون أربع مراحل سريرية تقليدية تختلف على نحو بعيد في زمن الهجمة والوخامة والمدة، وتتناسب مع كيفية التعرض للإشعاع وكميته ومداه، ويتميز الطور الأبكر بالقَهَم (فقد الشهية إلى الطعام)، والغثيان والقيء، غير أنه يتضمن أيضًا إسهالاً وإلعابًا مفرطًا، ومغوصًا قيئية وتجفافًا. وهو يبدأ خلال دقائق إلى ساعات من التعرض، ويبقى من عدة ساعات إلى يوم أو يومين. وتلي هذا الطور عادة مرحلة ثانية لا أعراضية نسبيًا تستغرق ما بين عدة أيام وعدة أسابيع. وتبدأ المرحلة الثالثة عادة خلال الأسبوع الثاني إلى الخامس من التعرض مع هجمة مفاجئة لاضطرابات المسلك المعدي المعوي الوخيمة ومظاهر خمود نقي العظام.

إن الأشخاص الذين تعرضت أجسامهم إلى إشعاع من رتبة ٥٠ غرايًا (٢) أو يزيد يموتون حتمًا خلال ٤ إلى ٤٨ ساعة من الاختلاطات المتواكبة مع المتلازمة العصبية الوعائية. ويتميز ذلك بالهجمة السريعة والخمول والوسن والإعياء، وكثيرًا ما تتبع ذلك نوبات صرع تروح بين تقلصات عضلية واختلاجات وخيمة ورنح وموت. وكثيرًا ما يُؤدي الحدوث العاجل لمشكلات وخيمة في الجملة العصبية المركزية إلى مظاهر المتلازمة القلبية الوعائية المتميزة بنقص الضغط واللانظميات والصدمة العسيرة العلاج قبل حدوث الموت.

ومن التطورات التي قد تحدث في المصابين بالإشعاع قبل حدوث الموت تقرح المسلك المعوي والخمج والنزف الثانوي الناجم عن الضمور الخلوي المخاطي وخمود نقي العظام.

أما اضطرابات الجملة التوالدية فَحَدِّث ولا حرج، إنها عقابيل سريرية باكرة مهمة أخرى لتعرض كامل الجسم إلى إشعاع حاد محدثة قلة النطاف أو انعدامها عند الذكور، أو العقم المؤقت أو الدائم عند الإناث، والإصابة بالساد والتخلف العقلي عند الأطفال الذين تعرضوا إلى الإشعاع عندما كانوا أجنة في أرحام أمهاتهم.

لا ... لا ... لسنا مع المفاعلات النووية إننا مع أفران الفحم والنفط ومحركات الاحتراق الداخلي في السيارات.

وليبارك الله بالذهب الأسود.

الهوامش:

١- الكوري: واحدة النشاط الإشعاعي، وهي كمية أي نويدة مشعة تعاني ٣٧٠٠×١٠ تهافت في الثانية.

٢- غراي: Gray واحدة النظام الدولي للجرعات الممتصة، وتساوي الطاقة التي يعطيها الإشعاع المسبب للتشارد «التأين» في كتلة المادة والمكافئة لجول واحد في الكيلوغرام.



مثل هذا الأسطول.. أين تدفن نفاياته وبقاياه ؟



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

معيد النعم ومبيد النقم

تأليف تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي

أخلاقيات المهنة أو السلوك المهني مصطلح حديث نسبيًا يتداوله أصحاب المهن المختلفة؛ من أطباء ومحامين ومدرسين وعمال وغيرهم، كما يعنى به المشرفون على أصحاب هذه المهن، من نقابات عمالية ومهنية ووزارات العمل والعمال.

إلا أن اهتمام هذه الفئات بهذا المصطلح يكاد يكون نابعًا من الحس المهني والوظيفي فقط، أما نحن المسلمين، فكل أمر من أمور حياتنا الدنيا نربطه بالأصول الشرعية الدينية، حتى لو كان من أخص خصوصيات الحياة البشرية، فما من عمل نقوم بفعله إلا وله ضابط شرعي يجعلنا لا نتعداه إلى غيره، وإلا نكون قد تعدينا المباحات، ووقعنا في المحظورات.

وما ترك علماؤنا المتقدمون شيئًا من هذا القبيل إلا طرقوه وبحثوه، حتى يكاد يصدق عليهم قول القائل: «ما ترك الأول للآخر شيئًا». ومن الأمور التي طرقوها: موضوع بحثنا في هذا العدد من نوادر التصنيف، ألا وهو «أخلاقيات المهنة»، فهناك كتاب مفرد في هذا الباب، هو كتاب «معيد النعم ومبيد النقم». وهو من تأليف علم من أعلام المسلمين، ألا وهو تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي، المتوفى سنة ٧٧١هـ، وهو من بيت كبير في العلم، فأبوه تقي الدين السبكي كان من كبار علماء عصره، وكذلك إخوته وعدد كبير من أفراد أسرته، وقد كتب عنهم محمد الصادق حسين كتابه القيم «البيت السبكي». أما التاج السبكي صاحب هذا الكتاب، فقد نشأ نشأة علمية منذ الصغر، وولي عدة مناصب، من تدريس وقضاء وإفتاء وغير ذلك، وله عدد كبير من المؤلفات في الفقه وأصوله والأدب والتراجم وغيرها.

وكما قلنا سابقًا، فإن التاج السبكي يؤصل تأصيلاً شرعيًا لما نسميه أخلاقيات المهنة، حيث يربط صاحب المهنة بالله عز وجل، وينبه على أن يكون عمله خالصًا لوجه الله سبحانه، فيحصُلُ له بذلك خيرا الدنيا والآخرة. كما يؤكد رحمه الله على أمانة العامل في عمله، وأنه يحرم عليه الغش فيه، مهما كان ذلك العمل، فيجب أن يؤديه على أكمل وجه، وإذا استشعر العامل مراقبة الله له في عمله، فإنه يستغني بذلك عن مراقبة البشر والمسؤولين في المصنع أو المؤسسة أو الوزارة أو غيرها، إذ تتوفر فيه درجة الإحسان، وهي من أعلى درجات الإيمان، وكما عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وهو يرى أن المهنة التي يمتهنها الإنسان، عظمت هذه المهنة أو صغرت، ما هي إلا نعمة أنعم الله بها على العبد، ينبغي له المحافظة عليها، وأداؤها على أكمل وجه، لأن الإخلاص في العمل سبب لدوامه، وعكس ذلك يبيد النعم ويزيلها، وهذا مقصد المؤلف المباشر في هذا الكتاب.

والمؤلف رحمه الله يورد في كتابه هذا أصنافًا من أصحاب المهن، على مختلف مستوياتهم المهنية والوظيفية، وما ينبغي لكل واحد أن يتخلق به من (أخلاقيات المهنة)، ويبدأ بأعلى هذه المهن درجة وأجلها مرتبة، وهي مهنة الإمامة العظمى ومن يتولى أمور الرعية من خلفاء وسلاطين وولاة، فواجبهم العدل في الرعية، والعدل بينهم في القضية، وتجنيد الجنود لحماية الدولة، وإقامة حكم الشرع.

كما ذكر كاتب السر أو ما نسميه رئيس الديوان في عصرنا الحاضر، وذكر أنه ينبغي له أن يكتم أسرار الملك أو السلطان، وأن يكون أمينًا فيما يبلغه للسلطان أو عنه. ومثله النقباء عند الولاة، وهم الذين يُكلَّفون بإحضار من يطلبهم الوالي من أصحاب التهم، فينبغي على من يشغل هذه الوظيفة الرفق بمن يطلبه، وألا يرعبه أو أحدًا من أهله وأطفاله.

ومن أصحاب المهن: العلماء على شتى أصنافهم، ومنهم المؤرخون، فيقول السبكي: لابد أن يكون المؤرخ عالمًا، عدلاً، عارفًا بحال من يترجمه، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض منه.

ومهنة الطب لها أخلاقياتها الخاصة بها، فعلى الطبيب بذل النصح للمريض والرفق به، وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة، وعليه أن يكون متقنًا لمهنته غاية الإتقان، لأن تعلق النفوس بها، وألا يكون كذلك الطبيب الذي قال فيه الشاعر:

أفنى وأعمى ذا الطبيبُ بطبه
وبكحله الأحياءَ والبصراءَ
فإذا نظرت رأيت من عميانه
أممًا على أمواته قراءَ

وللعلم والتعلم أخلاقه كذلك، فالمدرس عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، ومعلم الصبيان ينبغي أن يكون صحيح العقيدة، فلقد نشأ صبيان كثيرون وعقيدتهم فاسدة، لأن فقيههم كان كذلك.

ومما يتعلق بالعلم: مهنة النسخ، فعلى الناسخ ألا يكتب شيئًا من الكتب المضلة، ككتب أهل البدع والأهواء، أو التي لا نفع فيها، كسيرة عنترة وغيرها من الموضوعات المختلفة، وكتب المجون، وعليه ألا يحذف من أثناء الكتاب الذي ينسخه شيئًا، فإن هذا غش صريح.

ومثل الناسخ: خازن الكتب، أو أمين المكتبة كما نسميه اليوم، فعليه الاحتفاظ بها وترميم شعثها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتاب على الأغنياء.

هذه نماذج مختصرة من المهن التي أوردها السبكي في كتابه هذا، والتي زادت على المئة، وكلها له أهميته.

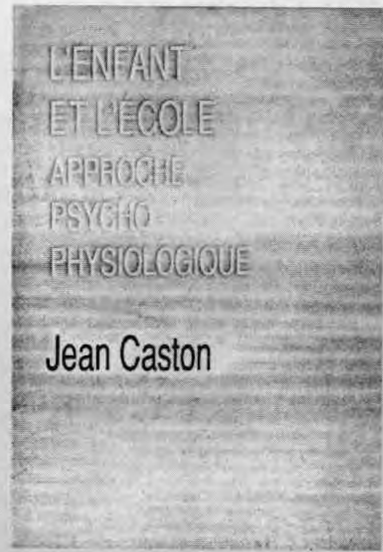
ولأهمية هذا الكتاب، فقد اعتنى به أهل العلم قديمًا وحديثًا، من عرب ومستشرقين، فقاموا على طبعه وتحقيقه، وكتبوا عنه عدة دراسات، وكان آخر طبعاته تلك المنشورة في مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٤١٤هـ باعتناء مجموعة من المحققين.

نافذة على ثقافة العالم

قراءة في كتاب

الطفل والمدرسة

مقاربة (فيزيولوجية نفسية)



تأليف:
أ. د. جان كاستون
ترجمة:
غصون عمار

مؤلف هذا الكتاب هو أ.د جان كاستون، أستاذ الفيزيولوجيا العصبية وعلم النفس الفيزيولوجي في جامعة روان الفرنسية، ومدير مختبر الفيزيولوجيا العصبية الحسية، ورئيس مجموعة بحوث حول آليات التعلم والذاكرة البيو عصبية.

يتحدث المؤلف في البداية عن التعلم الذي يصفه بأنه ظاهرة أشمل من أن يتيسّر لنا حصرها في تعريف محدد، لأننا نبقى طوال حياتنا في حالة تعلّم منذ الولادة، بل قبل ذلك، حتى الموت. وفي تعريفه له يقول: التعلم هو تغيير سلوكنا بشكل ثابت ومستمر نسبيًا، بتأثير الخبرة السابقة.

بعد ذلك ينتقل المؤلف للإجابة عن السؤال: ماذا نتعلم؟ فيقول: نتعلم التجاهل أولاً، فنحن نتعلم عدم الاستجابة إلا للتنبيهات التي تثير اهتمامنا، أي نتعلم الاعتياد على الاستجابة للتنبيهات التي ينتج عنها ثواب أو عقاب. إذن فالاعتياد هو تعلم، بل هو أبسط عمليات التعلم، لأنه نتيجة طبيعية للانتباه، ولكي يكون الطفل متنبهًا في المدرسة، يجب أن يعتاد على جميع التنبيهات غير المرتبطة بوضعه المدرسي، ونستطيع القول: إن سهْو الطفل المشتت هو على ارتباط بعيب في الاعتياد، في حين أن سهو التائه في أفكاره هو نتاج قدرة اعتيادية ممتازة. يتابع المؤلف: نحن نتعلم الإدراك أيضًا، أي نتعلم تمييز طبيعة المنبه، فأن نحس بالمنبِّه، يعني ذلك أن نستجيب له، ونستجيب له لأننا أدركناه، غير أننا قد نستجيب له دون أن نكون قد أدركناه، دون تمييز مسبق، عندئذٍ تكون استجابتنا منعكسية، إن ما يميِّز الحساسية الواعية من الحساسية غير الواعية لا يكمن في طبيعة المنبه، ولا في طبيعة المستقبلات الحسية المعنية، بل في المراكز العصبية الداخلة في تحليل الرسائل العصبية الناجمة عن تنبيه المستقبلات الحسية، ونحن لا ندرك المنبه إلا عند وصول الرسائل المتولدة عنه إلى الدماغ. ويتحدث المؤلف عن باحات الدماغ بالقول: يتكون كلٌّ من نصفي الكرة المخية من ثلاثة أنماط من الباحات: الباحات الحركية، التي تؤدي أذياتها إلى اضطرابات حركية. والباحات الحسية التي تتمخض أذياتها عن فقدان الحساسية، وبعض حالات

الهلوسة. والباحات الترابطية، التي تؤدي دوراً في الأحداث المعرفية المعقدة، كالإدراك والتعلم والذاكرة واللغة. وفي ختام الإجابة يقول: إننا نتعلم الإدراك، أي إن الإدراك ليس ظاهرة فطرية تأتينا مع الولادة، إنها تُربى، وتُطوّر، وفي مقارنة بين الإدراكات عند الطفل والراشد يقول المؤلف: إن أنماط السلوك الفطرية غير محددة وراثيًا بشكل تام بالضرورة، فالفطري هو ما يمكن أن يكون قائمًا منذ الولادة. وتشير أحدث الدراسات إلى أن ما هو فطري يمكن أن يكون مكتسبًا أيضًا، لكنه اكتساب يحدث قبل الولادة في الرحم، أيًا كان الأمر فإن الإدراكات لدى الوليد هي أقل تكوّنًا وتطوراً بكثير من إدراكات الطفل الأكبر سنًا والراشد، غير أن هذه الإدراكات ستزداد غنى وتنوعًا كلما ازدادت المنظومات الحسية نضجًا، ونضج هذه المنظومات بعد الولادة، هو نضج الدماغ أساسًا.

إن نضج الدماغ هو على علاقة وثيقة بخبرات الطفل الحسية والاجتماعية، أي بعمليات التعلم، وبذلك فإن الإدراك الراشدي هو نتيجة لعمليات التعلم المنجزة خلال الطفولة،لهذا يركز خبراء التربية على صعيد المدرسة، خصوصًا مرحلة الحضانة وبدايات المدرسة الابتدائية، على المعارف المتعددة التنبيه الحواسي في الوسط المحيط بالطفل، وقد نصح هؤلاء الخبراء بأن يرتكز تعليم الأطفال الذين يعانون من بعض صعوبات التعلم إلى الكلمات والحروف والأرقام المجسّمة، التي يستطيعون لمسها، وتفحصها وشمها، وتذوقها أيضًا، لأنها تؤدي دوراً معززًا لقدراتهم التمييزية والمعرفية، والإدراكية في تعلم القراءة.

وعن دور تنبيهات الوسط المحيط في نمو الطفل، يقول المؤلف: إذا كان الأطفال الذين لا يتعرضون لتنبيهات كافية في وسطهم، أو الذين يُربّون في بيئة ضعيفة التأثرات الاجتماعية، يتعرّضون لتأخر واضح في النموالحركي والذهني والعاطفي، فإن فرط التنبيهات Stimulations يتمخض بدوره عن نتائج مؤذية. ومن الصحيح القول: إن ثراء الوسط المحيط حسيًا واجتماعيًا، ينجم عنه تحسن مهم في مستوى التعلم والإدراك الذاكري والوظائف المعرفية عمومًا، ولكن عندما تكون التنبيهات الحسية والاجتماعية غنية للغاية وقوية أكثر مما يلزم كمًا أو نوعًا لا فرق، فإنها تؤدي إلى الكَرْب Stress الذي قد يصبح مزمنًا وهو ما يفضي إلى اضطرابات سلوكية وجسدية (فيزيولوجية) وسواها، كاضطراب النوم، والإرهاق الذهني والبدني، واختلاط عمليات التعلم والحفظ، والعدوانية.

وفي الفصل التالي، يقول المؤلف: يتمتع الطفل منذ ولادته بالعديد من ردود الفعل الحركية التي لا يشهد بعضها أي تطور لاحقًا، وهو ما يدل على أن آلياتها الفيزيولوجية العصبية العميقة موجودة وناضحة(كإغلاق العينين استجابة للضوء الشديد)، خلافًا لبعضها الآخر، الذي سيخضع لتطورات خلال الأشهر الأولى من الحياة، مثل (المنعكسات البدائية) التي هي في معظمها تلقائية، وتزول مع التقدم في السن. هذه التلقائيات الحركية المرتكزة إلى آليات فيزيولوجية عصبية، موجودة منذ الولادة، وستتطور مع تطور الدماغ، مما يهيئ الجسم لنشاطات أعقد، كما ستظهر نشاطات حركية أخرى خلال السنوات الأولى من الحياة ستمكّن الطفل من وضعية الجلوس، والوقوف، والمشي، والحركات الإرادية. إن اكتساب وضعيتي الجلوس والمشي ناجم عن تغيرات طرأت على النشاط العضلي المرتبط بالنضج العصبي. وكلما كبر الطفل، تنوعت وسائل تحركه. وإذا كان نضج الجهاز العصبي يمكّنه من النمو إغناء حركيته وتنويعها، فإن تطور هذه الحركية يؤثر بدوره في النضج العصبي. ذلك أن التنبيهات الحسية التي تتيحها وضعية الوقوف ثم المشي، تعمل علي إغناء العالم الحسي عند الطفل بصورة متنامية.

كما أن لاكتساب وضعيتي الوقوف والمشي نتائج في التأثرات الاجتماعية التي تؤدي دوراً مهمًا في التعلم. أخيرًا تتأثر هذه المكتسبات التي يحرزها الطفل مع النمو النفسي العاطفي، نظرًا للترابط الوثيق بين الحياة العاطفية والقدرة الحركية .

في الباب الرابع من الكتاب، يتحدث المؤلف عن العوامل المؤثرة في التعلم عند الطفل فيقول: إن الانتباه الموجّه نحو منبّه ما مرتبط بخاصيات هذا المنبه، وأيضًا بحالة الفرد المتلقي للمعلومة في الوقت نفسه. لنتصور تلميذًا يرى معلمه لأول مرة، سيهتم التلميذ أولاً بشخص المعلم، يراقبه، ويتفحصه، ويتأمل طريقة لباسه، وأسلوبه المتّبع في التعبير، ويحاول أن يعرف إن كان ودودًا أو عبوسًا، ثم يسعى لأن يثمن شخصيته، وأن يكوِّن صورة تخصه عن معلمه، وهكذا، فالمعلم يمثل منبهًا جديدًا، ومن هنا يستنفر انتباه الطفل، وبعد بضع ساعات يمضيها معه، لا يعود يركز انتباهه. إذن لا يعود المعلم يمثل منبهًا جديدًا ، وبذلك لن يستنفر انتباهه. ولكن، لنتصور أن هذا المعلم مهرج، وأنه يستطيع مباغتة التلاميذ برواية أشياء غريبة، وأن في تصرفاته ما يُضحك، حينذاك يبقى انتباه التلاميذ مركزًا حول شخص المعلم، إذ يتوقعون منه باستمرار فرصة للهو. لنتصور أيضًا أن المعلم شخص جديّ جدًا وليس مسليًا كثيراً، غير أنه يتحدث عن دور علماء البيئة البارز في المجتمعات الراهنة، بأسلوب جميل ومفعم بالتشويق للأطفال، هنا سيركز هؤلاء الأطفال انتباههم على ما يتحدث به المعلم، وليس على شخصه. وحول دور التشويق في التعلم يسأل المؤلف: ما الذي يدفع الكائن البشري إلى التصرف بهذه الطريقة أو تلك؟ ما الذي يدفعه إلى الأكل والشرب ، والمحبة، والعدوانية، والغضب والضحك، والبكاء،؟ يجيب المؤلف: إنها المنبهات الخارجية دون شك، ولكن أيضًا حالته الداخلية، الجوع والعطش والرغبة،

قراءة في كتاب

الطفل والمدرسة

مقاربة (فيزيولوجية نفسية)

ورداءة الطبع، وحسن المزاج، إذن فالتشويق هو نتيجة لعوامل عصبية واستقلابية وأخرى مصدرها الغدد الصماء. تؤدي التشويقات دورًا بالغ الأهمية على صعيد ظواهر الانتباه والتعلم والحفظ، وتحت عنوان (الانفعالات والكرب) يقول المؤلف: الانفعال هو مجمل ردود الفعل التي يطلقهاتنشيط ما قوي جدًا،في أوضاع خاصة، ويتجلى في مظاهر مختلفة مرئية وغير مرئية، وكثيرة هي الأوضاع المطلقة للانفعالات: الإثارات والتنبيهات القوية جدًا، والمفاجئة، والاستثارة الشديدة، (مثل التهيّب قبل الشروع بعمل يراه الشخص مهّمًا)، والإحباط، والصراع، (كأن يرغب الشخص في القيام بمسعيين متناقضيين في الوقت نفسه)، في الواقع، عند الانفعال على الشخص أن يتلاءم مع الشروط الموجود فيها، وحالما يتلاءم معها، أي حالما يعثر على مكان تحضير الاستجابة المناسبة، يفقد الوضع خاصيته الانفعالية، ومن المؤكد أن الوضع الانفعالي يميز بالعديد من ردود الأفعال: كهياج مشوش (غضب، فرح) ناتج عن تقلصات عضلية شديدة وعنيفة، أو سكون تام (خوف يجمد الفرد في مكانه)، أو تغيرات الإيقاع التنفسي أو احمرار الوجه أوشحوبه (بنتيجة توسع أو تضيّق الأوعية الدموية المحيطية)، أو الغثيان، أو الإسهال، أو تسارع النبض، أو تباطئه، أو ربما توقفه (الغَشْي)، غير أن ردود الأفعال هذه لا تظهر في كل سلوك انفعالي، كما أن بعض الناس هم أكثر انفعالاً من الآخرين، وحين وجودهم في وضع مثير للانفعال، تظهر لديهم ردود فعل عنيفة، ويوصف هؤلاء بأنهم ذوو طبيعة انفعالية، أو مزاج انفعالي، وذاك ناجم على الأرجح عن عوامل وراثية وبيئية، وقبل ولادية وبعد ولادية، إن من شأن التأثيرات الهرمونية التي يتعرض لها الشخص، وهو جنين، والإثارات والتنبيهات التي تعرض لهابعد ولادته، ضمن الأسرة والمدرسة، والمجتمع عمومًا، أن تجعل من الطفل كائنًا انفعاليًا أوغير انفعالي. ومن المرجح أن يصبح الطفل الذي نبالغ في احتضانه، ونفرط في حمايته، أي الذي نعلمه الخوف في الواقع، راشدًا يتميز بالخوف عندما تواجهه أوضاع جديدة أو غير مألوفة بالنسبة إليه، ومن المرجح بالمقابل أن يصبح الطفل الذي نعلمه السيطرة على انفعالاته راشدًا قليل الانفعال.. وتحت عنوان.. (كيف نتعلم)؟ يقول جان كاستون: هنالك العديد من العوامل التي يمكن أن تؤثر في الحفظ وهي على علاقة بالوسط المحيط بالشخص نفسه.

يقوي التكرار الحفظ، كما أن للمهلة بين مرات التكرار دورًا مهمًا في الحفظ. في الواقع يعززالتكرار حفظ التعلم القديم أكثر مما يعزز حفظ التعلم الحديث، أي أن نتعلم ونكرر هذا التعلم بعد بضع ساعات أو أيام تالية هو أكثر فاعلية من تكراره بعد بضع دقائق، مع ذلك توجد عوامل كثيرة مختلفة تخص الشخص نفسه، في وقت معين، تترك تأثيرًا بالغًا في الحفظ خلال التعلم، كالانتباه والتشويق، والتلوّن العاطفي؛ والتشويق يقوي التعلم والحفظ في آن معًا، وهو لا يجيء إلى الطفل مع الولادة، بل يظهر كلما كبر ونما، عبر العلاقات المتميزة التي يعقدها مع محيطه، هذا المحيط الذي يعتبر إطارًا مرجعيًا بالنسبة إليه، كالمدرسة والأصدقاء والأسرة، أما النسيان فهو على علاقة بعوامل تخص الفرد وأخرى تخص البيئة، إنه على علاقة بطبيعة النشاطات التي تدخل بين اكتساب المعلومة وترسيخ الأثر الذاكري وتمتينه، وبالنشاطات التي تظهر بعد الترسيخ أيضًا. وتتعلق القدرة على تذكر المعلومة أو عدم تذكرها المختزنة في الذاكرة جزئيًا على الأقل بالعوائق الاجتماعية والثقافية



والمحرمات والقوانين الأخلاقية التي تنظم سلوكنا وتصرفاتنا، وعن السؤال: هل يتعلم المُخّان الشيءَ نفسه؟ يقول المؤلف: في الواقع، لدينا مُخّان وليس مخًا واحدًا، أي نصف الكرة المخية الأيسر ونصف الكرة المخية الأيمن. وهذان المخان ليسا متكافئين على صعيد بنيتهما، ولا على مستوى وظيفتهما، إلا أنهما لا يعملان بشكل مستقل كلٌّ منهما عن الآخر، إذ إنهما يتبادلان باستمرارالمعلومات من خلال حزمة ضخمة من الألياف العصبية. إن نصفي كرة المخ كليهما قادران على التعلم، غير أنهما لا يتعلمان الشيء نفسه، وتلك هي حالة اللغة. تتجلى اللغة في مظهرين: المظهر اللفظي، والمظهر غير اللفظي، وسواء أكانت اللغة لفظية أم غير لفظية، فإنها تتطلب نشاطات حركية وأخرى حسية، إن سماع الكلمات ورؤيتها هما من النشاطات التعرّفية المختلفة



كثيرًا عن سماع الأشياء غير اللغوية ورؤيتها، من حيث إن لأصوات اللغة وكلماتها مدلولاً رمزيًا لا يتوافر في الأصوات والصور غير اللغوية. ويمكن القول، على نحو مبسط للغاية: إن المخ الأيسر هو مخ اللغة، بينما المخ الأيمن هو مخ التصور المكاني والموسيقي، لكن تصور الأمور بهذا الشكل هو اختزالي جدًا، إذ أظهرت التجارب أن المخ الأيمن يتدخل أيضًا في وظيفة اللغة، فهو يشارك في تمييز العَرُوض. أي في تمييز تنغيم الكلام وإيقاعه الموسيقي، وطابع الصوت؛ ويمكن للأذيات التي تصيب الجبهة المخية اليمنى أن تحدث اضطرابات في اللغة العرْضية والمفهومية (صيغة الجمل والتفسير والحكايات المسموعة كلها تتعرض للتلف). من جانب آخر إن الاضطرابات اللفظية هي طبعًا تلك التي تظهر للوسط المحيط قبل غيرها، فالطفل يتكلم قبل أن يتعلم الكتابة، وعندما لا يتكلم الطفل في السن التي يتوجب عليه التكلم فيها، إحصائيًا، وعند ظهوراضطرابات النطق لديه، وحين يصعب عليه نطق بعض الوحدات الصوتية، وتكرار بعض الكلمات، وتكون لديه صعوبات في فهم اللغة الشفهية، فإنه ليس من السهل دائمًا أن نعرف أكان الأمر متعلقًا بتأخر عادي، ذلك أن عمر الحياة المدنية لا يتطابق بالضرورة مع عمر النضج، أم أن هذه الشذوذات ناجمة عن خلل وظيفي أصاب وظيفة اللغة. يكمن السبب الأول للخرَس الطفلي (غياب التواصل اللفظي دون وجود أذية عضوية) في الصمم. إن الطفل الأصم بالولادة والذي لا يسمع بكلام البشر أبدًا، لا يستطيع التكلم إذا لم يخضع لتأهيل خاص، والسبب الآخر لهذا الخرس عند الطفل هو الانطواء على الذات الذي يعدّ خطيرًا؛ لأنه يمس الشخصية، وتتميز بالانكفاء على الذات، ورفض التواصل مع الآخرين، فضلاً عن ذلك يمكن أن يعاني الأطفال من صعوبات لفظية (عسر التلفظ) وفي طريقة الإلقاء، وهنا يمكن أن تكون الأسباب عضوية

أو وظيفية، وعند عدم وجود سبب عضوي ملموس لذلك، لا بد من البحث حينها عن الأسباب في الوسط الثقافي الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل، وفي تأثراته مع المحيط الأسري، وأحد أكثر الاضطرابات شيوعًا هنا هو التأتأة، الذي ما تزال أسبابه حتى اليوم موضع جدل، ويرى فيه بعض علماء الأحياء تأثيرًا وراثيًا.

أخيرًا، يجيب جان كاستون على سؤال: هل يؤثر التعلم في نمو الدماغ؟ بالقول:

يخضع الجهاز العصبي خلال نموه للتغير والتطور والتحول، ويتجلى ذلك على المستويين البنيوي والكيماوي الحيوي والنشاط الكهربائي أيضًا، ومن شأن هذه التغيرات أن تترك تأثيراتها في السلوك المرتبط في جزء كبير منه بعمل الجهاز العصبي، أي بالتأثر الذي يقوم بين مختلف منظومات الخلايا العصبية في وقت معين. إن جهازنا العصبي يحوي عشرات المليارات من الخلايا العصبية، وآلاف المليارات من التماسات المشبكية، وتشكل شبكات الخلايا العصبية هذه دارات معقدة للغاية، لكنها منظّمة تمامًا، ووظيفية ومتكيفة طبعًا بشكل كامل مع الوظائف المطلوبة منها، ويطلب تطور هذه الدارات وجود وسط ملائم، حسي وثقافي واجتماعي. إن لتنبيهات (إثارات) هذا الوسط، الثقافية الاجتماعية بشكل خاص دورًا بالغ الأهمية في نمو دماغ الطفل وفي تكُون مختلف جوانب سلوكه الحسي والحركي، والعاطفي، والفكري، ثم إن التأثير هنا ليس وحيد الاتجاه، إذ إن الطفل هو أيضًا يؤثر في بيئته الثقافية الاجتماعية.

ومنذ أن يبدأ بالثفثفة ثم بالكلام، ومنذ أن يحبو ويمشي يبدو مؤثرًا بمن يحيطون به الذين يغيرون، ويعدّلون، ويشذبون، هم أيضًا، سيرورة سلوكه باستمرار.

وهذا ما ينطبق أيضًا على المدرسة، حين يتأثر الطفل بأنداده ومعلميه. ومن خلال ذلك كله ينمو دماغ الطفل ويتطور.

خيال الظل

البذرة الأولى في الأدب المسرحي العربي

د. جلال عطاري

في العصر المملوكي الأول لون من ألوان الملاهي التي كانت تتلهى بها طبقة العامة في مصر والشام، أطلق عليه اسم خيال الظل.

وقد وصلنا من ذلك العصر ثلاثة نصوص من هذا الفن لكاتب واحد هو: شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي الكحال «ت: ٧١٠هـ».

فما هذا الفن؟ وما الموضوعات التي تناولتها هذه النصوص؟ وماالغاية التي ترمي إليها؟ وما خصائصها الفنية؟.. هذا ما ستتناوله هذه الدراسة.

خيال الظل نوع من الحكايات، تجري فيه الأحداث على هيئة حوار بين شخوص يمثلون أبطال الحكاية، وتعرض هذه الأحداث أمام جمهور من النظار بطريقة مناسبة لأسلوب ذلك الزمان، بحيث يجري تمثيل الأحداث خلف ستارة لا تظهر منها شخصية البطل إلا خيالاً أو ظلاً، ولذلك سميت «خيال الظل».

وقد نشر من هذا الفن ثلاثة نصوص أطلق عليها اسم تمثيليات أو بابات:

وهي على الترتيب: طيف الخيال، وعجيب وغريب، وبابة المتيم والضائع اليتيم (١). وسوف نلقي الضوء على موضوعات هذه البابات:

أما التمثيلية الأولى: أو «البابة الأولى» فهي بابة طيف الخيال، وقد بناها الكاتب على نقد بعض العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، حيث اتخذ من أمر السلطان بيبرس بإبطال عادة شرب الخمر والحشيش، أساسًا تدور حوله أحداث التمثيلية، فالكاتب ينتقد الطبقة الاجتماعية التي تتعامل مع هذه العادات، وهي طبقة المماليك أومن هم في مرتبتهم، ويكاد يفصح عن هدفه هذا حين يقرأ أحد شخصيات التمثيلية تقليدًا بتكليف أحد النصارى الولاية والإمارة. كما ينتقد أيضًا بعض العادات الاجتماعية الأخرى التي كانت شائعة مثل: اللواط والقمار وخروج النساء إلى الحمامات، وبعض العادات مثل دفن الموتى، بالإضافة إلى عمل الخاطبة في الزواج، ومايتسبب عن ذلك من مشكلات اجتماعية، حيث يجري تبديل الفتاة المتفق عليها، وذلك عندما تتم خطبة الأمير وصال بواسطة إحدى الخاطبات، إذ تصف له عروسًا جميلة، وعندما يدخل بها تتبين أنها على عكس ما وصفت الخاطبة تمامًا مما جعله يعزف عن الزواج، ويقرر الارتحال إلى الحجاز لغسل آثامه بماء زمزم وزيارة سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم(٢).

أما البابة الثانية فهي «بابة عجيب وغريب» وتقوم على تقديم نوع من عروض «السيرك» تختلف في أنواعها حسبما كان شائعًا في ذلك العصر، فيقدم كل صاحب صنعة منهم صنعته وعروضه أمام الجميع، وينهي كلمته بطلب من الجمهور للإقبال على عروضه وتقديم ما يجود به من أموال، وتنتهي البابة بنوع من التوبة والاستغفار(٣).

ومن هؤلاء أصحاب الصنائع الذين تقدمهم البابة: العشّاب والعطّار والحوّاء أو الحاوي والحلاّق والمنجم والمشعوذ والسبّاع «مُربِّي السباع» والفيّال «مربي الفيلة» و«أبو القطط» «مربي القطط» والكلبي «مُربي الكلاب» والقرّاد «مربي القردة» وغيرهم(٤).

وأما البابة الثالثة فهي «بابة المتيم والضائع اليتيم» وتحكي طرفًا من أحوال المحبين، وطرفًامن الغزل الذي هو السحر المبين، وطرفًا من الملاعيب، وطرفًا من المجون الذي ما عيب(٥)، كما عرض في هذه البابة بعض الممارسات الغزلية والجنسية الفاسقة، بالإضافة إلى أنواع المحرمات والملاهي، ثم يختمها بتوبة هذا الفاسق وموته(٦).

مما سبق يتضح لنا أن هذه التمثيليات الثلاث تنتهي بنهاية واحدة، إذ تختتم كلها بالتوبة والاستغفار، ويبدو لي أن غرض هذه التمثيليات الثلاث هو الوعظ، وأستطيع القول: إن الكاتب يرمي من خلالها إلى فكرة «التطهير» التي تحدث عنها أرسطو في «فن الشعر»، وجعلها هدفًا للرواية، فكاتبنا يعرض في كل بابة من هذه البابات الثلاث ممارسة خاطئة شاعت في ذلك الوقت، ويختمها

بتوبة هذا الفاسق ثم موته، وكأنه يريد أن يقول: إن الحياة مصيرها إلى الموت والفناء، فلمَ هذا الفسق؟ ولم كل هذا المجون؟ ولم كل هذا اللهو؟ ... أيها الإنسان إن مصيرك إلى الموت، أفق من نومك وتنبه من غفلتك قبل فوات الأوان، فهو يشبه الناس في فسقهم ولهوهم ومجونهم كأنهم في نوم وغفلة، وأن عليهم أن يتنبهوا، فختام البابة الأولى جاء على لسان «طيف الخيال» فهو يقول «أستغفر الله العظيم من هذه الخصال، وأعوذ بعفو الغفار ذي الجلال من تحمل الأوزار، والعمل بعمل أهل النار فالإنابة أجمل، ونحن نقول مالا نفعل:

كل حي إلى الممات يصير
ماله ساعة النزاع نصير
وزمان العمر الطويل إذا ما اخـ
تلف الليل والنهار قصير
أين عادٌ وتُبَّع وأولو الرّ
سِّ؟ وأين الألى؟ وأين نصير
والسعيد الذي يرى .طرق الرُّشـ
د بعين اليقين وهو بصير

كما تتكرر التوبة أيضًا في ختام هذه البابة على لسان «الأمير وصال» فيقول ياأخي طيف الخيال، ما بقي إلا الارتحال وقد عزمت على الحجاز، وخرجت بالحقيقة عن المجاز، وقصدت غسل هذه الآثام بماء زمزم والمقام، ونويت زيارة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام اجعلني نصب عينيك، وهذا فراق بيني وبينك (٧).

وفي ختام البابة الثانية، تأتي التوبة والاستغفار على لسان أحد شخوصها المدعو «عرنب» يقول: ولولا أن الإطالة داعية إلى الملالة لأطنب عبدكم وقال، ولا استعفى ولا استقال، فلذلك اختصر من الاعتدال واعتذر من الاختصار. «وينشد ويقول»:

إلهي أنت السميع القريب
وأنت إلى كل داع مجيب
وإني ومجدي وشأني وفني
غريب غريب غريب غريب(٨)

وأما البابة الثالثة، فتأتي التوبة والاستغفار على لسان المتيم، إذ يختمها بدعاء يظهر فيه التوبة، يقول: اللهم ياكثير الجود وملك الوجود والحوض المورود، يا ذا الرحمة الواسعة، والمغفرة الشاملة الواسعة، ظلمت نفسي وضللت في ظلمات حبي فاغفر لي، إنك علام الغيوب، وغفارالذنوب، فإليك نتضرع ونتوب، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله خالقي وعوني ورازقي، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الهادي، وشفيعي في معادي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، وأشهد أن الله هو الغفور الرحيم، وأن الله يبعث من في القبور(٩).

فكما نلاحظ، فإن ختام هذه البابة جاء ختامًا للبابات جميعًا، مما يؤيد ما ذهبت إليه.

هذا، وكان الكاتب أحيانًا يفصح عن هدفه قبل ختام البابة، حيث ترد التوبة أحيانًا أثناء الحوار، من ذلك ما جاء في البابة الأولى «فالأولى على ذوي الألباب ترك هذا الباب «يقصد العشق والمجون» والتوبة قبل النوبة، والاستغفار قبل نفاد المقدورات، والتستر من هذه القاذورات(١٠)

وهكذا على الرغم من أن هذه التمثيليات تكاد تزخر بألفاظ الفسق الفاضح مما دفع محققها إلى حذف أجزاء كبيرة منها، أشار إليها في مواضعها(١١)، على الرغم من ذلك فإن هدف الوعظ والإرشاد فيها جاء واضحًا صريحًا.

وهنا لابد من الإشارة إلى ذلك على الرغم من هذه الغاية النبيلة التي يسعى إليها الكاتب يسوغ له مثل هذا العرض الفاضح للممارسات الجنسية، والأفعال القبيحة، والتصريح بألفاظ الفسق المتهتك، فكاتبنا قد أحسن الهدف والغرض، ولكنه قد أساء الوسيلة والطريقة، ونحن لسنا معه في القول المعروف «إن الغاية تبرر الوسيلة»، بل إن الغاية الشريفة لابد أن تكون وسيلتها شريفة أيضًا.

أما أسلوب هذه التمثيليات أو البابات، فالملاحظ أن لغتها لم ترق إلى لغة الأدب العالي، بل استخدم كاتبها لغة قريبة من لغة العامة، حيث كثرت فيها الألفاظ العامية، بالإضافة إلى بعض الألفاظ الأعجمية. كما أننا نجد عدم الاهتمام الواضح بقواعد اللغة. ويبدو لي أن الكاتب كان على وعي بما يصنع، فقد اختار شخوص تمثيليته من عامة الشعب، فمن الضروري إذن أن يستخدم لغة مناسبة تتلاءم مع الشخصيات المختارة.

وختامًا أقول: لو قدر لهذا الفن الشعبي أن يتطورإلى أسلوب العرض المباشر، ولو تهيأ للغة هذا الفن أن ترقى إلى لغة الأدب في ذلك الوقت، لأمكننا القول: إن هذا العصر قد عرف فن المسرح بصورته التامة، أما والحالة هذه، فإننا نقول: إن هذا العصر قد عرف البذرة الأولى في الفن المسرحي بما يسمى اليوم: «فن التهريج » أو السيرك.

المراجع والحواشي:

١- خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، دراسة وتحقيق: إبراهيم حمادة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعةوالنشر،القاهرة ،١٩٦١م
٢- المصدر نفسه ص١٨٦
٣- المصدر نفسه ص٢٣١
٤- المصدرنفسه ص١٨٨- ٢٣١
٥- المصدر نفسه ٢٣٣
٦- المصدرنفسه ص٢٤٦
٧- المصدر نفسه ص١٨٦
٨- المصدر نفسه ٢٣١
٩ - المصدر نفسه ٢٤٦
١٠- المصدر نفسه ١٥٧
١١- انظرعلى سبيل المثال الصفحات: ١٥٦ ,١٥٧، ١٦١، ١٦٣، ١٧١ ١٧٣، ١٧٧.
- ابن دانيال: هو محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي الحكيم الفاضل الأريب شمس الدين.
قال عنه صلاح الدين الصفدي في « الوافي بالوفيات»: صاحب النظم الحلو والنثر العذب والطباع الداخلة والنكت الغريبة والنوادر العجيبة ، وضع كتاب « طيف الخيال » فأبدع طريقه وأغرب فيه فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة، وله أيضًا أرجوزة سماها « عقود النظام في من ولي مصر من الحكام » كان له دكان كحل داخل باب الفتوح». الوافي بالوفيات: ٥١/٣.

الشعراء يعترفون: بالحب والغيرة يكتبون الشعر!

د. عزة بدر

السيرة الشعرية التي يكتبها الشاعر عن تجربته الشعرية.. أهي نوع من السيرة الذاتية؟ أم هي لون من الاعترافات الشخصية أيضًا؟

... من حكايا الشعراء وأحاديثهم يمكننا أن نستنتج أن السيرة الشعرية هي نصف اعتراف فقط، فلماذا أنصاف الاعترافات من شعراء نود أن يعترفوا اعترافات كاملة لما يتميز به الشاعر من حس مرهف، وتجارب ثرة قد تعطي للسيرة الذاتية أو لأدب الاعتراف طعمًا آخر؟.

وهؤلاء اعترفوا...!

إن من أهم السير الشعرية التي كتبها الشعراء بأنفسهم في تاريخنا الأدبي المعاصر: سيرة الشاعر المصري صلاح عبدالصبور الشعرية، وقد كتبها تحت عنوان: «حياتي في الشعر»، كما كتب نزار قباني سيرته الشعرية، والآن كتب الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي سيرته الشعرية تحت عنوان: «قيثارة الذات» وعلى درب السير الشعرية والاعترافات الشعرية اعترف بعض شعراء المملكة العربية السعودية، فكانت من أبرز هذه الاعترافات سيرة الشاعر حسن عبدالله القرشي التي كتبها تحت عنوان: «تجربتي الشعرية»، والسيرة الشعرية لغازي القصيبي والتي كتبها تحت عنوان: «سيرة شعرية». بينما تفرقت اعترافات الشاعر محمد حسن عواد حول تجربته أو سيرته الشعرية في مقدمات دواوينه، فتحدث في مقدمة ديوانه «آماس وأطلاس» عن مفهومه للشعر، وفي مقدمة ديوانه الثاني «البراعم» عن تجربته الشعرية وموقفه من التجديد الشعري، أما في ديوانه الثالث فقد كتب في المقدمة عن الروح السائدة في شعره في فترة ما بين العشرين والثلاثين من عمره. فما ملامح هذه الاعترافات الشعرية؟ هل مسّت الذات الشاعرة لهؤلاء الأدباء مسًا رفيقًا أم تعمقت في سبر أغوار الذوات وكشفت حقًا عن أسرارها كما يقدمها لنا أدب الاعتراف؟ ولماذا لم تتحول هذه الاعترافات «حول السيرة الشعرية إلى اعترافات كاملة»؟

ويمكننا أن نجد إجابات عن هذه الأسئلة إذا فتشنا هذه السير الشعرية!، وإذا تحدثنا إلى أصحابها واستمعنا إلى أنصاف اعترافاتهم!

يقول غازي القصيبي: «إن فصل السيرة الشعرية عن السيرة الذاتية أمر بالغ الصعوبة ذلك أن الشعر لا يمثل سوى وجه واحد من شخصية الإنسان الشاعر، ولقد حاولت أن أتغلب على هذه الصعوبة بأن أورد في أماكن متفرقة من سيرتي الشعرية أجزاء من السيرة الذاتية لم يكن هناك بد من إيرادها.»

... ألست معي إذن أن السيرة الشعرية نصف اعتراف؟!

وعلى الرغم من ذلك يوقن الشعراء أن هذه السير الشعرية فصول لم تكتمل من

سيـرهم الذاتيـة، ومنـهم من اكـتفـى بهـذه الفـصـول، ومنهم من ينتظر! مـع الاعـتـراف الكامل بأن كـتابة السـيـرة الذاتية أمـر حيـوي ومـهـم، فيـقول غـازي القصـيبي في مقـدمتـه لسيـرته الشعرية: «أعـتقـد أنه لو لجأ كل أديب عربي إلى تحرير كتـاب عن حياته الأدبية لكان في ذلك ما يثري حركة التأليف والنقد».

بماذا اعترف الشعراء؟

ومن أهم الاعـترافات التي نـحصل عليـها من هذه السيـر الشـعـرية التي كـتبـهـا بعض الشـعراء نـحصل على اعـتـرافـات بخصـوص التجربة الشعرية وأسرارها، ولماذا كتبوا الشعر؟ وكيف كـانت البداية؟ ... ومـا أول قصـيـدة؟ وأول ذبذبة موسيقيـة، وأول كلمة اخـضرت على الشفاه؟.

فيعتـرف صلاح عبـد الصبـور فيـقـول: «ليست غـاية العمل الفني إلا الظفـر بالنفس»، فما كـتب صلاح عبدالصبور الشعر إلا ليظفر بنفسـه، وهو اعتـراف يفصله الشـاعر فيـقول: «إن أهم ما يميز ذات الفنان هو رغبتها العارمة في عـرض ذاتهـا على ذاتها، فـمـا يكاد الوارد (الخاطر الشعري) يجيء حتى تسارع الذات إلى التـأمل، إن كنزًا مـا ليـفتـح، وإن أرضًـا لتكتشف، ووديانا وجبـالاً لتنجلي أمام النظر، وإن حياة لتولد».

ويبلور صلاح عبدالصبور مراحل التجربة الشعـرية في ثلاث مـراحل: مـرحلة الوارد، وهي المرحلة التي يرد فـيـهـا إلى الذهن مطلع القصـيدة أو مقطع من مقـاطعها بغـير ترتيب في ألفاظ «مُـمَوْسَـقة»، وقد يفـتح هذا الوارد السبيل إلى كتابة قـصيدة! فإذا بدأت المرحلة الثـانية من حيـاة القـصـيدة، وهي القـصـيـدة كـفـعل والتي يطلق عليـهـا الشـاعـر مـرحلة «التكـوين والتـمكين» والتي ينـطلق فـيـهـا الشاعر إلى رحلة مضنية في طريق قلق حيث يجـهـد الشـاعـر نفـسه فـي كـتابته للقـصـيـدة ليعود بنفسه إلى الحال التي أوحت إليه الوارد الأول، فالشـاعر يحاول أن يتصيد هذا المنبع الذي حـصـل منـه على أول قطرة فـي رحلة



د. غازي القصيبي

مـضنية، والشـاعـر الموفق هو الذي يصل إلى هذا المنبع. أمـا المرحلة الثـالثـة فـهي مـرحلة العـودة: عودة الشـاعر إلى حـاله العادية قـبل ورود الوارد أو الخـاطر الشعـري إليـه!!، وهنا يبدأ الشاعر في محاكـمـة نفسه ومحاكـمة ما كتب!، فتتجلى عندئذ حـاسته النقدية حيث يعـيـد قـراءة قـصـيـدته!. تلـك هي رحلة القصيدة كما اعـترف بها شاعر أراد أن يظفر بنفـسـه، فـطالعنا بأسـرار كـتـابـة القـصـيـدة ورحلتـهـا في نفس الشـاعـر من لحظة ورودها إلى لحظة كتابتها.

القصيدة تختار لحظتها!

أمـا الشاعـر حسن عبدالله القـرشي فهـو يرى أن التجـربة غالبًا هي التي تخلق لحظتـها، وهي التي تحفز الشـاعـر على الاحتـشاد لهـا، وتأخـذ عليـه أقطار نفـسـه ومنافـذ حسـه فـلا يملك إلا أن يظل أسير رغبتها.

«أن أتحدث فقط»!

أما غـازي القصـيبي فهـو يعترف مـخلصًا بـأنه لـم يـكن فـي أي لحـظـة من الـلحظـات مـدفوعًـا في كتـابة القصيدة بهـدف يتجـاوز التـعبـيـر شـعـرًا عـمـا يحسه في لحظة كـتـابة القصيدة، بل يقول: «لم يكن هدفي من كتابة الشعـر أن أغيّـر نفسي أو أغيّر الآخـرين، كان هدفي الوحيد أن أتحدث شـعرًا، ولم أشعر في أي يوم من الأيام أنني أردت من كـتابة الشـعـر تحـقـيـق أي هدف يتـجـاوز الشـعــر ذاته»، ويستـشـهـد غازي القـصـيبي بما قاله الحطيئة:



ت. س. إليوت

«إنني عـبد من عـبيـد الشعـر!»، فيقـول: «وأنا بدوري تابع بسيط من أتباع الشعر».

... صـلاح عـبـدالصـبـور يكتب الشعـر ليظفر بنفسـه، وغازي القصـيبي يكتب الشعر من أجل الشعـر ذاته، وحسن عبـدالله القرشي أسـير رغـبة القـصـيـدة تجذبه ليكتبـهـا، فبـات يجاذبها، وقد علق الجناح!.

القصيدة.. أسرار!

وإذا كان للقصيدة أسرار، فأعظم أسرارها هو ذلك التكوين النفسي للشـاعر والذي يتأثر بما مر به من تجارب.

د. غازي القصيبي: أعترف أن شيئًا كالغيرة كان الدافع الرئيس المباشر لكتابة القصيدة الأولى

يعترف صلاح عبدالصبور في «حياتي في الشعر» بتأثير المنفلوطي وجبران خليل جبران وكتابتهما في نفسه الشاعرة، فلقد بلغ تأثره بهما إلى حد البكاء مع «ماجدولين»، وسلمى كرامة - إحدى شخصيات جبران - ويقول عبدالصبور: «حين أقول بكيت لا أتحدث بالمجاز، بل أعني أنني أجهشت بالبكاء في وحدتي، وحملت من الهموم ما ناءت به النفس».

ويعترف صلاح عبدالصبور أن تجربة الحب التي عرفها في سن السادسة عشرة قد أثرت في وجدانه فتألقت معها أول قصيدة حب، إلا أن الشاعر الصغير والذي وقف على الأطلال يومها ليقول:

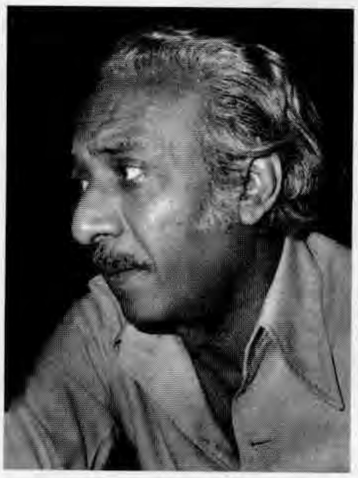
أطلال حبي عزائي لو رضيت به
فإننا في خداع الدهر سيّان

هذا الشاعر نفسه يعترف، ولكن عندما نضجت تجربته الشعرية: «أن الحب الذي نفث هذه القصيدة كان لونًا من عبث الطفولة، وأن كل ما فيها من صور الغرام! ما هو إلا وهم واهم، لم يحدث إلا في الخيال!»

ويبدو أن نفس هذا الحب الخيالي الواهم الذي حرك وجدان صلاح عبدالصبور في صباه هو نفسه الحب الذي استأثر بوجدان الشاعر حسن عبدالله القرشي، فيعترف بتأثير هذا الحب، وتلك المشاعر الموهومة في سيرته الشعرية، فيقول: «تنفس الحب في صدري باكرًا - الحب الأفلاطوني الصغير - كان حب ابنة الجيران، وكانت فتاة أكبر مني سنًا وعلى جانب كبير من الجمال، كانت أسرتها تسكن - بالإيجار - جانبًا من دارنا الكبيرة الموقوفة على والدتي، وبادلتني الفتاة هذا الحب إلا أنه لم يعمر طويلاً فقد اختصر عمره زواج الفتاة، وتألمت كثيرًا، ولكني سرعان ما شغفت بحب نظير له جديد».

الغيرة من أسباب الشعر!

أما غازي القصيبي فيكشف في سيرته الشعرية سرًا طريفًا، وهو أن الغيرة كانت دافعه الأول لكتابة الشعر أو القصيدة الأولى - إذا أردنا الدقة - فلقد كان صديقًا للشاعر المعروف عبدالرحمن محمد رفيع في أيام الدراسة ولا يزال - وفي المرحلة الثانوية كتب عبدالرحمن رفيع قصائد الشعر التي جعلته نجمًا في أوساط الطلبة والمعلمين حينذاك، مما حفز الشاعرية في نفس غازي القصيبي وفجّرها، فيعترف غازي القصيبي فيقول: «أعترف أن شيئًا كالغيرة كان الدافع الرئيس المباشر لكتابة القصيدة الأولى»



صلاح عبد الصبور



حسن عبدالله القرشي

ولكنه يستطرد وقد اشتدت عليه وطأة الاعتراف! فيقول: «ولعل مما يخفف صعوبة الاعتراف، وكل الاعتراف صعب، أن هذا الدافع المباشر لو لم يلتق بأرض خصبة، مهيَّأة لإنبات الشعر لتلاشى وابتلعته الرمال».

ويعترف القصيبي بأن القصيدة الأولى التي حملها إلى صديقه عبدالرحمن رفيع يعلق عليها كانت متأثرة إلى حد كبير بقصيدة حافظ إبراهيم الرائية والتي كانت جزءًا من مقرر المحفوظات!.

الثقافة الشعرية

وتتوالى اعترافات الشعراء، حتى ليمكننا أن نعرف سر التكوين الأول الوجداني والثقافي، فالثقافة الشعرية التي هي حصيلة قراءات الأديب تتكون ببطء وعلى مهل، ولكن الإفصاح عن مصادر هذه الثقافة يكشف أسرارًا مهمة من أسرار التكوين الشعري التي يمكن أن نتتبعها في إبداع الشعراء.

فيعترف حسن عبدالله القرشي أن اهتمامه بقراءة أشعار عنترة العبسي قد أثر في وجدانه الشعري، فيذكر أنه في المرحلة الابتدائية رأى في يد أحد أساتذة اللغة العربية كتابًا ضخمًا وهو «البيان والتبيين» للجاحظ، وكان يفتحه على أبيات لعنترة العبسي من معلقته، ويقول القرشي: لقد قرأت الأبيات اختلاسًا ورجوت الأستاذ أن يمليني إياها فاعتذر بأنها معقدة المعنى وصعبة على مداركي، وبعد أيام اشتريت هذا الكتاب الضخم وكان ثمنه ثلاثة ريالات! - وهو مبلغ كبير يشل موازنتي الشهرية من النقود - من يدري لعل عقدة رفض الأستاذ إملائي أبياتًا من قصيدة (عنترة) السبب الذي جعلني أتابع أشعاره وأخباره في احتفال، ثم يمر بي الزمن - بعد نضجي - فأدرس شخصيته لأقدم عنه دراسة منهجية مفصلة تنشرها إحدى دور النشر المعروفة في العالم العربي وهي دار المعارف بمصر».

... إلى هذه الدرجة تؤثر حوادث الطفولة في تكوين ثقافة الشاعر الأولى، وهذا ما يكشف عنه أيضًا غازي القصيبي في سيرته الشعرية، فيقول: «لقد بدأت قراءاتي الشعرية في حوالى الثانية عشرة بشاعرين مفضلين هما شوقي وحافظ، وأتصور الآن أن مرجع هذا الإعجاب هو تأثير الأساتذة المصريين الذين كانوا يدرسوننا اللغة العربية وآدابها بالإضافة إلى قطع المحفوظات الكثيرة التي تضمنتها المناهج لهذين الشاعرين» ولكن غازي القصيبي يعترف بأن لقاءه بالشاعر عمر أبو

الشعراء يعترفون:
بالحب والغيرة يكتبون الشعر!

ريشة كان نقطة تحول في مساره الشعري، فلقد بهرته قصائد أبي ريشة، فوجد نفسه أمام شعر جديد بطعم جديد ونكهة جديدة.

أما صلاح عبدالصبور فيعترف بأن قراءته وما سمعه من الأصدقاء كان يزلزل نفسه زلزالاً كبيرًا؛ فقد قدم إليه صديقه عبدالغفار مكاوي، الناقد المعروف، بعض قصائد إليوت ورلكة، وحدثه أحمد كمال زكي عن أشعار علي محمود طه، ولكن هذه الشذرات المتفرقة (قصيدة الأرض الخراب لإليوت، وما عرفه عن السريالية وغيرها) كانت أشد بعثًا للبلبلة من أي معرفة وثيقة، فصار يجرب ويكتب مقطوعات شعرية سريالية لم يكن يقرؤها إلا فاروق خورشيد ـ الناقد المعروف ـ إذ كان يتقدمه بصف دراسي!

ويعترف عبدالصبور بأن هذه المعارف الشذرات أو المتشظية من غير بؤرة أو دائرة في ذلك الوقت ـ التكوين الأول ـ قد جعلت سبيل الشعر صعبًا أمامه حتى لقد ظن أن لن يعود إليه ثانية!، فحاول كتابة القصة القصيرة مثل أصدقائه عبدالرحمن فهمي، وفاروق خورشيد، وعبدالغفار مكاوي وأحمد كمال زكي.

المرحلة الحرجة في حياة الشاعر!

وإذا كان ت.س إليوت يتحدث عن المرحلة الحرجة في حياة الشاعر، فيقول: «إن قليلاً من الشعراء هو الذي يستطيع أن يظل شاعرًا بعد الخامسة والعشرين!» ويراها إليوت فترة حرجة في حياة الشاعر، ورأى أن على الشاعر بعدها أن يبذل لونًا من التنظيم النفسي والوجداني يعينه على الاستمرار ومواصلة العطاء.

فهل تجف المصادر الذاتية في هذه السن فعلاً؟ وهل تخبو النار اللاهبة التي أنضجت الإنسان لكي تجعله شاعرًا؟

لقد تناول بعض الشعراء الذين كتبوا سيرهم الشعرية هذه المرحلة الحرجة من حياتهم، فتحدث صلاح عبدالصبور عمّا أسماه بخوف الفقد الذي يعاني منه الفنانون، وهو خوفهم من اضمحلال قواهم الإبداعية؛ فكثيرًا ما تعترض الفنان أوقات تطول أو تقصر يحس بنفسه خلالها عاجزًا عن الإبداع، فيقول صلاح عبدالصبور: «والشاعر عندئذ في حاجة إلى التحول عن النظر الداخلي إلى النظر الخارجي في الكون والحياة، والتجربة الشعرية عندئذ جديدة بألا تصبح تجربة شخصية عاشها الشاعر فحسب بحواسه ووجدانه، بل هي تمتد لتصبح تجربة عقلية أيضًا تشتمل على محاولةٍ لاتخاذ موقف من الكون والحياة».

أما غازي القصيبي فقد مر أيضًا بهذه المرحلة الحرجة، ولكنه مر بها عند بلوغه سن الأربعين حتى إنه يصف قصائد هذه الفترة (مرحلة الأربعين) بأنها تودع مرحلة وتستقبل مرحلة، قصائد تحن إلى براءة اختفت، قصائد مثقلة بمشاعر من الحزن تخفت حينا وتنفجر عالية حينا آخر.

يقول غازي القصيبي: «وجدت نفسي في نهاية الثلاثينيات ضحية شعور ملح بتسرب الشباب بكل ما يتضمنه هذا الشعور من حسرة على الماضي وخوف من المستقبل، بل إنني بدأت فجأة أتذوق أشعار البكاء على الشباب في تراثنا الشعري، وقد كان ابن الرومي في رأيي أعظم من بكى على الشباب، كما وجدت نفسي أكتب عن هذه التجربة الأربعينية حتى قبل الوصول إلى الأربعين ـ المرة تلو المرة حتى غدا الأمر موضع تعليق دائم من أصدقائي بل من القراء الذين لا يعرفونني ولا أعرفهم!».

ويعترف غازي القصيبي فيقول: إن هذا الحزن «الأربعيني» يتغلغل على نحو ما في كتابته للقصيدة، ويقول: «لن أستغرب لو وجد باحث في كل قصيدة من قصائد ديوان «الحمّى» ظلاً أربعينيًا لم يخطر ببالي الواعي يوم أن كانت القصيدة تختمر ثم تظهر إلى الوجود».

... كانت هذه بعض اعترافاتهم، بل أنصاف اعترافاتهم إذا عددنا أن السيرة الشعرية نصف اعتراف، لم يبلغ بعد مرتبة الاعتراف الكامل.

فتحدث الشعراء الذين كتبوا سيرهم الشعرية عن بداياتهم، عن ذبذبات الطفولة والصبا في نفوسهم وبالتالي في تجربتهم النفسية والشعورية، تحدثوا عن الحب والغيرة، واعترفوا ببعض أسرار القصيدة، ووقفوا عند المرحلة الحرجة في عمر الشاعر وعلاقتها بإبداعه، فمنهم من اعترف، ومنهم من ينتظر!

ولكن.. لماذا لا يكتبون الآن اعترافاتهم كاملة؟ لقد قطعوا أولى الخطوات على الطريق الصعبة. السيرة الشعرية بداية اعتراف.. نصف اعتراف نود لو يكتمل.

صلاح عبدالصبور كان يكتب الشعر ليظفر بنفسه، وغازي القصيبي يكتب الشعر من أجل الشعر ذاته، وحسن عبدالله القرشي أسير رغبة القصيدة تجذبه ليكتبها، فبات يجاذبها، وقد علق الجناح!.

دائرة المعارف

أهم مفهومات علم التربية

إعداد:
وفيق صفوت مختار

أ

اختبار التحصيل: Achievement Test

هو كل اختبار يستخدم وسيلةً لقياس الكفاية التحصيليّة لدى الطالب في موضوعاته المدرسية، ويسمى هذا الاختبار أيضًا: «اختبار الإنجاز» (Accomplishment)، إذ قد جرى وضعه من أجل استعماله لقياس مقدار التحصيل والإنجاز في حقل من الحقول نتيجة التعلم والخبرة.

الإدارة التعليمية: Educational Administration

هي المضطلعة بنجاح الأعمال الفنية في التربية والتعليم أو إخفاقها، وتسعى إلى بذل أقل جهد ووقت للوصول إلى الأغراض المستهدفة، والإدارة الناجحة هي التي تشجع فردية طاقات كل فرد يعمل فيها وانطلاقها، ومن وسائل الإدارة التعليمية:

جماعية القيادة، وتوزيع الاختصاصات والمسؤوليات حتى تتحقق اللامركزية في التعليم، والتعاون على أسس ديمقراطية، والنقد الذاتي للارتفاع بمسؤوليات الإدارة الوظيفية.

إرث اجتماعي: Social Heritage

يطلق هذا المفهوم على مجموع العادات والآراء وأنماط المعيشة بالإضافة إلى المؤسسات والمنظمات التي تؤلّف أساس الثقافة لدى جماعة من الناس أو مجتمع من المجتمعات تتوارثها الأجيال، وقد يعتريها شيء من التحوير والتعديل، مثلما تخضع للتطور وتتعرّض للانتقاء بفضل التفاعل والاحتكاك.

إنجاز «تحصيل»: Achievement

تطلق هذه اللفظة للدلالة على ما أحرزه الفرد وحصّله أثناء التعلّم والتدريب والاختبار في تفوّق أو مهارات أو معلومات. وتدلّ على الأداء في سلسلة موضوعة من الاختبارات التربويّة، وتكون نسبة الإنجاز أو التحصيل هي النسبة المئوية بين العمر التحصيلي والعمر الزمني للفرد الخاضع للاختبار.

ب

بيئة: Environment

البيئة، بمعنى الوسط أو المحيط، هي مفهوم عام يدلّ على الظروف والقوى كافة التي تؤثر في المرء عن طريق المنبهات. كما يطلق هذا اللفظ للدلالة على مجموعة الظواهر الحياتية (البيولوجية) والاجتماعية والطبيعية (الفيزيائية) التي تمارس تأثيرها من الخارج في الكائنات الحيّة. ويقال بيئة ريفية Rural Community، حيث لا يتجاوز عدد سكانها ٢٥٠٠ نسمة تقريبًا، وتعكس نمطًا من العلاقات الحياتيّة والاجتماعية يختلف عن حياة المدن والمراكز الصناعية. ويقال للبيئة إنها متخلفة Lagging Community، متى كان مجتمعها ينمّ عن التأخر بالنسبة لتأمين الفرص الكافية لأفراده، سواء أكان ذلك على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي أم في المجالات التربويّة والتثقيفيّة بشكل عام. فالبيئة المتخلّفة مثلاً، تعجز عن توفير أسباب التعليم الرسمي والضروري لأبنائها.

ت

تشريب (تلقين): Indoctrination

تطلق هذه التسمية على العمليّة التي بها يجرى تعليم الفرد فكرة أو مبدأ أو وجهة نظر. والتشريب يكون للعقيدة والمبادئ والمذاهب التي يتمّ تلقينها للشخص أو الجماعة.

تطعيم ثقافي: Acculturation

هو اكتساب ثقافة ما عن طريق الاحتكاك والتفاعل. وهي ظاهرة تنشأ في المجتمع بفعل الصدام بين ثقافتين أو حضارتين، وتبرز غالبًا في البلدان الواقعة تحت نير الاستعمار، حيث تميل الثقافة الواسعة والقوية من الوجهة التقنية إلى إزاحة الثقافة الوطنية وإضعافها، لكنها تخفق في الحلول محلها تمامًا.

التقبّل: Receptivity

استعداد الفرد لتقبّل الأشياء والآراء والمعارف والمعلومات والتجاوب معها وإفساح المجال أمام تفاعلها مع خبراته وآرائه. والقابليّة مرادفة للاستعداد بمعنى Aptitude، وللدلالة على مقدرة نظريّة لدى الإنسان تؤهّله لاكتساب مهارة معيّنة، أو للبراعة في حقل من الحقول.

التقويم: Evaluation

هو، في مجال التربية وحقل الاختبارات، تحديد للتقدّم الذي أحرزه الطلاب نحو تحقيق أهداف التدريس، أي إنه إجابة عن السؤال التالي: «ما مدى إتقان الطلاب للأشياء التي يفترض أنهم تعلّموها؟». والتقويم ينطلق من تعريف واضح ومحدّد للأهداف التدريسية، ويشمل الإنجاز والتحصيل ودرجة الإتقان والتمكّن.

ث

الثواب (مكافأة): Reward

المكافأة هي حالة من التجربة السارّة التي يسفر عنها نمط معين من السلوك يصدر بفعل عوامل خارجية أو داخلية. ومن شأن هذه الحالة أن تكون عامل تشجيع على معاودة النمط السلوكيّ الذي أدّى إلى بعث الرضا والسرور في نفس الفرد. وقد يجرى اعتماد المكافأة كلّما نجح الشخص في إعطاء الإجابة الصحيحة بغية تشجيعه على المضيّ في الجدّ والنجاح.

ج

جمع التقديرات: Summated Ratings

كناية عن تلخيص يدوّن نتائج التقديرات ويحوي جميع مقاييس التقدير المطبّقة على الطالب. وهو سجلّ يشمل جميع التقديرات مُعبّراً عنها بالأعداد، يحتفظ به المعلّم لإجراء المقابلة بين المقاييس وملاحظة التقدّم الذي أحرزه الطالب في كل جانب من جوانب أدائه على حدة.

ح

الحاصل: Quotient

هو خارج القسمة أو نتيجتها في الحساب والرياضيات، واصطلاح مستخدم في التربية وأساليب القياس والاختبار بوصفه وسيلة للتعبير عن مستوى الذكاء أو الإنتاج أو التحصيل العلمي.

خ

الخطأ المتغاير: Variable Error

خطأ يدلّ على وقوع انحراف في القياس أو في الأرقام المستخرجة، وعلى ابتعاد عن القيمة الحقيقية للقياسات والأرقام. ينشأ من جرّاء عوامل عرضيّة تحدث تأثيرها في القياس أو الرقم على درجات مختلفة ومتباينة.

الخيبة: Frustration

هي إعاقة سير الكائن الحيّ صوب هدف، وعرقلة مسعاه نحو غاية، سواء كان السعي واعيًا أم غير واع.

د

الدقّة المطلقة: Absolute Accurcy

تقوم هذه الدقّة متى حصلت موافقة أو مطابقة تامّة بين مقدارين: المقدار المسلّم بصفته قيمة فعليّة، والمقدار الخاضع لعمليّة القياس؛ فلا يبقى ثمة مجال للخطأ أو الانحراف، بل يحصل الاتّفاق والتطابق الكاملان.

ذ

ذاكرة أو تذكر: Memory/Recall

الذاكرة بمعناها المجرّد والأعمّ هي تلك الميزة التي تتحلّى بها الكائنات الحيّة، وبفضلها تخلّف التجارب التي يعيشها الأحياء آثاراً تؤدي إلى تعديل الخبرة والسلوك في المستقبل؛ فالكائنات لها تاريخ بفضل الذاكرة والتذكر، وهذا التاريخ مسجّل داخل الذوات. والتذكر هو الصفة الكامنة وراء كل تعلّم، حيث يؤلف الحفظ طابعه الجوهريّ.

الذهن: Intellect

تطلق لفظة Intellect على العقل من حيث الإدراك والمعرفة، ولاسيّما في معرض الإشارة إلى عمليات التفكير العليا، مثل التصور والمقارنة والتجريد والاستدلال المنطقي. فالذهن هو مدار العمليات التصوريّة والعقليّة.

ر

روح معنويّة: Morale

لفظة تطلق على الفرد أو الجماعة للدلالة على وجود حالة معيّنة بالنسبة للضبط الذاتي والثقة بالنفس والعمل المنضبط، وتنطوي القوة المعنويّة على الشجاعة والثبات والإيمان بوجه الصعوبات والمحن: فالمعنويات إمّا أن تكون عالية ومرتفعة أو منهارة ومتدهورة.

ز

الزعامة: Leadership

هي استعداد وقدرة على توجيه الآخرين وإرشادهم وتسلّم مقاليد أمورهم. والزعامة قدوة للآخرين، ودور يؤدّيه الفرد أو مجموعة من الأفراد أحيانًا (القيادة الجماعيّة) للتعبير عن رغبات الجماعة وعن أهدافها. ويشترط في ذلك أن تقابل الجماعة بالاعتراف من جانبها، وأن تعدّ الزعيم أو القائد ناطقًا باسمها.

س

السن التربوية: Educational Age

تماثُلٌ للمستوى التربوي أو مستوى التحصيل المدرسي الذي يحرزه الفرد العادي في أي عمر زمني معطى، بالنسبة إلى متوسط تحصيل أقرانه في السن نفسها. يجري تحديد هذه السن بوساطة الاختبارات التربويّة المقنّنة.

ش

شخصيّة: Personality

لفظة مشتقّة من كلمة لاتينيّة تعني القناع Persona أو الوجه المستعار الذي يتلبسه الممثل. والشخصية مجموع خصائص الفرد، الجسميّة والعاطفيّة والعقليّة، التي تمثل حياة صاحبها وتعكس نمط سلوكه المتكيف مع البيئة. ومعناها الأشمل هو التنظيم المتسق والدينامي لصفات الفرد الجسميّة والعقلية والأخلاقية والاجتماعية، حسب تجلّيها للآخرين في مجال الأخذ والعطاء داخل الحياة الاجتماعية.

شعور التفوّق Superiority Feeling

ضرب من الغرور والمبالغة في تقدير الذات وتقويمها. يتبدىّ لدى المرء في كثير من الأحيان مثل ردّ فعل أو وسيلة دفاعية ضد وجود شعور بالنقص، فيكون محاولةً للتعويض عن ذلك.

ض

الضجر Boredom

حالة يسودها تشتّت الانتباه وشروده وإعاقة الكفاية في العمل والدراسة والإنتاج. تتنكّر في زي التعب والإنهاك، لكنها تنجم عن رتابة العمل وطابعه الآلي الذي لا يعرف التنوع. تتجلّى هذه الحالة المضطربة في السأم والملل من الاستمرار على وتيرة واحدة والنسج على منوال واحد.

ط

الطريقة العلمية Scientific Method

أسلوب له منهجية خاصة في بلوغ المعرفة أو التحقّق من صحّة القضايا. ينطوي على هذه الخطوات:

١ـ طرح المشكلة أو إدراك الوضعيّة المعيّنة.

أهم مفهومات علم التربية

٢- تقديم حلّ افتراضي.

٣- استخراج المعلومات المتّصلة بالمشكلة المطروحة وتدوينها.

٤- إطلاق التعميم في ضوء تلك المعلومات المتوافرة.

٥- إخضاع الفرضية لامتحان في ضوء المعلومات، والتحقق من انطباقها على الواقع وانطباق التعميم على الوقائع الجديدة.

طريقة الاستعادة Reproduction Method

طريقة لاختبار المواد المُتعلّمة وامتحانها، بالنسبة إلى مدى حفظها والدقّة في استعادتها واستخراجها من الذاكرة.

طريقة المحاضرة Lecture Method

إحدى طرائق التدريس المستخدمة على المستوى الجامعي غالبًا، حيث يقوم المحاضر بإلقاء المحاضرات على الطّلاب في موضوع أو حقل معيّن، ويقتصر دور الطالب على الإصغاء وتدوين الملاحظات. قد يلجأ المحاضر إلى الوسائل السمعية البصرية وإلى الرسوم واللوحات البيانيّة على سبيل التيسير والتشويق وتقريب المادة إلى الأفهام.

طريقة المشروع Project Method

أسلوب تربوي من وضع «كلباتريك Kil-patrick» «تلميذ جون ديوي Deweyâ» يسعى نحو تنظيم العمل المدرسي حول مشاريع محدّدة يقوم بتنفيذها الطلاب جماعات أو فئات. وينطوي المشروع على مشكلات ينبغي حلّها، ويتضمن وحدات علميّة مستمدّة من مجال الحياة العادية. ويمكن استخدام النشاطات العمليّة لهذا الغرض، بحيث يجري تنفيذها في البيئة.

طريقة المشكلة Problem Method

من الطرق المستعملة في حقل التدريس والهادفة إلى شحْذ القريحة وتشغيل الذهن، قوامها مجابهة المتعلّم بمشكلات تنطوي على الصعوبة وتحتاج في حلّها إلى قدر وافر من التفكير. وقد تؤدي هذه الطريقة إلى حل مشكلة كبرى بوساطة التجزئة، أو من خلال تقديم الحلول لعدد من المشكلات الصغرى ذات الصلة الوثيقة بالمشكلة المطروحة للحلّ.

طريقة المناقشة Discussion Method

أو أسلوب المداولة وتبادل الرأي بالنسبة لموضوع أو مسألة معيّنة. والغرض من إجراء المناقشة بعد طرح المشكلة هو أن يتوصل المشتركون في النقاش والبحث إلى ضرب من الإجماع في الآراء، أو إلى قرار ونتيجة بشأن الموضوع.

الطريقة الموضوعية Objective Method

قوامها استعمال البيّنات الثابتة التي تمتاز بالدّقة والتجرّد عن الهوى والآراء الخاصة، والابتعاد عن كل تفسير أواجتهاد شخصي أو ذاتي في مجالات البحث والدرس والتعليم. تركّز على الموضوع، وتحاول عزل الذات عن معطيات قائمة بحيث يكون النظر إلى الشيء في حدّ ذاته ومن زاوية معطياته الدقيقة التي لا تشوّشها العنديّات.

الطريقة النظرية Theoretical Approach

انتهاج الأسلوب التجريدي في النظر إلى القضايا وفحص المسائل، وذلك باعتماد المبادئ والتعريفات العامة، ثم الانطلاق منها إلى تفسير الأمور وتعليل القضايا من زاوية المبادئ والتعريفات التجريديّة، وعلى الصعيد النظري الخالص.

ظ

ظاهرة Phenomenon

هي معطاة أو بيّنة ممكنة، أو مجموعة معطيات وبيّنات توجد في الخبرة عند أي لحظة معيّنة.

ويقال ظواهر عقلية Mental Phenomena وهي كل ظاهرة تميّز الحياة العقلية وتكون وقفًا عليها وحدها، وتختلف عن الظواهر النفسيّة Psychieal، على كونها معادلة عمومًا، من حيث تشديد الثانية بنوع خاص على العمليّات غير الحسيّة Non-sensory.

ع

العلامة الخام Raw Score

كناية عن عدد الإجابات الصحيحة التي يرصدها المصحح في ورقة الامتحان، أي إن هذه العلامة تقابل مجموع الإجابات الصحيحة. وبالنسبة إلى الامتحان الإنشائي، فالعلامة الخام هي عدد النقاط التي يمنحها المصحح ويضعها عادة في الجانب الأعلى من كل ورقة.

علم التربية «بيداغوجيا» Education (Ped-agogy)

٥بيداغوجيا» اصطلاح يوناني يقابله «علم التربية» اليوم. ويدل على ممارسة مهنة التعليم وأصولها من حيث هي فن يرمي إلى مساعدة الأطفال والمراهقين والبالغين على تكوين الشخصية وتنميتها. والتربية عملية اجتماعية، تختلف من مجتمع إلى آخر حسب طبيعة المجتمع والقوى الثقافية المؤثرة فيه، وللتربية عدة مفهومات تقوم عليها هي:

المفهوم الأول: التربية إعداد العقل السليم في الجسم السليم. Sound mind in a sound body.

المفهوم الثاني: التربية عملية حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل Tranamission of culture

المفهوم الثالث: التربية عملية ترمي إلى تكيّف الفرد مع المجتمع Adjustement of the in-dividual to society.

المفهوم الرابع: التربية استغلال الذكاء الإنساني Utilization of human intelligence.

المفهوم الخامس: التربية عملية استثمار (أي عملية اقتصادية) Education is investement (Economic of Education).

المفهوم السادس: التربية هي الخبرة التي تؤدي إلى مزيد من كسب الخبرة Experience that leads to more experience.

المفهوم السابع: التربية تنمية لشخصية التكامل والموازنة Integreted and Balanced Per-sonality Development.

علم النفس التربوي Education Psy-chology

فرع من فروع علم النفس التطبيقي، يُعنى بمسألة تطبيق المبادئ والمكتشفات النفسية (السيكولوجيّة) على حقل التربية والتعليم، بالإضافة إلى الدراسة النفسية (السيكولوجية) لمشكلات التربية ومعضلاتها على صعيد البيت والمدرسة.

العيِّنة Sample

هي أخذ عدد محدود من الأفراد يجرى اختيارهم بصورة عشوائيّة عادة من جماعة أو مجموعة كبيرة بقصد الاختبار والمعالجة الإحصائية.

وهناك أيضًا «عيّنة متحيّزة» Biased Sample وهي العينة التي تقصّر عن تمثيل الجماعة التي جرى اختيارها من بين أفرادها تمثيلاً صحيحًا؛ فالتحيّز يحول دون تعميم الأحكام. وهناك أيضًا «عينة ممثّلة» Representative Sample وهي تعكس ميزات الجماعة التي تمّ اختيارها منها. «أما العينة

الكافيـة» Adequate sample فهي التي تنطوي على حجم كبير نسبيًا بصورة تكفل مراعاة الدقة اللازمة وتؤدي إلى استنتاج قابل للتعميم مثلما تحول دون الوقوع في أخطاء تقديرية فادحة. وهناك أيضًا «عينة موثوقة» Reliable sample وهي التي يمكن الركون إليها بعد أن تمّ اختيارها بطريقة تضعها في مصاف العيّنات الأخرى من حيث التماثل في الميزات، وتمثيل المجموعة الأم تمثيلاً تامًا لا يترك مجالاً للخطأ، ويقلّل من احتمالات الانحراف أو التحيّز لجانب دون الآخر.

غ

الغباوة Feeblemindedness

الغباوة هي ضعف العقل، والغبي هو شخص لا تتجاوز سنّه العقلية عند البلوغ ٨ سنوات ونصف السنة، أما نسبة ذكائه فإنّها تراوح بين ٥٠ و٦٩.

غسل الدماغ Brain Washing

صيغة شديدة الحدّة من تلقين الدعاية في ظل ظروف يجري تعريض المرء خلالها لأوضاع وحالات مُجهدة للغاية بحيث يتقبّل الآراء أو يتبنى المواقف الجاهزة تحت وطأة الإنهاك والإجهاد، بدلاً من قبولها عن طريق الإقناع الواعي في ظلّ أحوال عاديّة وطبيعيّة.

والغاية منه: حمل الناس على تغيير مواقفهم وسلوكهم، وتوجيهها في اتجاه مغاير.

ف

الفرديّة Individualism

نزعة تتبدّى لدى الفرد فيبادر إلى اتّباع أهوائه ورغباته ومسايرة ميوله، وإلى مخالفة الآخرين أو الافتراق عنهم في مناهجه.

وتستخدم الفردية أحيانًا مرادفةً للشخصية Personality. بينما يشير التفرّد إلى بروز نمط سلوكي مميّز لدى المرء، يشذ عن قاعدة السلوك العام ويختلف عن الخطّ الجماعي السائد.

فرط التعلّم Over - Learning

هو التعلّم الذي تجاوز فيه التكرار أو تقدّمت الممارسة إلى ما وراء النقطة اللازمة للاحتفاظ أو الاستعادة المطلوبة. غير أن مثل هذا التعلّم المفرط قد يكون ضروريًا بالنظر إلى العوامل التي يحتمل أنها تؤثر في الحفظ والتذكر، والتي لابدّ من دخولها في وقت لاحق وصدورها عن الظروف المحيطة بالحالة المعنيّة.

الفعاليّة Activity

تطلق على كل عمل أو وضع من أوضاع التعلّم يبادر إليه المرء ويمارسه مدفوعًا بالرغبة والاهتمام، بغية الوصول من وراء ذلك إلى هدف منشود أو غاية مرجوّة. والاهتمام بالفعاليات يستغني عن طرق التدريس التقليدية.

فعاليّة تلقائيّة Spontaneous Activity

النشاط القائم على المبادرة الذاتية من جانب الفرد أو الطالب، بعكس النشاط الذي ينجم عن عوامل ومنبّهات خارجية. والفعالية التلقائية تصدر عن تنبيه داخلي من تلقاء ذات المرء.

الفعالية القصديّة Purposeful Activity

أو النشاط القصدي، للدلالة على ذلك النوع من العمل الهادف إلى بلوغ نتيجة مدروسة بحيث يمكنها أن تقوم بدور الحافز على النشاط والباعث على تأدية العمل. وينبغي تحديد الهدف ورسم خطّة لتحقيقه، ثم المثابرة على وضع الخطة موضع التنفيذ.

ق

قانون الجدّة Law of Recency

أحد القوانين الشائعة في حقل التعلّم، ومفاده أن المرء يتذكّر الأشياء والموضوعات التي تعلّمها حديثًا على نحو أسهل وبطريقة أشد فعالية من تذكر سواها، بشرط أن تكون العوامل الأخرى متساوية. وقانون الجدّة هو التسمية التي تطلق على أحد قوانين الترابط أو التداعي الثانوية.

قانون الأثر Law of Effect

ينص على وجود ميل لدى المرء نحو تكرار السلوك المؤدي إلى النجاح أو الباعث على الارتياح والاطمئنان والرضا عند الكائن الحيّ، كما أنه يوجد ميل لتجنّب السلوك الذي يسفر عن الإخفاق ويولّد الألم في النفس.

ك

الكذب المَرَضي Pathological Lying

ميل لدى المرء، في حالات ظرفيّة للغاية أحيانًا وبدون أي دافع ظاهر، نحو رواية القصص الخياليّة أو المتخيّلة باعتبارها قصصًا حقيقيّة أو واقعيّة. تمتاز بهذا الميل بعض أنواع الاضطراب العقلي والخلل الذهني.

ل

اللّعب الحرّ Free Play

تطلق هذه التسمية الوصفية على اللعب المستقل والنابع من دوافع طبيعية، بينما يكون دور المعلّم أو المشرف مقصوراً على اختيار أدوات اللعب ومعدّاته وتقديمها على نحو مرتّب.

اللّعب المنظّم Organized Play

هو، بخلاف اللّعب التلقائي أو الحرّ، يخضع لقوانين وقواعد وأنظمة، مثلما يحظى بالإشراف والرقابة من جانب المعلّم أو المشرف. يتطلب مساهمةً جماعية على نحو منظّم، ويسير بموجب قوانين معروفة وحسب قواعد متعارف عليها.

م

المتابعة Follow- Up

يطلق هذا الاصطلاح على عملية القيام بتتبّع أعمال الطلاب وأوضاعهم وتقصيها عقب تركهم المدرسة. والقصد من وراء هذه المتابعة هو تقديم المساعدة لهم على التكيّف أو تجميع المعلومات اللازمة لإعادة النظر في مناهج التدريس، وتزويد الطلاب الباقين في المدرسة بالإرشادات. وهناك «لجان للمتابعة» وظيفتها الإشراف على سير التنفيذ وملاحقة تطبيق الشروط أو البنود المتعلقة بمعاهدة أو اتفاقية.

مدرسة تقدمية Progressive School

تركيزها الأساسي على الحاجات الانفعالية للفرد، وعلى التعليم عن طريق الممارسة، وعلى التعبير الابتكاري عن النفس، وعلى أن اهتمامات التلميذ هي مصدر نموه التعليمي المطّرد، وعلى التعاون في التخطيط وحلّ المشكلات، مع إحاطة تلاميذها وطلابها بما يدور حولهم من أحداث، وإنماء صفات التسامح الفكري وعدم التعصب. والمدرسة التقدمية تمتد بجذورها إلى مفهوم: «أن التربية خبرة تؤدي إلى مزيد من كسب الخبرة».

مدرسة تقليدية Traditional School

هي التي تهتم بالتلقين والحفظ دون العناية بالتطبيق، ويكون التركيز في الغالب منصبًا على حفظ الدروس التي نظمت تنظيمًا منطقيًا دون

الأخذ بنواحي الاختلاف التي تتصل بنشأة التلاميذ أو بحاجاتهم أو باهتماماتهم الذاتية، فالتعليم في المدرسة التقليدية في جوهره يعني التسميع والترديد وتزويد الفكر فقط.

مدرسة المجتمع Community School

مدرسة المجتمع تستهدف الصفات الإنسانية في تلاميذها، وإشراك الأهالي في رسم السياسة المدرسية وتخطيط برامجها، أو تنظيم محور الدراسة في المنهج حول العمليات والمشكلات الرئيسة في الحياة، وجعل مرافق الدراسة مركزاً لنشاط الأهالي من جميع الأعمار، والقيادة في تنسيق البرامج التعليمية في المجتمع، وممارسة الديمقراطية والحرية وإنماؤهما في جميع العلاقات الإنسانية القائمة بين أفراد المجتمع وجماعاته.

مستوى الطموح أو الأداء

Level of Aspiration

اصطلاح أدخله «كورت لفين Lewinâ، يمكن تفسيره على أفضل وجه بوصفه إطاراً مرجعيًا ينطوي على احترام الذات وتقديرها. أو يمكن جعله معياراً أو مقياسًا يتسنّى للمرء بالاستناد إليه أن يشعر بنجاحه أو إخفاقه، أو أن يقدر هذا النجاح أو الإخفاق.

المناخ الفكري Climate Of Ideas

تعبير يدلّ على الجوّ السائد في حضارة أو مجتمع من حيث المثل والأفكار القومية التي تحظى بقبول عام. ومنه يستمدّ المرء مقوّمات تفكيره داخل الحضارة فيمارس نشاطه الفكري ضمن إطاره العام.

منحنى التعلّـم Learning Curve

هو منحنىً يتمّ الحصول عليه من خلال الرسم البياني لنتائج اختبار ينطوي على قياس أي نوع من التحسّن أو التبدّل في الأداء والمهارة أو التعلّم. يرمز إلى نواحي التقدّم التي أحرزها المرء في التعلم خلال مدة متواصلة من التمرين. يقاس المحور الأفقي (محور السينات) بعدد التجارب أو كميّة الوقت في الاختبار، ويمثّل المحور العامودي (محور الصادات) على التغيّر في الأداء ونتائج التمرين وعدد المشكلات التي جرى حلّها.

ن

النابغة Genius

النبوغ هو أي مرتبة من مراتب القدرة العقلية التي يتحلّى بها المرء، ويصل المرء إلى النبوغ إذا زاد حاصل ذكائه على ١٤٠. ويكون الشخص نابغة أو عبقريًا إمّا بالنسبة إلى قدراته العقلية بشكل عام، أو نظرًا لامتلاكه قدرات ومواهب خاصة يعترف بها المجتمع، وهي ذات طابع خلاّق وإبداعي.

نمط حضاري أو ثقافي Culture Pattern

يتشكل النمط الحضاري من خلال الأسبقية النسبية التي تعطى لعناصر مختلفة ضمن إطار الكل، وعبر درجة التقدّم النسبية التي تتبدّى على مستويات متنوعة، مع تشديد خاص على الجانب التربوي.

هـ

هدف متدرج Gradiant Goal

اصطلاح في علم النفس التربوي يدلّ على ظاهرة تزايد الاستعداد لدى المرء للتعلّم، واتّصاف عملية هذا التعلم بالسهولة، وذلك عندما يأخذ المتعلّم بالاقتراب من الغاية المنشودة والدنوّ من الوصول إلى هدفه.

هضبة التعلم Learning Plateau

تشير الهضبة إلى توقف مؤقت في التقدم، وإلى تسطّح في منحنى التعلّم، وذلك في أثناء العملية التي يعكف فيها المرء على اكتساب إحدى المهارات المعقّدة والتي تنطوي على تعلّم عادات ومهارات من أصناف مختلفة. مثل تعلّم العزف على آلة موسيقية معينة، حيث ترد فترة لا تبدو خلالها للعيان آثار التقدم، ممّا يبعث على انطباع بحدوث التوقف، ثم لا يلبث التقدم أن يظهر فجأة.

هواية Hobby

يرجع أصل اللفظة الأجنبية إلى الحصان الخشبي Hobby horse الذي يلهو به الأطفال ويستخدمونه في اللعب. والهواية من الهوى بمعنى الميل الشديد نحو شيء معيّن يقع خارج إطار الاهتمام الرسمي، أو يخرج عن نطاق اختصاص المرء عادة والوظيفة التي يمارسها. والهوايات من وسائل الترفيه، يمارسها المرء في أوقات الفراغ.

و

الوسائل السّمعية البصريّة

Audiovisual Aids

يطلق هذا التعبير الاصطلاحي على جميع الوسائل المستعملة لتنشيط التعليم وتوضيح الموضوعات والمواد الدراسية بوساطة الاعتماد على حاسّتي السمع والبصر معًا، وفي آن واحد، على صعيد التآزر والتنسيق بينهما لدى الفرد المتعلّم أو مجموعة الأفراد.

الولد البليد Dull Child

مصطلح عام في علم النفس التربوي يجرى إطلاقه عادةً على أي ولد بطيء في تعلّمه، ويملك مقدرة عقليّة منخفضة إلى حدّ ما. فالبليد هو الولد الذي تراوح حاصل ذكائه بين ٧٢ و٨٠.

الولد المتخلف Retarded Child

هو، في علم النفس التربوي، ذلك الولد الذي يتسبّب تأخر نموّه العقلي أو بعض العوامل المحيطيّة والبيئيّة في تقصيره داخل مضمار الدراسة والتعلّم عن الولد المتوسط. ويشير التأخر إلى القدرة العقلية العامة، وامتناع التقدّم الطبيعي والسويّ في حقلي النموّ والتكامل بالنسبة للأولاد الذين في سنه.

الولد الموهوب Gifted Child

من كان يملك مقدرة فائقة أو موهبة في حقل معيّن من حقول التعبير والإنتاج الفكري والفني مثل الفنّ أو الموسيقى أو الرسم. تراوح مقدرة هذا الولد حَسَب اختبار الذكاء بين ١ و٢ و٣ بالمئة من مجموع الناس.

أهم المراجع :

١ـ د. إبراهيم عصمت مطاوع. أصول التربية، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.

٢ـ ء. أسعد رزوق. موسوعة علم النفس. مراجعة: د. عبدالله عبدالدايم. الطبعة الأولى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٧م.

٣ـ أ. ك. أوتاواي. التربية والمجتمع. ترجمة: وهيب سمعان وآخرين. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة: ١٩٧٠م.

٤ـ د. أبو الفتوح رضوان وآخرون. المدرس في المدرسة والمجتمع. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٣م.

٥ـ س. م. لندفل. أساليب الاختبار والتقويم في التربية والتعليم. ترجمة: عبدالملك الناشف ود. سعيد التل. مؤسسة فرنكلين. المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر. بيروت: ١٩٦٨م.

٦ـ د. فريد جبرائيل نجار وآخرون. قاموس التربية وعلم النفس التربوي. منشورات دائرة التربية في الجامعة الأمريكية. بيروت ١٩٦٠م.

٧ـ د. مصطفى سويف. الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، منشورات جماعة علم النفس التكاملي. إشراف: د. يوسف مراد. الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٦٠م.

8 - Arthur H. Mochlman, Comparative Education Systems 1966. The Center for Applied Reasarch in Education New-York.

9 - Connell, W.F and others. Readings in the Foundation of Education. London, Rontledg and Kegan Paul, 1987.

قصة قصيرة

رأس الأفعى

حسني سيد لبيب

حُكِم عليه بالسجن مدى الحياة، في جريمة لم يرتكبها. يتكوم جسمه النحيل على كرسيه. يقدمون له الطعام والشراب. يشغل وقته في التنقل عبر القنوات. لا يتنقل على رجليه أو راكبا دراجة أو سيارة أو قطاراً أو طائرة. ينتقل بجهاز التشغيل عن بعد، فيرى على الشاشة صوراً شتى، ويا هول ما يرى!. جثثًا وأشلاء ودمًا مراقًا على أرض الكرة المجنونة. تئن الشاشة الصغيرة، تستنفره الصور. أمسك بالقلم يكتب رسالة، ينبه معدّ الأخبار كي يتحاشى نقل اللقطات.. إنها تدين، تنطق، ومن العار أن تجلس ساكنا على كرسيك. افعل شيئًا. هذا التصوير تمثيل بالجثث، يردون عليك يا مسكين بأن عالمنا قرية صغيرة، تتعرى، فتفضح الجسم المشوه والوجه القبيح الناطق بزيف بطولاتنا ودعاوانا. كتب الكثير، وتقاطرت دموع من عينيه، سالت على الورق. ألا يكفيك مستنقع الدم الذي نعيش فيه؟ أعاد قراءة ما كتب. وطوى الرسالة.. التي تقدم له طعامه وشرابه ودواءه، تحمل معها أيضا الجرائد والمجلات، وتضع بريده في الصندوق. التي تقوم على خدمته وصيفة تأخذ من أبيه راتبها. ودفع عنه أبوه، بثروته الهائلة، مذلة الاحتياج إلى المال.

توتر. غلا الدم في عروقه. ناقش الوصيفة. أبان لها مدى الجرم الذي نتردى فيه جميعًا. طلبت منه أن يخلد إلى الراحة. لا فائدة من شيء. أجل، لا فائدة من شيء. فها هو سجين كرسيه، رهين محبسه، محكوم عليه بحياة لا طعم لها.

في الجريدة، تحقيق عن مغتصبات بوسنيات مستضعفات، ترك المحرر لهن حرية الكلام. تحدثت فاتيما عن جارها الذي انقلب ذئبًا، وعن أخته التي كانت يوما ما صديقتها. كانتا تذهبان إلى المدرسة كل صباح، يحلمان سويا بالغد، ويبتسمان للحياة. هجم عليها جارها وهي في مهجعها، وكانت تحسبه آمنا، هجم عليها مع نفر من أقرانه، كل يأخذ وطره منها، بالتناوب، غصبا وعنفا، ولما لمحت أخته، استعطفتها بصداقة جمعتهما ذات يوم، أشاحت وجهها عنها كأنها لا تعرف فاتيما، وتركتها لقمة سائغة للذئاب، يا الله.. من أطلق الشيطان الحبيس من قمقمه؟ الحية تنفث سمومها. اشطبوا كلمة (إنسان) من قواميس لغات العالم. اخلعوا أرديتكم وأقنعتكم الزائفة. اكشفوا الوجه القبيح الكريه. أميطوا اللثام. يا الله.. وهل بعد ذلك إماطة؟!

أعطته الورق. كتب رسالته عن حقوق ضائعة. ابتسمت الوصيفة:

لا تتعب نفسك.

قالت في تحد سافر:

- لو لم تكن عاجزًا، لاغتصبتني..

- ماذا تقولين؟

وجم، كمن تلقى طعنة بخنجر سام. قالت تداهنه:

- لا أقصد شيئًا. كل ما هنالك أنك سوف تجمل فعلتك وتزينها بأنك أحببتني، وأنك عاجز عن مقاومة إغرائي.

إني عاجز عن...

ولم يكمل. اختلطت المعاني والحروف، فتلعثم لسانه، واغرورقت عيناه بدموع. هل يصير وحشا؟ قد لا تتقاتل الوحوش فيما بينها هكذا.

لحظات مريرة صامتة، ثم صرخ بكل قواه، كأنه يهزم صوتا يضج بجنبات نفسه:

- لستُ كأولئك الوحوش..

أبعدت الجريدة، وأضاءت الشاشة الصغيرة. مازالت الأخبار الدامية تدق عظام جمجمته بإلحاحها المتواصل ليل نهار. مقتولون هنا، ومقتولون هناك. لا تقل قتلى، إنها كلمة غير دقيقة. أليس كذلك يا سهى؟ فالقتيل يمكن أن يُقْتَل مصادفة أو عمدا، أما المقتول فقد قضي عليه وحُكم عليه، عمداً وإصراراً ورصداً، إنهم مقتولون ومقتولات..

- أرِحْ نفسك. أنتَ فرد. ورسائلك الساذجة لا تساوى، في نظرهم، الحبر الذي كتبت به.

عذبته كلمات سُهى. ومذيعة الربط تعلن عن موعد نشرة المواجع. الضحايا يتساقطون هنا وهناك. كل يوم ضحايا، كل ساعة، كل دقيقة، كل لحظة.. وليس ثمة غد أفضل للإنسان.

انتفض حين سمع رنين الهاتف. ناولته السماعة، فأتاه صوت

أبيه يوصيه بأن يتدثر جيدا من البرد الذي يكسر أضلاع الجسم. ويعتذر عن عدم زيارته، فالمصنع يمر بأزمة حادة، ومزارعه في الفيوم تقضي على ما تبقى من وقت، فيرجع إلى بيته في وقت متأخر، فتعتب عليه زوجته انشغاله الدائم عنها.

هكذا أبوه. مشغول دائما. وأعذاره كثيرة. فلا يكاد يراه إلا مرة كل شهر. يقضي معه وقتا لا يتعدى الساعة. وينتفض الأب عندما يجد ابنه يوصيه بتذكر أمه وقراءة الفاتحة على روحها، فيطمئنه بأنه يفعل ذلك من وقت لأخر، ويشيح بوجهه، حتى لا تقع عيناه على نظرات الشك في عيني الابن المصلوب على الكرسي.

يضع السماعة، وهو في توتر بالغ، متذكراً أمه المتوفاة وهو في الخامسة عشرة. وطفق يذرف الدمع. تصمت سُهى وقد انتقل إليها حزنه. تخرجه بعد لحظات من حاله هذه قائلة:

ـ الله يرحمها. فلنقرأ الفاتحة على روحها.

ويقرآن الفاتحة معا.

واستسلم للنوم، ولم تشأ سُهى أن تتحرك بكرسيه لتنقله إلى السرير. قد اعتادت منه هذه الإغفاءة القليلة، ويصحو منها ليتناول قليلاً من الطعام، وجرعة الدواء، ثم تُعدّ له قدح الشاي. ويطل من جديد على عالمه الخارجي، فيعود إليه التوتر. تناول القلم وأخذ يكتب رسالة جديدة، قال فيها إن صناعة السلاح أس البلاء وأصل الشرور، تعارضه سُهى:

ـ نوازع الشر يتوارثها الإنسان، منذ خلق الله آدم وحواء.

أصابه الخرس، لم ينبس بشيء.. أكملت:

ـ لا تنسَ قابيل وهابيل..

ـ أنا لا أنسى شيئًا، ولكن..

ـ فيم تفكر؟

ـ في القديم، كان الفارس ينازل خصمه، ندا لند. وإذا ما انكسر سيف الخصم، رمى الفارس سيفه، ونازل خصمه رجلاً لرجل. إنها الفروسية والشجاعة. أما الآن...

ـ القتل يجري خلسة وغدرا وخداعا وغشا..

أخذ يقرأ في الدوريات عن منظمات حقوق الإنسان، وعن مؤتمرات وندوات للدفاع عن تلك الحقوق.

ـ إنهم يتحدثون عن حقوق كائن آخر، أليس كذلك يا سُهى؟

إنهم يدافعون عن مصالحهم..

مذيعة النشرة تتحداه. لم تزل تذيع أنباء عن حمامات الدم، وتبث التقارير المصورة، عن مقتولين متعانقين، عناق روميو وجولييت، فلما انفصل الجسمان، بعد رميهما برصاص جبان، أطفأ الجهاز، وعاد يقرأ التحقيق بالجريدة عن مغتصبات بوسنيات أخريات. كل شيء مكتوب بالحبر الأسود، كل شيء منشور على الملأ، بكل لغات العالم، وآلات التصوير ذات الأضواء الخاطفة الباهرة، صوراً متدنية، بالأبيض والأسود، وبالألوان، كل الألوان، لكن الأحمر القاني هو السائد...

مغتصبة أخرى يزعجها الصحفي بأسئلته. تطلب منه أن يكف ويرحمها. تخفي وجهها بكفيها حتى لا تلتقط لها صورة. تقاطرت دموع من عيني الصحفي، كتب يقول: « ما عدتُ أفرق بين مهمتي الصحفية وبين رغبتي في تهدئة بدرية. أغلقتُ أوراقي، ودسستُ قلمي في جيبي. وأخذتُ أعالج أحزانها قدر جهدي، ولكن هيهات. صرخت بدرية في وجهي، بكلمات متدافعة كطلقات الرصاص، تحكي لي ما أصابها، بعد أن وعدتها بألا أكتب حرفًا واحدا مما قالت، أو أكتب تلخيصًا للحادث. وها أنا أفي بما وعدت، ولا أكتب شيئًا سوى اسمها، وقد وافقت على نشر الاسم فقط..

أهوى بقبضة يده على مسند الكرسي ذي العجلات:

ـ أين أنتِ يا سُهى؟

أتاه صوتها من المطبخ:

ـ إني قادمة بصينية الشاي. لا تنفعل كثيراً..

وأتت تهرول. وضعت الصينية على المنضدة، وجلست إلى جوار كرسيه، قطة أليفة أنيسة.

قصّ عليها ما لم يقرأ من قصة بدرية. شرح لها ما يكون قد حدث. ثم تطلب دفتر الرسائل، وحرر رسالة إلى الصحفي، ناقلاً إليه الأثر الذي أحدثه التحقيق في نفسه.

عاود الاستماع إلى المذيعة، قارئة نشرة المواجع، عن حوادث العنف في العالم، معقبة على كل خبر بابتسامة صغيرة تظهر بها رقتها. توقع حدثا جللا. ضجت الكرة بالضحايا. قد تنفجر الكرة المجنونة ذات يوم. قد تقدم على الانتحار. تتشرذم في الفضاء الواسع، تتحول إلى شظايا، ولا يبقى منها من أثر. ويبقى الكون في ديمومته وأبديته، شاهدا على كوكب طائش.

هاك مصور يلتقط صورا للجياع، بأجسامهم الضامرة. النساء عاريات الصدور، بأثداء عجفاء، وعيون زائغة. والأطفال، عظام بارزة، ورؤوس كبيرة لا تعي ما حولها.

أتاه الحلاق. أخرجه من عالم الكوابيس. حياه وجلس يسليه ببعض النوادر. فأحس بأن ذقنه قد كبرت، كذلك شعر الرأس، ورأى أنه لم يأخذ حماماً منذ أسبوع. هذا اللقاء الأسبوعي، لقاء حتمي مع الأسطى فتحي الحلاق. يرسله إليه أبوه، ولا يتأخر عن موعده. بينما الحلاق يحلق له شعره وذقنه، كانت الوصيفة تجهز له الحمام

الساخن. عندما يحضر الأسطى فتحي، ينسى كل ما يفكر فيه، ويتسلى بنوادره وفكاهاته، إلى أن ينصرف. ويرفض أن يأخذ منه نقوداً، قائلاً له:

- الحاج يعطيني من خيره الكثير.

ويشرد في أمر (الحاج)، والده، الذي يهتم بشؤونه المادية ورعايته رعاية كاملة، لكنه يتركه لهواجسه وعذاباته.

القناصة في كل ركن يختبئون، ويحصدون الرؤوس، وعصابات المافيا لا ترحم. ورأس الأفعى لم تُقطع بعد. مازالت تطلق فحيحها، تنشر سمومها. ناولته سُهى دفتر الرسائل، وطفق يكتب رأيه... «إن أردتم صلاحًا، فاقطعوا رأس الأفعى. إني أرى أم رأسها، أراها بعيني، واضحة وضوح الشمس، تنسج خيوطها العنكبوتية حول رقابنا جميعا.. إني أراها، أنا الجالس على كرسي أنفذ حكما لم يصدره قاض بالسجن مدى الحياة، في هذا البيت الدافئ، وعلى هذا المقعد الوثير، لا أفارقه. لكن رأسي لا تضج بالضجيج والعجيج، وعيني لا ترى إلا السواد، إلا الأفعى. اقطعوا الرأس. إن اكتفيتم بقطع الذيل، فهناك ألف ذيل تنبت لها. لا فائدة يا سادة، ما لم تقطعوا الرأس، فلا فائدة، وعلى الأرض السلام.

انهمرت دموع تغسل وجنتيه، تقاطرت منها دموع ساقطة على الرسالة، فأضاعت معالم بعض الحروف.

أعاد كتابة الرسالة، دون أن يأكل، ومزيد من الدموع تنبجس من عينيه المؤرقتين. ولما ألفت ما هو فيه من كمد، أخذت منه القلم، وأخذت تكتب ما يمليه عليها. وأرسلت الرسالة إلى الجهة التي حددها..

كل يوم يكتب رسالة، ولا فائدة. كتب إلى كل المنظمات والهيئات والصحف والمجلات، وإلى الرؤساء والوزراء والأمناء. لم يكف قلمه عن الكتابة، وسُهى تعايش أرقه، مشفقة عليه، تكاشفه بأنه يحمل الأمور فوق طاقتها، وآن له أن يستريح. سخر من نفسه:

- أستريح؟ كيف يا سُهى؟ قد شُلّ جسدي، كما ترين..

- لو أنك صحيح الجسم معافى، ما فكرت في كل هذا..

- لماذا؟

- لأنك سوف تكون مشغولاً بحياتك، وتلهث في ركابها..

- تقصدين..؟

- أقصد أنك.. سوف تبحث عن مصالحك.

- كلماتك قاسية يا سُهى.

- أرجو ألا تتضايق مني.

- بالعكس تعجبني صراحتك. لكن، اسمحي لي..

- تفضل.. تكلم..

- ألم تقرئي التحقيق...

- بلى، قرأته.

- كتبه صحفي ممرور مثلي، والفارق بيننا، أنه صحيح معافى، وأنا مقعد...

- إنه يكتب بحكم مهنته. لا تنس أنه جازف بحياته لدخول منطقة غير آمنة، جرياً وراء مجد صحفي.

- قد أفرغت التحقيق من مضمونه.

صمت، حتى لا تطيل الحديث. أضاف:

- هناك صحفيون يكتبون أشياء تافهة.

- ألا ترى أنك سهرت حتى منتصف الليل؟

- إني قلق الليلة.

- بل أنت قلق كل ليلة. لا بأس من إعداد عصير فاكهة لك.

تركته وحده أسير كرسيه محدقا في الشاشة الصغيرة، تداعب أنامله أزرار الجهاز الصغير، من قناة لأخرى، تتأوه المغنية من فراق الحبيب، ثم طالعه وجه المذيعة ينذره باقتراب موعد نشرة المواجع، وأنباء المجازر. رقبة المذيعة مديدة، يلتف حولها عقد من اللؤلؤ الحر. تقرأ ما هو مسطور أمامها على الورق. تنتفخ عروق الرقبة حسب مخارج الحروف. لأول مرة ينتبه إلى ما تحدثه مخارج الحروف. وحبات اللؤلؤ.. تبدو جماجم بشرية صغيرة. ما هذا أيتها المذيعة؟ نظر إلى فمها، المصطفة داخله أسنان بيضاء، فإذا بها أيضا قد تحولت إلى جماجم بشرية. نادى على سُهى، ولعلها تنقذه من هذا الرعب المدمر. أسرعت إليه بكوب العصير، فلم يشرب. طلب منها أن تلاحظ معه تلك الجماجم المصطفة في استدارة العقد حول رقبتها، وفي استدارة الأسنان، صفين منتظمين.. اغتسل وجهه بحبات عرق غزيرة، غرق جسمه في العرق. أطفأت الجهاز، واستعطفته أن ينام، حتى يستريح. حاول أن ينام.. سأل:

- ما مصير رسائلي؟

- إني أودعها بالصندوق، كل يوم.. لا شك أنها تصل لأصحابها..

- وأبي، أما من رسالة تأتيني من أبي؟

- ربما..

- وأمي، أريد أن أكتب إليها رسالة..

فلنقرأ على روحها الفاتحة..

وقرآ الفاتحة معا..

الحركة الثقافية في شهر

«فقه الأقليات» موضوع ملتقى خادم الحرمين الشريفين الأول للجاليات الإسلامية في أدنبرة

منتدى أصيلة يقيم أول مؤتمر للكتاب الأفارقة

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينظم مسابقة الشعراوي لفواصل الآيات القرآنية

١٥٠٠ مبدع شاركوا في مهرجان جرش للثقافة والفنون

الأمير خالد الفيصل يفتتح مسرح المفتاحة ومعرض الفن التشكيلي



صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير - مؤخرًا - مسرح قرية المفتاحة التشكيلي بمركز الملك فهد الثقافي في أبها. يعد المسرح الأكبر من نوعه في الشرق الأوسط حيث يتسع لنحو ٣٥٠٠ مقعد وهو مجهز بأحدث التقنيات الصوتية والضوئية.

كما رعى سموه في القرية نفسها افتتاح المعرض التشكيلي العام لفناني عسير وفناناتها، الذي شارك فيه نحو ٤٨ فنانًا وفنانة قدموا مايقارب ١٣٠ عملاً فنيًا تمثل مختلف المدارس والاتجاهات الفنية.

مجلتان جديدتان

صدر - مؤخرًا - العدد الأول من مجلتين جديدتين تحمل أولاهما اسم «الدرعية» والثانية «عالم الغذاء»، وتصدران في الرياض.

والدرعية مجلة فصلية تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية والتراث العربي، وصاحب امتيازها ورئيس تحريرها الأديب البحاثة أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

أما «عالم الغذاء» فتختص بقضايا التغذية الصحية والرشاقة والسلوك الغذائي.

معرض تشكيلي سعودي يطوف العالم

أعد الفنان التشكيلي ناصر الموسى قائمة «كتالوج» بالمعرض السعودي المتجول المقرر أن يطوف بلدان الخليج والدول العربية والأجنبية.

تنظم المعرض الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون التي رشحت عددًا من الفنانين لمصاحبة المعرض وروعي في الترشيحات أن تمثّل كل مدينة بفنان تشكيلي.

كتب جديدة

الصلاة، تأليف د. عبدالله بن محمد الطيار، صدر ضمن سلسلة «رسائل التعريف بالإسلام» عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

دول مجلس التعاون، كتاب معلوماتي، صدر عن الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

تاريخ الأوقاف بمحافظة الطائف، تأليف الشيخ محمد الطيب يوسف.

الحركة الكشفية في منطقة الطائف: بدايتها ودورها في رعاية الشباب وخدمة الوطن، تأليف حسن حسن العبادي.



الأمير عبدالعزيز بن فهد مفتتحاً مسجد الملك فهد في لوس أنجلوس والمركز الإسلامي في أدنبرة:

المساجد والمراكز الثقافية ملتقيات للمسلمين ومنابر للإشعاع الحضاري والدعوة إلى الله على بصيرة

سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد يفتتح مسجد الملك فهد في لوس أنجلوس

خاص - مجلة الفيصل:

ثمن أبناء الجالية الإسلامية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، الدور الكبير الذي تنهض به المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في خدمة الإسلام ونشر تعاليمه وبيان العقيدة الصحيحة، والعناية بالجاليات الإسلامية والأقليات المسلمة، والحرص على صون عقيدتهم والحفاظ على هويتهم من الذوبان في المجتمعات الأخرى.

وقد جاءت هذه الإشادة بالجهود السعودية لتحقيق الأهداف السامية، لدى رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء مناسبتين إسلاميتين كبيرتين تمثلتا في افتتاح مسجد خادم الحرمين الشريفين في مدينة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا، وافتتاح مسجد الملك فهد والمركز الإسلامي بمدينة ادنبرة عاصمة مقاطعة اسكتلندا بالمملكة المتحدة. فخلال شهري ربيع الأول وربيع الآخر الماضيين انضم مركز أدنبرة ومسجدها، ومسجد لوس أنجلوس إلى ١٣٥٩ مسجداً و ٢١٠ مراكز ثقافية إسلامية منتشرة في آسيا وأفريقيا وأوربا وأستراليا والأمريكتين، قامت المملكة العربية السعودية ببنائها، وتمويلها، أو المشاركة في إنشائها، لتصبح منارات لإشعاع الفكر الإسلامي، وتعميق الثقافة الإسلامية في أوساط الجاليات الإسلامية،

وذلك انطلاقًا من إيمان المملكة بالدور الحضاري الذي تؤديه المساجد والمراكز الثقافية، وتأكيد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز: «إن جهود هذه المساجد والجوامع داخل المملكة وخارجها لتساهم في رفع راية الإسلام ونشر دعوته، وثبات المسلمين والأقليات المسلمة على هذا النهج»

وفي إطار هذا الدور الريادي تبرع خادم الحرمين الشريفين بـ ٩٠٪ من تكلفة المركز الإسلامي والمسجد الكبير في ادنبرة والبالغة (٣٥٠٠٠٠٠) ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف جنيه استرليني.

وشهد حفل الافتتاح كبار الشخصيات الإسلامية من المملكة والعالم العربي والإسلامي وبريطانيا ورؤساء المجالس والهيئات والمنظمات والجمعيات الإسلامية وأمناؤها.

وقد أكد الأمير عبدالعزيز بن فهد في الكلمة التي ألقاها بمناسبة افتتاح المركز والمسجد يوم الجمعة ٨ ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق ٣١ تموز/ يوليو ١٩٩٨م، «إن من واجبنا خدمة إخواننا المسلمين في كل مكان، وللمملكة العربية السعودية في هذا الميدان أعمال جليلة، وهي من أساسيات سياستنا في المملكة، وبفضل الله تم إنجاز العديد من المشروعات الإسلامية وسنرى المزيد». وأعرب سموه عن شكره للأصدقاء في المملكة المتحدة على ما قدموه من تعاون ولطف وتسهيلات لإقامة هذا الصرح الشامخ. واستطرد مؤكداً أن هذا المركز سيكون رمزاً للصداقة بين الدولتين، وسيكون جسراً يربط بين الحضارة العربية والإسلامية والحضارة البريطانية، ورمزاً للتواصل والتعارف.

وقال الأمير عبدالعزيز موضحاً الدور الكبير لهذا المشروع الإسلامي في حياة الجالية الإسلامية في أسكتلندا: «إن هذا المسجد والمركز الذي أسس بنيانه - بإذن الله - على تقوى من الله ورضوانه مرهون نجاحه بحمل رسالة الإسلام بإخلاص وأمانة، وجعله منارة للعلم والمعرفة، ومنبراً للدعوة إلى الله على بصيرة ويقين، بالحكمة والموعظة الحسنة واللطف واللين، واتباع هدي رسوله صلى الله عليه وسلم، ليساهم في نشر العقيدة الصافية ويصحح ما علق في أذهان

صدر الكتابان السابقان عن لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف.

قفوا على التاريخ. ديوان للشاعر الراحل سليمان بن أحمد المطلق، جمعه ابنه وقدم له محافظ العلا أحمد بن عبدالله السديري، وصدر عن دار الحارثي للطباعة والنشر.

المرفوض، مجموعة قصصية لفالح عبدالعزيز الصغير، صدرت عن دار الراوي.

ولادة فارس من قبيلة المطاريد، مجموعة لحسن محمد الشيخ، صدرت عن دار وسيط الجزيرة.

العذاب الذي لايموت، مجموعة قصصية لخليل إبراهيم الفزيع، صدرت عن النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

الإمارات

أكبر جدارية تحكي تطور الإمارات

بدأ ثمانية فنانين تشكيليين في تنفيذ أكبر لوحة جدارية تحكي تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة والتطور الذي شهدته أبو ظبي بخاصة، والإمارات بعامة منذ مرحلة ما قبل النفط وإلى اليوم.

يبلغ طول الجدارية ١٥ متراً وعرضها متر ونصف المتر، وتمول تنفيذها شركة أبوظبي للعمليات البترولية البرية ادكو، وسوف تزين الجدارية مدخل المبنى الجديد للشركة في أبوظبي

الإمارات ٦٨

يختتم معرض «الإمارات عام ١٩٦٨م» للصور الفوتوغرافية الذي نظمته دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة أعماله في التاسع من شهر جمادى الأولى الجاري

بعضهم خطأً عن ارتباط الإسلام بالعنف والإرهاب والظلم والعدوان، وليعرف العالم سماحة تعاليم هذا الدين الذي بنى منهاجه على دعائم من الخير وقواعد من البر».

وأكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن صالح العبيد أن: «المملكة هي الدولة الأولى في دعم وبناء المساجد وإنشاء المراكز الإسلامية في قارات العالم، وأشاد معاليه بالدور الذي تقوم به هذه المساجد والمراكز موضحاً أن معظمها موجود في الدول المتقدمة.

وقال سفير خادم الحرمين الشريفين لدى بريطانيا وشمال إيرلندا، الدكتورغازي بن عبدالرحمن القصيبي: إن أبناء الجالية الإسلامية في أدنبرة كانوا يحلمون منذ ٤٠ عاماً بإقامة مركز إسلامي خاص بهم، وها هو ذا الحلم يتحقق، بفضل الله، ثم دعم خادم الحرمين الشريفين، الذي لا يتردد أبداً في مساندة أي موضوع فيه خير الإسلام والمسلمين وعزتهم، وأكد د. القصيبي أن تشييد هذا المركز في هذه المدينة اختيار موفق، إذ إن ادنبره تعد إحدى المدن الثقافية والحضارية الغربية، وينظم فيها سنوياً المهرجان العالمي للآداب والفنون، وتستضيف أعداداً كبيرة من المؤتمرين الذين يمثلون ثقافات متعددة، ولذلك فإن إقامة مسجد خادم الحرمين الشريفين والمركز الإسلامي في هذه المدينة الثقافية يحقق هدفين كبيرين، الأول: خدمة المسلمين المقيمين في ادنبرة، والآخر، تأمين وجود صرح إسلامي شامخ يمثل خاتم الرسالات وأهم الحضارات.

وقد روعي أن تكون عناصر المشروع متكاملة بما يحقق الأغراض التي أنشئت من أجلها، ويستجيب للاحتياجات المستقبلية لأبناء الجالية الإسلامية هناك، ويتكون المشروع من مسجد يتسع لـ ٧٥٠ مصلياً، ومرفق به مصلى للنساء يتسع لـ ١٥٠ مصلية. ومركز إسلامي توجد به قاعة متعددة الأغراض تتسع لـ ٣٠٠ شخص، وتستخدم للصلوات عند الحاجة، كما تستخدم أيضاً للمحاضرات والندوات واللقاءات العامة للمسلمين، ويضم المركز مكتبة، وعدداً من المكاتب الإدارية، ومغسلة للأموات ومطبخاً، وقد خصص المبنى القديم لإقامة فصول دراسية.



ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي والثقافي

«فقه الأقليات» ناقش تفعيل

دور الجاليات المسلمة

ترافق مع افتتاح المركز الإسلامي والمسجد الكبير في أدنبرة انعقاد «ملتقى خادم الحرمين الشريفين الأول للجاليات الإسلامية في ادنبرة» الذي نظم بعنوان «فقه الأقليات» وقد نوقش خلال جلسات عمل الملتقى عدد من البحوث وأوراق العمل التي تبصّر الجاليات الإسلامية بأمور دينهم والتعامل في ظل المجتمعات غير المسلمة.

وقد عقدت الجلسة الأولى للملتقى بعنوان: «حفظ الهوية الإسلامية»، ونوقشت خلالها ثلاثة بحوث «الأسرة» للدكتور كامل شريف، و«التعليم» للدكتور محمد فريد الشيال، و«التواصل مع الأمة الإسلامية» للأستاذ سالم الرافعي، وقام بالتعليق على البحوث د. جمال الدين محمود. وجاءت الجلسة الثانية بعنوان «دعوة غير المسلمين» ونوقشت فيها ثلاثة بحوث: «أسس دعوة غير المسلمين»، للدكتور فضل إلهي ظهير، و«السلوك وأثره في الدعوة» للدكتور عبدالرازق بن عبدالمحسن السيد، و«واجب الأقلية في تبليغ رسالة الإسلام» للدكتور صهيب بن حسن عبدالغفار، وقام بالتعليق على البحوث والمداخلات الأستاذ محمد هاشم عرفة.

وفي الجلسة الثالثة التي كان عنوانها «خصائص الإسلام وأثر الأقليات في إبرازها» تم تسليط الضوء على ثلاث قضايا: «التكافل الاجتماعي» للدكتور عبدالحليم عويس، و«الحد من الجريمة» للدكتور محمد محيي الدين عوض، و«المحافظة على البيئة» للدكتور موئل عزالدين السامرائي، وعلق على هذه الموضوعات الشيخ سعد ابن عبدالله البريك. وناقشت الجلسة الرابعة موضوع «الأقليات المسلمة وعلاقتها بغيرالمسلمين» وعرضت خلالها بحوث «العلاقات الاجتماعية» للدكتور فاروق شاهين، و«العلاقات الثقافية»، للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري، و«العلاقات الاقتصادية» للدكتور مناظر أحسن، وقام بالتعليق الشيخ سفيان ثوري سرجار.

وخصصت الجلسة الخامسة لمناقشة «حاجة الأقليات المسلمة إلى العلم الشرعي»، وتم خلالها عرض ثلاثة بحوث «أصول الفتيا وتطبيق أحكام الشريعة في بلاد غير المسلمين» للدكتور علي بن عباس الحكمي، و«دور العلماء في تبليغ الأحكام الشرعية»، للدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، و«دور المؤسسات الإسلامية في التعليم الشرعي» للدكتور عبدالرحمن الطويل، وقام بالتعليق الدكتور عبدالله بن بيه. وكان موضوع الجلسة السادسة: «المؤسسات الإسلامية، رسالتها وأهمية التنسيق» ونوقشت خلالها ثلاثة بحوث: «رسالة المؤسسات الإسلامية في حفظ الهوية» للدكتور أمين الدين أبوبكر، «رسالة المؤسسات الإسلامية في تبليغ الدعوة»

محاضرات وندوات

«هل انتهى الاستشراق حقاً؟» عنوان محاضرة ألقاها في الباحة د. صلاح مطبقاني.

«الديمقراطية بين الفرد والأسرة في المجتمعات العربية» عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة بلندن د. سامي ذبيان.

«مواقف علماء المسلمين في فترة النهضة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي عبدالله بن محمد الشهيل.

«الصحافة الثقافية ... الواقع والتطلعات» عنوان حوار أدبي ثقافي نظمه نادي الطائف الأدبي، وشارك فيه كل من: محمد الدبيسي، وفهد الشريف، أدار الحوار د. عدنان المهنا.

«التسامح وعلاقتنا بالأديان الأخرى» عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة بلندن د. زكي بدوي.

«شعر الأطفال بين الشكل والمضمون» عنوان ندوة أقيمت في مركز توثيق وبحوث أدب الطفل بالقاهرة، شارك فيها د. سيده حامد، وأحمد سويلم، وأدارتها د. أسماء أبو طالب.

«معالم نهضة مصر في القرن التاسع عشر الميلادي» عنوان ندوة نظمتها دار الكتب المصرية في مكتبة سوزان مبارك بحي العجوزة، شارك فيها إبراهيم فتح أحمد، ود. يواقيم رزق مرقص.

«نحو إعلام فضائي هادف» عنوان محاضرة ألقاها على مسرح النادي الأهلي في جدة د. عبدالقادر طاش.

«من أقوال أئمة السلف» عنوان محاضرة ألقاها في جامع التعاون في محايل عسير الشيخ يحيى ملافي.

«سيرة شاعر» تحت هذا العنوان أحيا الشاعر كاظم السحاوي أمسية شعرية في ديوان الكوفة في لندن ألقى خلالها بعض قصائده.

للدكتور سالم بن غانم السدلان، «أهمية التنسيق في أداء رسالة المؤسسات الإسلامية»للدكتور أحمد عمر هاشم وقام بالتعليق الدكتور مصطفى سيسي.

وأفردت الجلسة السابعة من الملتقى لبحث «تقنية الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليات المسلمة» ونوقشت خلالها بحوث حول «آثار الإعلام في العقيدة الإسلامية». للدكتور جعفر شيخ إدريس، و«آثار الإعلام في السلوك»، للدكتور علي بن إبراهيم بن نملة، «الأقليات المسلمة والإفادة من الإعلام»، د. بهيج ملا جويش، وقام بالتعليق د. سعيد محارب.

وفي إطار نشاطات ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي «فقه الأقليات» عقد برنامج علمي شمل ثماني مدن بريطانية هي: لندن، وجلاسكو، وبرمنجهام، وليتون، وكاردف، وباتيلي، ونيوكاسل، وبلاكبيرت، وتضمن البرنامج ١٦ محاضرة ودوررتين في العلوم الشرعية، إلى جانب ثلاث ندوات الأولى: «حقوق الإنسان في الإسلام»، والثانية: «حجية السنة ومكانتها»، والثالثة: «حقيقة الدعوة الصحيحة».

وفي لوس أنجلوس المدينة ذات الموقع المهم والمكانة المميزة سياسياً واجتماعياً بولاية كاليفورنيا الأمريكية، والمركز الاقتصادي الدولي، والمدينة التي يقطنها نحو ٢٥٠ نسمة من العرب والمسلمين، وتكتظ بالمراكز الإعلامية والجامعات والمعاهد العليا، وتنتشر فيها البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية، في هذه المدينة ذات الشهرة الواسعة افتتح الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز يوم الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق ١٧ تموز/يوليو ١٩٩٨م، المسجد الذي تكفل ببنائه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لخدمة الجالية العربية والإسلامية ولنشر العلم والهدي، وتعزيز أواصر الأخوة بين المسلمين.

وقد بلغت تكلفة المسجد الذي خططت له مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية في لوس انجلوس، وتبرع الملك فهد بن عبدالعزيز بكامل تكلفته (٨١٠٠٠٠٠) دولار أمريكي، ويتسع لـ ٢٠٠٠ مصل، ويضم مصلى للنساء، وقاعة للمحاضرات، وأخرى للاجتماعات، ومدرسة تعنى بالعلوم الإسلامية وتعليم القرآن الكريم، ومركزاً للبحوث، ومكاناً مخصصاً لبيع الكتب، ومواقف للسيارات. ويتكون المسجد من أربعة طوابق، وترتفع منارته ٧٢ قدماً، وقد روعي في تشييد المجمع الطراز المعماري الإسلامي ليكون أحد المعالم البارزة في مدينة لوس انجلوس.

وشهد افتتاح المسجد الكبير معالي الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ومعالي الدكتور إبراهيم العساف وزير المالية والاقتصاد الوطني، ومعالي الدكتور عبدالله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومحمد بن عبدالرحمن السلوم القنصل العام للمملكة العربية السعودية في لوس انجلوس، والدكتور خليل بن عبدالله الخليل رئيس مجلس أمناء مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية في لوس انجلوس والإمام وارث الدين محمد رئيس جماعة المسلمين في الولايات المتحدة، والدكتور مزمل صديقي رئيس الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية، وجمع من رؤساء الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وأعضائها.

وقد خاطب الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز حفل الافتتاح مؤكداً أن المملكة العربية السعودية أدركت أن ثبات أحوال الأمة وبنيانها يتمثل في التمسك بالعروة الوثقى بما يقرب إلى الله زلفى، وقال: «إن خادم الحرمين الشريفين منذ أن تقلد أول منصب له في الدولة جعل بينه وبين المعرفة نسباً، وبينه وبين بناء المساجد سبباً»، وقال: «إن خادم الحرمين وولي عهده الأمين، وهما يدركان المعاني السامية والأهداف الجليلة لرسالة الإسلام الخالدة، يحرصان على إعمار بيوت الله وتشييدها لتكون مصابيح هداية تتجلى من خلالها مفاهيم الإسلام. واستطرد سموه مضيفاً أنه بافتتاح هذا المسجد في لوس انجلوس يتحقق إنجاز عظيم، كثيراً ما تمنى المسلمون في هذه المنطقة تحقيقه. بعد أن لاقي المشروع كل التأييد والترحيب من الأصدقاء في الولايات المتحدة الأمريكية. مما يتأكد معه متانة العلاقة وقوة الصداقة بين البلدين، تلك العلاقة التاريخية العريقة التي أرسى دعائمها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ والرئيس الأمريكي الراحل فرانكلين روزفلت منذ ما يزيد على خمسين عاماً.

ومن جانبه أشار معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في كلمته إلى أن مايشهده الدين الإسلامي اليوم من انتشار ليستوجب الحمد والشكر لله، وتقدير جهود العاملين في سبيله، غير أنه نبه إلى أن ما يتعرض له الإسلام من تشويه لصورته وإظهاره على غير حقيقته، وما يتعرض له المسلمون من تجاهل وتجهيل ليدعو إلى تضافر الجهود وتعاون الجميع، وتمثيل الصورة الحقة التي يهدف الإسلام إلى تحقيقها.

وأما رئيس الاتحاد الإسلامي بأمريكا الشمالية الدكتور مزمل حسين الصديقي فقد أشاد بالجهود المقدرة التي تبذلها المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين، وقال: «لا غرو أن مئات المساجد في الولايات المتحدة أسست على التبرعات الشخصية من حكومة المملكة العربية السعودية ومن محبي الخير، وهناك كثير من المشروعات الإسلامية التي تجد دائماً العون المادي والمعنوي من المملكة». ولفت صديقي الانتباه إلى وجود دلائل مبشرة، لانتشار الإسلام في أمريكا بسرعة أكبر في القرن القادم، إن شاء الله.

ومن جانبه قال معالي وزير المعارف الدكتور محمد بن أحمد الرشيد: إن المملكة تقوم بخطوات جبارة في تفعيل دور المسجد وإحياء رسالته، وإنها في هذا السبيل قامت بإنشاء المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ذلك أن رسالة المسجد هي المحور الرئيس المطلوب في رسالة التعليم والتربية.

«حرب الناقلات في الخليج وآثارها الاقتصادية على دول المنطقة» عنوان محاضرة ألقتها في قاعدة تلفر ببلدية إيلينج في لندن بدعوة من المنتدى الاقتصادي العراقي د. نادية الشاذلي.

«الشباب والتيارات المعاصرة» عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. محمد بن سعد الشويعر.

«إفريقية وقضايا البيئة» عنوان ندوة نظمها معهد الأهرام للصحافة بالقاهرة تحدث فيها د. مصطفى كمال طلبة.

«المخطوطات العربية ... علم وتراث» عنوان ندوة أقيمت في دار الوثائق القومية بالقاهرة بمشاركة عدد من المتخصصين في المخطوطات والتراث.

«التهاب الكبد الفيروسي . .. مكافحته والوقاية منه» عنوان محاضرة ألقاها في مقر جمعية السيدات المؤمنات بالقاهرة د. عمرو فطين.

«مواقف من السيرة النبوية» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الشيخ محمد عبدالوهاب بمحافظة خليص الشيخ د. عبدالعزيز بن أحمد الحميدي.

«البيئة قضية عالمية معاصرة» عنوان محاضرة ألقتها في مقر جمعية نهضة المرأة في رأس الخيمة فيلوفر روحاني.

«تعليم العربية بين فهم قاصر وخطو عاثر» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالباحة د. سليمان بن إبراهيم العايد.

«تقويم السلوك» عنوان محاضرة ألقاها في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي اللواء ضاحي خلفان تميم.

«مكانة اللغة العربية الفصحى وسموها وقدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. راشد الراجح الشريف.

«الحياة المصرية قبل الحملة الفرنسية على مصر» عنوان محاضرة ألقاها في مقر رابطة الأدب الحديث بالقاهرة د. مصطفى رمضان.

٣١ /آب أغسطس ١٩٩٨م.

ويقدم المعرض المقام حاليًا في حصن الشارقة صورة لما كانت عليه الحياة في الإمارات عام ١٩٦٨.

معرض راشد للإبداع التشكيلي

استضافت قاعة المجد في فندق السيتي سنتر بدبي - مؤخرًا - «معرض راشد للإبداع التشكيلي».

شارك في المعرض جوالة تراث الإمارات وجمعية الإمارات للفنون التشكيلية، وجماعة الفن الخاص بالشارقة، ونخبة من الفنانين التشكيليين العراقيين، كما شاركت قرينة حاكم دبي الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم بمجموعة من الأعمال التشكيلية.

خصص ريع الأعمال المشاركة لصالح عدة جمعيات خيرية.

من الكتب الجديدة

«تطور الاقتصاد الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٩٦م» تأليف نبيل السهلي، صدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبوظبي.

الكويت

مهرجان القرين الثقافي

تجرى حاليًا الاستعدادات لتنظيم الدورة الجديدة لمهرجان القرين الثقافي الخامس المقرر أن يبدأ في نهاية شهر رجب المقبل ١٤ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٩٨م، ويستمر قرابة الشهر.

يشهد المهرجان مجموعة من النشاطات الثقافية والتراثية والفنية العربية والمحلية، فضلاً عن المهرجان الشعري الرابع لدول مجلس التعاون الخليجي، والذي يناقش المحاور التالية: ملامح التشكيل الفني للقصيدة العربية في دول المجلس، قصيدة النثر، إشكاليات التجريب في القصيدة العربية المعاصرة، والشعر والتلقي.

كتب جديدة

على جناح طائر: أفكار ... أشخاص.. مدن، تأليف د. شاكر مصطفى، صدر ضمن سلسلة «كتاب العربي» برقم ٣٣ عن مجلة العربي.

تراث الإسلام ج٢، تصنيف جوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث، ترجمه إلى العربية د. حسين مؤنس، وإحسان صدقي أحمد، وراجعه د.فؤاد زكريا، صدر في طبعة ثالثة ضمن سلسلة «عالم المعرفة» برقم (٢٣٤) عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصر

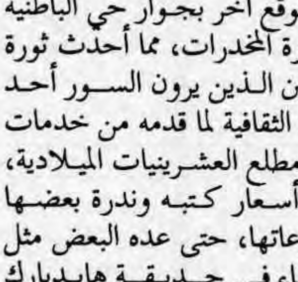
بعد ست سنوات
سور الأزبكية يعود لمكانه

بعد ست سنوات من انتقاله عاد سور الأزبكية إلى سابق عهده في موقعه القديم لخدمة الحركة الثقافية.

وكان أشهر سور لبيع الكتب القديمة المستعملة قد نقل من موقعه قبل ست سنوات إلى موقع آخر بجوار حي الباطنية الشهير بتجارة المخدرات، مما أحدث ثورة لدى المثقفين الذين يرون السور أحد معالم القاهرة الثقافية لما قدمه من خدمات للثقافة منذ مطلع العشرينيات الميلادية، نظرًا لرخص أسعار كتبه وندرة بعضها وتعدد موضوعاتها، حتى عده البعض مثل ركن الخطباء في حديقة هايدبارك اللندنية، ومثل قوس النصر في باريس، وتمثال الحرية في نيويورك.

مسابقة الشعراوي
لفواصل الآيات القرآنية

أعلن مجمع اللغة العربية عن فتح باب المشاركة في مسابقته الجديدة التي تحمل اسم فضيلة الشيخ الإمام الراحل الشيخ محمد متولي الشعراوي في دورتها الأولى تحت عنوان «فواصل الآيات القرآنية .. دراسة بلاغية».



الشيخ الشعراوي

يشترط ألا يقل البحث عن ١٥٠ صفحة ولا يزيد على ٢٠٠ صفحة، بحيث تحتوي كل صفحة على ٢٥٠ كلمة مع اتباع أساليب التوثيق والعرض العلمية والموضوعية، وأن تكون مكتوبة على الآلة الكاتبة أو الحاسب الآلي.

وتحدد يوم ١٣ رمضان المبارك ١٤١٩هـ غرة كانون الثاني/يناير ١٩٩٩ موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات، حيث تعلن نتائج المسابقة في شهر ذي الحجة نيسان/إبريل ١٩٩٩م.

يذكر أن الإمام الشعراوي كان قد أودع ٥٠ ألف جنية وديعة في أحد المصارف ليخصص ريعها للمسابقة.

ندوة المأثور الشعبي العربي

نظم مركز البحوث العربية بالتعاون مع المنظمة العربية للعلوم والتربية والثقافة - مؤخرًا - ندوة بعنوان «المأثور الشعبي العربي ... قضايا وتحديات».

ناقشت الندوة على مدار يومين عدة موضوعات منها «مؤثرات التواصل في التراث الشعبي العربي»، «الذاكرةالعربية المعاصرة»، «حماية التراث الشعبي: دور مستقبلي لعلم الفلكلور»، «التراث الشعبي وسؤال الحاضر». و«آفاق المأثور الشعبي» وموضوعات أخرى.

ذهب في سفينة نابليون
ومقبرة من عصر الهكسوس

عثر فريق آثاري مصري - فرنسي مشترك على مئة وأربعين قطعة من عملة ذهبية في موقع سفينة نابليون بونابرت المسماة «أورينت» التي غرقت خلال معركة أبي قير البحرية مع الأسطول الإنجليزي بقيادة نلسن قبل قرنين.

عثر أيضًا بالموقع على خاتمين من الذهب من العصر اليوناني الروماني بأحدهما فص من العقيق.

وتعد هذه المرة الأولى التي يعثر فيها على عملات فوق بقايا سفن نابليون.

من ناحية ثانية اكتشفت في القنطرة شرق مقبرة مدفونة على عمق أربعة أمتار أسفل أسوار قلعة

حـربيـة تعود إلى عـصـر الهكسـوس بداخلهـا هيكل عـظمي لحـصـان، ويعد أقـدم حصـان يتم الكشف عنه في مصر.

جامعة القاهرة تحتفل بمئوية د. مشرفة

احتفلت جامعة القاهرة - مؤخراً - بالذكرى المئوية لمولد العالم المصري الكبير د. مصطفى مشرفة أحد أبرز العلماء الذين أنجبهم العالم العربي في القرن العشرين، الذي قال عنه اينشتين: «لقد كان د. مشرفة رائعا وكنت أتابع أبحاثه في الذرة ... لأنه كان أعظم علماء الفيزياء».

ولد د. مشرفة بمدينة دمياط في ١١/٧/١٨٩٨م وتخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧م، وسافر إلى بريطانيا في بعثة، حيث حصل على درجة البكالوريوس من جامعة لندن عام ١٩٢٠م، ثم الدكتوراه ١٩٢٣م، من الجامعة نفسها في فلسفة العلوم، وانتخب عضواً في الجمعية الملكية البريطانية ونال عام ١٩٢٤م الدكتوراه في العلوم ، فكان أول عربي ينال هذه الدرجة العلمية من جامعة لندن، وعمل بعد عودته في مصر في مجال التدريس حتى صار أول عميد مصري لكلية العلوم.

وتركزت أبحاث د. مشرفة في مجال الضوء وميكانيكا الكم وانشطار الذرة، وكان أول من نادى بأهمية الطاقة النووية وإنشاء هيئة للطاقة الذرية في مصر، ولنبوغه اختارته الحكومة الأمريكية عضواً في اللجنة الدولية لأبحاث الذرة.

نصف قرن من الشعر الجديد

تنظم كلية الآداب بجامعة عين شمس بالتعاون مع الجمعية المصرية للنقد الأدبي مؤتمراً شعرياً بعنوان «نصف قرن من الشعر الجديد» خلال شهر رجب المقبل.

يستمر المؤتمر خمسة أيام، ويقسم الحركة الشعرية الحداثية إلى أربعة أجيال متعاقبة بحيث يخصص يوم لكل جيل أما اليوم الخامس فقد تقرر تخصيصه لشعراء العامية الذين قسموا بدورهم إلى ثلاثة أجيال.

يجيء المؤتمر بمناسبة مرور خمسين عاماً على بدء حركة الشعر الجديد في مصر.

جمعية الارتقاء بالقاهرة التاريخية

أعلن - مؤخراً - في القاهرة عن تأسيس «جمعية الارتقاء بالقاهرة التاريخية»

تسعى الجمعية إلى الحفاظ على القاهرة الفاطمية وتطويرها، وتضم في عضويتها فئات عديدة من المثقفين من كل التيارات ويرأسها د. يحيى الزيني، أستاذ العمارة في كلية الفنون الجميلة

مؤتمر «فلسطين في أوراق البردي»

يحتضن مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس مؤتمراً دولياً عن «فلسطين في أوراق البردي» خلال الفترة من ١٤إلى ١٨ جمادى الأولى الجاري (٥ - ٩ أيلول/سبتمبر ١٩٩٨م).

يدور المؤتمر حول جغرافيا فلسطين وتاريخها وأهم الهجرات السكانية إليها ومنها على امتداد العصور، واللغات التي عرفتها مثل السريانية والآرامية واليونانية واللاتينية والعربية، والظروف الثقافية والاجتماعية والعقدية التي توالت على أرض فلسطين، وكذا العلاقات مع الجيران في مصر والعراق والعقائد التي سادت وأماكنها.

ويتم خلال المؤتمر نشر نصوص كتبت على أوراق البردي تتناول الموضوعات السابقة فضلاً عن نقوش وكتابات خزفية وعملات نقدية.

يذكر أن المؤتمر تشارك فيه إلى جانب باحثي المركز وفود من سورية وفلسطين والإمارات وإنجلترا واليونان والدانمارك والنمسا والمكسيك وإيطاليا.

وفاة حاكم وعيسى

فقدت الحركة التشكيلية والإعلامية رائدين من روادهما، بوفاة فنان الكاريكاتير حسن حاكم (٦٩عاماً) والإذاعي علي عيسى (٧٢عاماً).

ويعد حاكم المتخرج في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٨م من أبرز فناني الكاريكاتير العرب، وهو سوداني الأصل أقام وعمل في مصر وأسهم برسومه الكاريكاتيرية في صحيفتي «المساء» والجمهورية» ومجلات دار الهلال المتنوعة، ومجلة العربي الكويتية، وشارك في تأسيس مجلة «الكروان» للأطفال، ونال عام ١٩٩٢م، جائزة علي ومصطفى أمين لأحسن رسام عربي.

أما علي عيسى، فقد تخرج في كلية التجارة عام ١٩٥١م، وعمل بالإذاعة حتى وصل إلى منصب رئيس قطاع التخطيط للإنتاج المركزي.

وعُرف الفقيد باهتمامه البالغ باللغة العربية والتراث، من خلال برنامجه «قل ولا تقل» وكانت آخر أعماله سهرة «قطوف الأدب من كلام العرب».

كتب جديدة

«اليونانيون في مصر ١٨٠٥ - ١٩٥٦م» تأليف د. سيد عشماوي، صدر عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية بالقاهرة.

«محاضرات في ديانة الساميين» تأليف روبرتسون سميث، ترجمه إلى العربية د. عبدالوهاب علوب، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

«أنا ماري شيمل: نموذج مشرق للاستشراق»، ترجمة وتعليق ثابت عيد، تقديم د. محمد عمارة، صدر عن دارالرشاد.

«الحزن يميل للممازحة» مجموعة قصصية لمحمد مستجاب. صدرت ضمن سلسلة «الكتاب الذهبي».

السودان

وفاة صاحب «جمرات»

توفي في جدة، في أول الشهر الماضي، الكاتب الصحفي محمد توفيق أحمد، الذي عرف بعموده الصحفي «جمرات»، الذي أوقفه للنقد الاجتماعي والسياسي على مدى نصف قرن، فكان أحد رواد الأسلوب الساخر في الكتابة الصحفية.

وكان مشاركاً في الحركة الوطنية السودانية قبل الاستقلال، وظل مهموماً

بقضايا السودان وأحواله السياسية إلى وفاته، وقد عمل في حقل التربية والتعليم، وكان أول مدير لمصلحة التأمينات والعمل، كما تولى وزارة الخارجية والإعلام، وكان عضواً في الجمعية التأسيسية عن دائرة حلفا الجديدة بعد انتفاضة إبريل ١٩٨٥م.

العراق

مهرجان الخط العربي

يقام مهرجان بغداد الرابع للخط العربي والزخرفة الإسلامية تحت شعار «الخط العربي في خدمة الحضارة الإنسانية» في نهاية شهر جمادى الآخرة المقبل منتصف تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨م .

ووجهت الدعوة إلى أكثر من مئتي خطاط من مشاهير مبدعي الخط العربي من البلدان العربية والإسلامية للمشاركة في المهرجان.

من الكتب الجديدة

سومر: أسطورة وملحمة، تأليف د. فاضل عبدالواحد، صدر عن دار الشؤون الثقافية بوزارة الثقافة والإعلام في بغداد.

سورية

اختتام مهرجان المحبة

اختتمت في الشهر الماضي أعمال مهرجان المحبة للفنون والآداب بمشاركة مجموعة من الشعراء والأدباء والفنانين من أقطار عربية مختلفة.

أقيم المهرجان في مدينة اللاذقية وضم أمسيات شعرية وندوات ومحاضرات ولقاءات فكرية إلى جانب عروض تشكيلية وسينمائية ومسرحية وموسيقية.

متحف لطوابع البريد

تعد المؤسسة العامة للبريد حالياً لإنشاء متحف للطوابع البريدية في مبنى البريد المركزي في وسط دمشق.

ومن المقرر أن يخصص جناح في المبنى للمتحف المتوقع افتتاحه خلال الأشهر الثلاثة المقبلة، ليضم مختلف أشكال الطوابع السورية وأنواعها على امتداد عشرات السنين.

كتب جديدة

الأعمال الشعرية الكاملة: للشاعر د. زكي الصراف، تقديم صديقة البياع، صدرت عن دار المدى في مشق.

طفل من الرمل، تأليف الطاهر بنجلون، ترجمه إلى العربية يوسف شلب الشام، وصدر عن دار التوحيدي في حمص.

الجواري والقيان وظاهرة انتشار أندية المقينين ومنازلهم في المجتمع العربي الإسلامي، تأليف د. سليمان حريتاني، صدر عن دارالحصاد.

لبنان

أيام جبرانية في مسقط رأسه «بشري»

أخيراً افتتح متحف الشاعر المهجري جبران خليل جبران في منزله بمسقط رأسه بمنطقة بشري في شمال لبنان.



جبران خليل جبران

أعد المتحف الذي بدأ في استقبال الزوار ليقدم برنامجاً ثقافياً تحت عنوان «أيام جبرانية» يقام مرة كل عام بمشاركة مثقفين وأدباء ومؤرخين وفنانين من أقطار عربية مختلفة.

وشملت الأيام الجبرانية التي تختتم في الثامن من شهر جمادى الأولى الجاري ٣٠ آب/أغسطس ١٩٩٨م، ندوات ومحاضرات وأمسيات وسهرات فنية.

شهر الصورة الفوتوغرافية

اختتم في الشهر الماضي أكبر مهرجان

رسائل جامعية

«مدى فاعلية برامج التوعية بالكوارث وأخطارها في توجيه المعاقين سمعياً نحو التعامل معها ووسائل الوقاية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها حمد عبدالله السويلم.

«اتجاهات المواطن السعودي نحو رجل حرس الحدود» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها علي مخلف العنزي.

«المحتمل في الرحلة العربية إلى أوربا وأمريكا والاتحاد السوفيتي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في أغادير بالمغرب، تقدم بها عبد رب النبي ذاكر.

«التشخيص الإشعاعي» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة باريس، تقدمت بها كارمن بطرس العظم.

«القسم التاسع من كتاب شرح منتهى الإرادات للعلامة منصور.

«البهوتي: تحقيق ودراسة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة أم القرى، تقدم بها سعيد بن جابر الزهراني.

«الإرهاب بين الشريعة والنظم المعاصرة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض، تقدم بها عبدالله إبراهيم العريفي.

«النظام الإقليمي للخليج العربي» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة تقدم بها محمد السعيد إبراهيم.

«سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الأصول العربية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة السوربون في باريس تقدم بها محمود مراد علي.

عالمي للتصوير الفوتوغرافي أقيم تحت عنوان «الصورة كنتاج إبداعي ووسيلة اتصال وتعبير» نظم خلال المهرجان أكثر من سبعين معرضاً للصور الفوتوغرافية بمشاركة عديد من المصورين من مختلف أنحاء العالم.

أقيم المهرجان بالتعاون بين دار النهار للنشر والمراكز الثقافية الفرنسية في لبنان والبيت الأوربي للصورة الفوتوغرافية في باريس.

كتب جديدة

الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى أين؟ منظور ثقافي، تأليف كمال الخالدي، صدر عن دار ابن رشد في بيروت.

أصواتهم: قصص من الخليج، إعداد ناصر الظاهري، وبدور عبدالملك.

يوم نفضت خزينة الغبار عن مناماتها، مجموعة قصصية لمحمد اليحيائي، صدر الكتابان السابقان عن دار الفارابي.

بنية المجتمع ومسار الدولة في لبنان، تأليف عمر كامل مسقاوي، صدر عن دار النفائس.

الفلسطينيون في إسرائيل في ظل اتفاقية أوسلو، تأليف عزيز حيدر، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

عائد إلى القدس، رواية لعيسى بلاطة، صدرت عن دار الاتحاد.

الأردن

مهرجان جرش للثقافة والفنون

شارك قرابة ١٥٠٠ مبدع ينتمون إلى أكثر من ثلاثين دولة من مختلف أقطار العالم في أعمال الدورة السابعة عشرة لمهرجان جرش للثقافة والفنون، الذي اختتم أعماله مؤخراً.

تتضمن الأرقام السابقة أعضاء ٤٢ فرقة فنون شعبية ومسرحية و٨٧ شاعراً وناقداً و٣١ نحاتاً ومهندساً معمارياً، مما يعكس هوية المهرجان الثقافية والفنية.

وأقيم ملتقى للنحاتين العرب، ومعرض للحرف اليدوية وندوة نقدية تتضمن محورين: ظاهرة المهجرية الجديدة في الشعر العربي، وأدب المرأة العربية: مساءلة لخصوصية المتخيل الأدبي، وأخرى فكرية فنية بحثية «النحت والمدينة» و«النحت والعمارة العربية» فضلاً عن مائدة مستديرة ناقشت مستقبل النحت في العالم العربي.

وإضافة إلى مشاركة شعراء ونقاد وقاصين عرب بارزين في أمسيات شعرية وقصصية، تضمن المهرجان عروضاً مسرحية وباليه وأمسيات موسيقية وغنائية.

٣٠ شاعراً في مئوية عرار

شارك قرابة ٣٠ شاعراً من أقطار عربية مختلفة في احتفال نظمته وزارة الثقافة بمناسبة مئوية الشاعر مصطفى وهبي التل «عرار» في مطلع شهر ربيع الآخر الماضي.

أقيم الاحتفال في بيت عرار الثقافي في مدينة أربد واستمر يومين وتضمن قراءات شعرية لعدد من كبار شعراء العربية المعاصرين.

من الكتب الجديدة

ثنائيات إدوار الخراط النصيّة، تأليف أحمد خريسي، صدر عن دار أزمنة في عمان.

المغرب

في منتدى أصيلة: أول مؤتمر للكتّاب الأفارقة

تختتم الدورة الثالثة لمنتدى أصيلة الثقافي الذي تنظمه جامعة المعتمد بن عباد الصيفية في السادس من شهر جمادى الأولى الجاري (٢٨ آب/

«عبارة الصوفية في الشعر العربي الحديث: موازنة بين جبران وشوقي من ناحية وأدونيس وصلاح عبدالصبور من ناحية أخرى» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا المصرية، تقدمت بها سهير محمد حسنين.

«دراسة أثرية عمرانية لسوق السلاح بالقاهرة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدمت بها بهيجة السيد حسن.

«أفعال الشعور والوجدان عند شعراء الغزل العذريين» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية آداب بنها في مصر، تقدم بها بها ناصر محمد.

«العلاقة بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي ومدى تحقق أهداف الإعلام البيئي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للدراسات والبحوث البيئية في جامعة عين شمس. تقدم بها حلمي عزيز.

«فلسفة الموت في الفكر الشرقي القديم: مصر الصين والهند» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها صابرين سعد شعبان.

«مفهوم الشيطان في الفكر الإسلامي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدم بها ناصر محمود وهدان.

«القيم التشكيلية والتربوية في اللعب الخشبية في التراث المصري» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية النوعية بالقاهرة، تقدم بها محمد طارق عبدالفتاح.

«شعر مهيار الديلمي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد عبده المشد.

«أثر التكنولوجيا في تطوير فن الصورة الصحفية: دراسة مقارنة بين الصحف اليومية المصرية والعربية» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها سعيد محمد الغريب النجار.

أغسطس ١٩٩٨م).

وشهد المنتدى الذي بدأ أعماله في منتصف شهر ربيع الآخر الماضي عدداً من الندوات والنشاطات الثقافية وعروضاً مسرحية وموسيقية ومعارض فنية، من أبرزها أول مؤتمر للكتاب الأفارقة بمشاركة نحو سبعين كاتباً من مختلف بلدان أفريقيا، وندوة «العولمة تجسيد الثغرات» بمشاركة خمسين باحثاً من مختلف أقطار العالم. كما جرت مناقشة لأعمال الفنانين التشكيليين المشاركين، وأقيمت ندوة «الفن الدولي المعاصر: التحديات والفرص» والنشاطات الأخرى.

مهرجان ثقافة كناوة

احتضنت مدينة الصويرة - مؤخراً - أعمال الدورة الأولى لمهرجان ثقافة كناوة الذي نظمته مؤسسة مهرجان الصويرة بالتعاون مع بعض الهيئات والمنظمات الدولية.

و«كناوة» أفارقة جيء بهم إلى المغرب في قرون سالفة من مالي وغينيا والنيجر، ويرتبط ذكرهم بنوع من الموسيقى الراقصة التي تؤديها مجموعات متعددة في مختلف أنحاء البلاد. وشهد المهرجان تنظيم ندوة علمية حول ثقافة «كناوة» وعاداتهم وأصولهم بمشاركة علماء في الإنسان «انثربولوجيين» ومؤرخين وخبراء من المغرب وبلجيكا وإيطاليا، فضلاً عن مجموعة محاضرات عن «كناوة» وثقافتها ومجموعة من العروض الخاصة بالفن الكناوي، شارك فيها فنانون عالميون من أمريكا وأوربا.

الفائزون بجوائز المغرب للكتاب

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين بجائزة المغرب للكتاب التي تمنحها وزارة الشؤون الثقافية المغربية في مجالات الإبداع الأدبي والنقد الأدبي، والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية والترجمة.

نال جائزة الإبداع الأدبي الروائي والقاص محمد عز الدين عن مجموعته القصصية «شبابيك» وحاز جائزة النقد الأدبي الناقد سعيد يقطين عن دراسته «قال الراوي» وفاز بجائزة العلوم الإنسانية بلقاضي عبدالحفيظ عن بحثه «مفهوم حق المؤلف»، وجائزة العلوم الاجتماعية عبدالقادر كعبوة عن دراسة باللغة الفرنسية حول الدار البيضاء .. الصناعة والمدنية، فيما كانت جائزة الترجمة من نصيب المترجم خالد بن الصغير عن كتاب «تجار الصويرة».

نوافذ

هذا هو عنوان أحدث مجلة فصلية ثقافية، صدر عددها الأول مؤخراً، ساعياً إلى «تأسيس فضاء لتبلور الفكر المستقل المنفتح على مختلف التغيرات التي يشهدها عالم اليوم»

يدير تحرير «نوافذ» أحمد الحارثي وتضمن العدد الأول موضوعات متنوعة من أبرزها: تأملات في الحقل الثقافي المغربي، والعلمانية والإسلام، والمجتمع المدني والديمقراطي وصراع النخب.

يذكر أن هناك مجلة أخرى تحمل ذات الاسم تصدر في السعودية. كما توجد سلسلة إصدارات بالاسم نفسه في مصر.

كتب جديدة

شموس طنجة، مجموعة قصصية لأحمد بن شريف، صدرت عن دار نشر سلكي إخوان في طنجة.

أوراق الجنوب، تأليف أحمد بن شريف، صدرت ضمن سلسلة إبداع «شراع»

الشعر العربي الحديث: دراسة في المنجز النصي، تأليف رشيد يحياوي.

حقيقة الإسلام، تأليف عبدالهادي بوطالب.

صدر الكتابان السابقان عن دار إفريقيا الشرق بالدار البيضاء.

سفر في الإنسان، تأليف زهور كرام، صدر عن دار البوكيلي للطباعة والنشر في القنيطرة.

المركزية المغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات، تأليف د. عبدالله إبراهيم، صدر عن المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء.

مملكة الكتاب: تاريخ الطباعة في المغرب ١٨٦٥ - ١٩١٢م، تأليف فوزي عبدالرزاق، ترجمه إلى العربية خالد بن الصغير وصدر عن جامعة محمد الخامس.

البرتغال

ندوة ابن ماجد

احتضن معرض اكسبو لشبونة ٩٨ ندوة نظمتها الإدارة الثقافية بوزارة الإعلام والثقافة الإماراتية عن «رائد العلوم البحرية والفلكية الملاح العربي أحمد بن ماجد» في شهر ربيع الآخر الماضي.

تناولت الندوة التي شارك فيها عدد من المتخصصين العرب والبرتغاليين العلوم البحرية والفلكية التي برع فيها ابن ماجد، ومدى استفادة البحارة البرتغاليين منها، وأراجيز ابن ماجد في وصف البحار والمسالك البحرية والموانئ والعلوم الفلكية عند العرب وفضلها على الغرب، ومؤلفات ابن ماجد وما تركه من آثار علمية، وموضوعات أخرى.

بريطانيا

معرض الكتاب العربي الأول

اختتم - مؤخرا - في جامعة لندن معرض الكتاب العربي الأول الذي اقيم برعاية اتحادي الكتّاب والناشرين العرب.

شارك في المعرض عدد من دور النشر العربية، وتحول إلى مهرجان عربي ضم أمسيات شعرية ومحاضرات فكرية وثقافية وعروضاً فنية وسينمائية، وقدمت لجنة المعرض قاعة خاصة للجاليات العربية، لتقدم كل جالية في يوم مخصص لها معروضاتها الإقليمية.

أكبر ٤ معارض لتاريخ الأرض الطبيعي

شهد متحف التاريخ الطبيعي في لندن - مؤخراً - افتتاح أكبر أربعة معارض في العالم، بلغت تكلفتها ١١,٥ مليون جنية استرليني.

حمل المعرض الأول عنوان «منذ البدء»، ويلقي الضوء على نشأة الكون منذ ١٥ بليون عام وحتى ظهور الحياة البدائية، وكان المعرض الثاني بعنوان «ثروة الأرض»، ويصور كنوز الكرة الأرضية،

وحمل المعرض الثالث عنوان «الأرض اليوم وغداً»، وتعرض للمؤثرات الإنسانية في البيئة، وجاء المعرض الرابع تحت عنوان «معمل الأرض» وفيه يستطيع الزائرون تعرف الحفريات والمعادن والصخور ومقارنتها بعضها ببعض.

جوائز لأفضل المؤلفات عن الشرق الأوسط

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين بجائزة «صندوق عبدالله المبارك» للأعمال الخيرية لأفضل المؤلفات عن الشرق الأوسط لعام ١٩٩٨م.

والفائزون هم: الباحث جيمس مونتجمري عن كتابه: «متاهات القصيدة: التقاليد والممارسة في الشعر العربي المبكر»، والباحث يزيد صايغ عن كتابه «الكفاح المسلح والبحث عن دولة: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩ -١٩٩٣م» والمترجم روجر باركنسون عن ترجمته «قصة سنوحي وقصائد من العصر الفرعوني ١٩٤٠ق.م - ١٦٤٠ ق.م» والباحثون هـ كروفورد، كيلليك، ج مون عن كتابهم « معبد دلمون: إرث البحرين الأريولوجي».

يذكر أن الجوائز تمنحها الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط ومقرها لندن.

معرض ويلات الحروب

نظم متحف ويثورث للفنون في مدينة مانشستر مهرجاناً فنياً تحت عنوان «ويلات الحروب» لعرض إبداعات ثلاثة فنانين تأثروا بويلات الحرب التي ألقت بظلال نفسية على أعمالهم الفنية على الرغم من القرون التي فصلت بينهم، حتى تبدو إبداعاتهم إبداع رجل واحد وقع ضحية لتلك الصراعات الدموية.

والفنانون هم: جاك كايوث (١٥٩٢ - ١٦٣٥م)، وفرانسيشكو جويا (١٧٤٦ -١٨٢٨م)، وأوتو ديسكي (١٨٩١- ١٩٦٩م).

وفاة الصحفي عوني بشير

فقدت الصحافة العربية في المهجر واحداً من أبرز أقلامها بوفاة الكاتب الصحفي الفلسطيني عوني بشير عن عمر يناهز ٥٣ عاماً.



عوني بشير

ولد عوني بشير في قرية أبوشوشة قضاء الرملة بفلسطين عام ١٩٤٥م، وعاش مأساة النكبة والتهجير، فأقام في الأردن ثم في لبنان، وعمل في الإمارات العربية المتحدة، إلى أن استقر في لندن في مطلع الثمانينيات الميلادية، عمل في مجلة «الموقف» ثم «التضامن»، إلى أن استقر به المقام في مطبوعات الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، وتحديداً في مجلة المجلة وسيدتي وجريدة الشرق الأوسط، وعُرف بأسلوبه الساخر مع عمق الفكرة والمحتوى، وحرصه على الأساسيات القومية والوطنية.

شعر بايرون في لوحات تشكيلية

شهد متحف تيت جاليري في لندن معرضاً فريداً من نوعه يضم لوحات للفنان البريطاني تيرنر.

جديد المعرض أن اللوحات وعددها ٨٠ لوحة زيتية ومائية وتخطيطية قد استلهم الفنان موضوعها من قصائد رومانسية للشاعر البريطاني لورد بايرون.

يذكر أن تيرنر أحد الذين اسهموا في تأسيس تيت جاليري قبل مئة عام.

ندوة القصة العراقية

عقدت ندوة القصة العراقية دورتها الثالثة - مؤخراً - في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن.

ناقشت الندوة موضوعي «الشخصية المحورية في الرواية العربية»، و «الشخصية المحورية في القصة القصيرة» وتم خلالها تكريم اسم الروائي العراقي الراحل غائب طعمة فرحان.

أحدث الكتب

التاريخ المحرم: قراءة تحليلية وقائعية في الفكرالسياسي العراقي نموذجاً، تأليف نبيل ياسين، صدر عن دار الرافد للنشر.

فيلبي العرب، تأليف اليزابيث مونرو، طبعة جديدة بتقديم السير جيمس كريج، صدرت عن دار فورد ورد

٧، رواية للدكتور غازي القصيبي.

الحركة الثقافية في شهر

مصادر الديموقراطية، تأليف لاري دايموند، ترجمته إلى العربية سمية فلو عبود، صدر الكتابان السابقان عن دار الساقي.

الحرية والحداثة والإسلام، تأليف ريتشارد خوري، صدر عن دارالنشر ذي اتلون برس.

تشيخوف الأساس الخفي، تأليف فيليب كالو، صدر عن دار نشر كونستيبل.

فرنسا

تراجع مبيعات الكتب

سجلت إحصاءات للنقابة القومية للنشر تراجعاً لمبيعات الكتب في فرنسا خلال العام الماضي بنسبة طفيفة تبلغ نصف في المئة.

وأشارت الإحصاءات إلى أنه على الرغم من هذا التراجع فإن الكتب الدينية زادت مبيعاتها بنسبة ٢٢٪ كما ارتفعت مبيعات مجلات وكتب الرسوم المتحركة بنسبة ١١٪ فيما انخفضت مبيعات الكتب الأدبية والفنية بنسبة ٢١٪.

كوكب حول فيرن

كانت أعمال أديب الخيال العلمي الفرنسي جول فيرن موضوع معرض استضافته - مؤخراً - متحف ديجول.

حمل المعرض عنوان «كوكب حول فيرن» وضم نماذج الاكتشافات والتطورات التي تخيلها فيرن المولود عام ١٨٣٨م والمتوفى ١٩٠٥م.

جائزة بول موران لروندو

منح الكاتب دانيال روندو الجائزة الأدبية الكبرى للأكاديمية الفرنسية التي تحمل اسم الكاتب الراحل بول موران عن مجمل أعماله الأدبية.

وكان روندو قد نال قبل شهرين جائزة

الحركة الثقافية في شهر

«مــاجــو» الأدبيــة عن كــتــابـه عن «الإسكندرية» ومن أبرز أعـمـاله روايتـاه: «الأعياد المقسمة» و «الرجال الأحرار».

أحدث الكتب

النزعات القومية في أوربا، تأليف أريك نجويه، صدر عن دار لاموند في باريس.

صور مـن الفكر، تأليف والتربنجـامين، صدر عن دار نشر كريستيان بورجوا.

الشباب ووسائل الإعلام، أبحاث لمئة وخمسين باحثًا من مختلف أنحاء العالم، صدر عن منظمة اليونسكو.

ابن رشد: عـقلاني في الإسـلام، تأليف روجر ارنالد، صدر عن دار نشر بلان.

الوافي في الحـــمص، تـأليف روبيــر يـستوفلـي، وفاروق مردم، صـدر عن دار نشر سندباد ـ اكت سود.

الهـادية، رواية الكاتب الروسي ليـونيـد اندرييف، ترجمـتها إلـى الفرنسيـة صوفي بينـش، وصــدرت عن دار نشــر جــوزيه كورثي.

شمـوع سوداء، ديوان للشـاعر عبدالله زريعة، صدر عن دارنشر لاديفيررونس.

الهند

برنامج اليونسكو لترميم تاج محل

بدأت منـظمــة اليـونسكـو في اتخــاذ الإجراءات التنفـيذية لبرنامج يستـمر ثلاثة أعوام لترمـيم ضريح تاج محل باسـتخدام التقـنية الحديـثة، وأفضل الوسـائل العلمـية للحفاظ على هذا الأثر العالمي.

وكـان الـضريح قـد تـأثر سلبًا بـعـدة عوامل ألحقت به أضرارًا منها تلوث الهواء والبيئة والأمطار الشديدة.

تشيخيا

افتتاح أول مسجد

دُشن ـ مؤخرًا ـ في مدينة برنو بحضور شخصيات إسلامية ونصرانية أول مسجد في جمهورية تشيخيا.

يخـدم المسجـد نحـو ٢٠ ألف مـسلم مـقيـمين في تشيـخيـا غالبيتـهم من أصل عـربي، ونحـو ٤٠٠ منهم من أهل البـلاد الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام.

الولايات المتحدة الأمريكية

رودتشينكو مبدع متمرد

ينظم الفن الحـديث في نيـويورك حاليًـا معرضًا تشكيليًا تحت عنوان «رودتشينكو .. مبدع متمرد».

يضم المعرض مـجـموعـة من أعـمـال الفنان الروسي الكسـندر ميـخائيـلوفيتش رودتشـيـنكو، أحــد أبرز رواد الحــركــة الإبداعـية الروسـيـة في النصف الأول من القــرن العشــرين، ويسلط الضــوء على ريادته وخـصائص أسلـوبه، كمـا يكشف النقـاب عن الضغـوط التي مـارسهـا نظام ستــالين في التـعـتـيم على ردوتشـينكو وأعماله ومحاولة تهميشه.

أحدث الكتب

نفـوس مـذنبـة، تأليـف دوروثي لويس، صدر عن دار نشر بالونتين.

الضبـاب، رواية لديليا فـالكنر، صدرت عن دار نشر فارير ستراوس جيرو.

النمسا

حضارة اليمن في فيينا

تستضيف مدينة فيـينا معرضًا للحضارة اليمنية يضم نحو ستمئة قطعة أثرية خلال شهر جمادى الآخرة المقبل.

تغطي القطع المشاركـة حقـب التـاريخ اليـمني القديم كـافـة، من عصـور ما قـبل الميـــلاد إلـى العـــصــــور الميـــلادية والعـصـورالإسـلامـيـة ومـا نتج عنهـا من مـخطوطـات ورقـون قـرآنيـة وعـمـلات معدنية تعود إلى أولى سنوات الإسلام في اليمن.

يستـمـر المعرض حتى الثلث الأول من شـهر رمـضـان المبـارك المقبل (نـهاية عـام ١٩٩٨م) وتقـام على هامـشـه ندوات ومحاضرات ثقافيـة وفنية وتاريخية تعرف بتاريخ اليمن وفنونه.

يذكـر أن المعرض يأتـي امـتـدادًا لذلك الذي استضافته باريس مؤخرًا.

اليونان

اجتماع دولي لجمعية أصدقاء مكتبة الإسكندرية

تستـضيـف أثينا في نـهاية شـهـر جمـادى الأولى الجاري اجتماعًا دوليًـا لأعضاء جمعية مكتبة الإسكندرية.

يرمي الاجتـماع إلى مـتابعـة أعمـال جمع أمهـات الكتب التراثية وتنشيط المنح الدولية لإعادة بناء المكتبة في موقعها القديم والبدء في مباشرة البناء.

وقد تقـرر أن يوضع تمثال للقـائد الإغريقي

الإسكندر الأكبر في مدخل المكتبة، وتجاوره نماذج من آثار اليونان القدامى (الأغريق).

المكسيك

توقف «فيولتا» نزولاً على رغبة أوكتافيوباث

توقفت مجلة «فيولتا» عن الصدور اعتباراً من الشهر الماضي نزولاً على رغبة مؤسسها الكاتب الراحل اوكتافيوباث.

وكان باث قد أصدر «فيولتا» عام ١٩٧٦م، وتضمن العدد الأخير لها مقتطفات من أعدادها السابقة ويتوقع أن يصدر المساهمون في المجلة مجلة جديدة لها طابع المجلة المتوقفة نفسه اعتباراً من الشهر الجاري (أيلول/سبتمبر ١٩٩٨).

المجر

معرض الكتاب يهتم بمخطوطات البحر الميت

شاركت ٧٠ دار نشر في أسبوع الكتاب التاسع والستين الذي اختتم - مؤخرًا - في بودابست.

ولوحظ اهتمام المعرض بالتاريخ العربي الإسلامي والثقافات القديمة في المنطقة العربية، من خلال عدد من الكتب التي تتناول مخطوطات قمران والبحر الميت، ومن أهمها كتاب البروفسور جيزاكوموروتسي الصادر عن دار أوزيريس للنشر بعنوان «كلمة مدوية في البرية».

إسبانيا

٦٥٠ فيلسوفًا يبحثون كسر سنوات العزلة

يلتقي ٦٥٠ فيلسوفًا من البرتغال وإسبانيا وأمريكا اللاتينية في مؤتمر هو الأول لهم يعقد بمدينتي مدريد ومريدة بهدف تقديم حصيلة الاستعدادت المشتركة لاستقبال القرن الحادي والعشرين.

يبدأ المؤتمر مع غرة شهر جمادى الآخرة المقبل ويستمر خمسة أيام، ويهدف إلى كسر العزلة التي دامت سنوات بين فلاسفة تلك البلدان وأمريكا اللاتينية والإعداد لموسوعة الايبروامريكية.

من أحدث الكتب

مختارات من الأدب الإسباني المعاصر، تأليف ارتورو بيريز، صدر عن دار نشرالفاجوارا.

ثلاثون قصيدة عربية في سياقها، تأليف مجموعة من الشعراء العرب القدامى والمحدثين، ترجمها إلى الإسبانية خايمي سانشيت راتيا، وصدرت عن دار نشر هيبريون.

بلجيكا

الشعر.. والألفية الثالثة

تنظم دار الشعر الدولي ندوة في مدينة لييج تحت عنوان «نداء للملهمين: الألفية الثالثة .. الشعر ورجل المستقبل» خلال الفترة من ١٢ إلى ١٦ جمادى الأولى الجاري (٣ - ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٩٨م).

تبحث الندوة كيفية مواجهة الشعر للألفية الثالثة من هذا العصر، ويترأسها مدير عام منظمة اليونسكو فردريكو مايور، ويمكن لكل دولة المشاركة بثلاثة شعراء وتتحمل دار الشعر في بلجيكا نفقات التسجيل والإقامة والإعاشة والتنقلات الداخلية، أما نفقات السفر الدولية فتتحملها الدول أو الجهة المرسلة للشعراء.

روسيا

معرض تحف ولوحات عصر الإمبراطورة كاترين

اختتم - مؤخرًا - في متحف الأرميتاج بمدينة سان بطرسبرج معرض ضم ٢٥٠ قطعة فنية ترجع إلى عصر الإمبراطورة كاترين.

تنوعت المعروضات ما بين لوحات فنية وتحف، من أبرزها لوحة رسمت للإمبراطورة كاترين عام ١٨٧٠م.

ألمانيا

الاحتفاء بمنح جيلينيك جائزة بوشنر

تقيم مدينة دار مستاد مهرجانًا ثقافيًا للاحتفاء بالأديب النمساوي الفريد جيلينيك (٥١ عامًا) بمناسبة حصوله على جائزة جورج بوشنر الأدبية عن مجمل أعماله في السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة المقبل (١٧ تشرين الأول أكتوبر ١٩٩٨).

وكان الشاعر النمساوي أرثمان قد حصل على الجائزة نفسها العام الماضي.

من ناحية ثانية منح الأديب النمساوي كريستوف رانسماير (٤٣ عامًا) جائزة فريدريك هولدرين الأدبية عن مجمل أعماله.

أحدث الكتب

الجواهري: شاعر من القرن العشرين، تأليف د. جليل العطية.

محطة النهايات، رواية لعارف علوان.

صدر الكتابان السابقان عن دار الجمل.

فلسطين كاستعارة، مجموعة حوارات أجريت مع الشاعر الفلسطيني محمود درويش، صدرت عن دار بالميرا بمدينة هايد لبارج.

المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية

يناقش الكتاب آخر ما أصاب المسلمين من جراء الغزو الفكري والثقافي، وهو نجاح الغزاة وأعوانهم في فصل الدين عن الدولة، والدنيا عن الآخرة في بعض البلدان الإسلامية، «تصوراً، وإيمانًا، وعلمًا، وممارسة، وقانونًا وتشريعًا»، وما نتج عن ذلك من شيوع العلمانية التي كان من أخطر تأثيراتها فرض القوانين الوضعية حتى جاءت وثائق حقوق الإنسان النابعة من التصور العلماني بوصفها نتائج تلك القوانين.

تناول الدكتور عدنان علي رضا النحوي، هذه القضية في ثمانية أبواب. وتدور الأبواب الأربعة الأولى حول «العلمانية»، جذورها ونشأتها، وتطورها، وأسس اختلافها عن الإسلام، وتسللها إلى العالم الإسلامي، وأهم نتائج العلمانية.

وخصص الأبواب: الخامس والسادس والسابع، لمناقشة «حقوق الإنسان الوضعية»، جذورها، ونشأتها، ومسيرتها، والتصور الإيماني لحقوق الإنسان، ونشأة هذا التصور، ومسيرته، وخصائصه، والحق الأول والأكبر الذي أهملته حقوق الإنسان الوضعية، وامتداد حقوق الإنسان في الإسلام، ثم عرض نماذج من حقوق الإنسان في ميدان الممارسة. وفي الباب الأخير عرض المؤلف «قضايا وعقبات يراوح الاجتهاد والفتاوى فيها بين تيسير وتفلّت، وبين مبشرات وتحذير».

الكتاب يقع في ٤٤٢ صفحة من القطع المتوسط. وقد صدر عن دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض.

جهود دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مجال محو الأمية وتعليم الكبار

يتيح هذا الكتاب، للمطلع على فصوله، الوقوف بشمول وموضوعية، على ملامح التجربة الخليجية في مجال محو الأمية وتعليم الكبار. وقد قام سليمان بن عبدالرحمن الزهير بتقسيم موضوع كتابه إلى خمسة فصول رئيسة، تناول في الفصل الأول العناصر الأساسية لمكونات الاستراتيجية (الخطة) العربية الموجودة لمحو الأمية وتعليم الكبار، وهي الاستراتيجية التي نبعت من خبرة عريضة، ونتيجة لاستقصاء شامل، لأوضاع الأمية في البلاد العربية، ورصد دقيق لها. وقد أشارت معظم الأمور التي ضمنتها الدول تلك الاستراتيجية إلى أن خطر الأمية مايزال قائمًا على الرغم من الجهود الكبيرة المبذولة في مواجهتها.

وفي الفصول الأربعة التالية، قام المؤلف بتسليط الضوء على جهود دول مجلس التعاون الخليجي في مجال محو الأمية وتعليم الكبار، ووازن بين نظمها في هذا المجال، ثم عرَّف مركز تدريب قيادات تعليم الكبار في دول الخليج العربية، الذي يتخذ من دولة البحرين مركزًا، وأخيرًا عرض بعض مشكلات محو الأمية وتعليم الكبار في المنطقة، والحلول المطروحة لعلاجها. ومن أهم تلك المشكلات، أن مفهوم محو الأمية السائد في بعض دول المنطقة يعتمد على مهارات القراءة والكتابة والحساب فقط، وقد أكد المؤلف أهمية تجاوز هذا المفهوم الضيق ليأخذ نشاط محو الأمية مضمونًا حضاريًا يرتبط بحركة تجديد المجتمع وتقدمه الحضاري.

وأورد المؤلف مشكلتي الإحجام والتسرب بوصفهما من المعوقات التي ترتبط بالأميين والدارسين، وساق جملة من العوامل الاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، التي تؤدي إلى مشكلة الإحجام، وأما مشكلة تسرب الدارسين التي تتمثل في انقطاع الأمي عن الدراسة وعدم عودته إليها في العام نفسه، فأسبابها قصور في تأهيل معلمي محو الأمية وتعليم الكبار، وعدم إشباع بعض المناهج رغبات الدارسين، وعوامل نفسية متعلقة بالدارس نفسه.

ومن المشكلات التي أوردها - أيضًا - اقتصار مسؤوليات محو الأمية وتعليم الكبار على الجهد الرسمي، ودعا المؤلف إلى أهمية حشد جميع الجهود، واتخاذ أسلوب المواجهة الشاملة كأساس لحالات محو الأمية في مواقع العمل.

الكتاب يقع في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في طبعته الثالثة عام ١٤١٦هـ.

مشكلة المخدرات في الوطن العربي

بحث يلقي الضوء على مشكلة المخدرات في البلاد العربية، من واقع دراسة درجة انتشار المعلومات والخبرات بالمخدرات لدى الشباب العربي، وقد قام الباحث الدكتور عبدالحليم محمود السيد بإجراء دراسة على عينة من تلاميذ المدارس الثانوية في عدد من البلاد العربية «بوصفهم زهرة الشباب وأمل المستقبل».

والبحث محاولة «لسد الثغرة القائمة في عدم تكامل الصورة المتوافرة لدى متخذي القرار، والمخططين، والمنفذين للسياسات التعليمية والإعلامية والتشريعية والوقائية والعلاجية فيما يتصل بالجوانب المشتركة من مشكلة المخدرات بين الدول العربية، والجوانب التي قد تنفرد بها دولة دون أخرى». وكذلك يمثل هذا البحث خطوة نحو توفير حد أدنى مشترك من المعلومات الواقعية عن درجة انتشار المعلومات والخبرات بالمواد المؤثرة في الحالة النفسية في البلاد العربية؛ وذلك حتى توضع حصيلة البحث في الحسبان، عند رسم السياسات التعليمية والإعلامية والوقائية لمكافحة هذه الآفة التي تهدد عقول أبناء الأمة وطاقاتهم.

ويشير الباحث إلى أن الدراسة قد كشفت عن درجة يسيرة من التشابه بين أبناء الدول العربية في الأسباب والظروف التي تدفع بعضهم إلى تعاطي المواد المخدرة أو المؤثرة في الأعصاب، وكذلك الظروف والدوافع التي تمنع أو تقي من تعاطي هذه المواد، مما يؤكد أن تآزر الجهود على مستوى الوطن العربي، والإفادة من الخبرات المحلية في كل بلد، وتنميتها، ودعم الدراسات الاستكشافية في هذا المجال سيُضيِّق الخناق على هذا الوباء، ويحصن أبناء الأمة، ويستثمر طاقاتهم فيما يعود بالنفع على الأمة ومستقبلها.

عالج المؤلف موضوع بحثه من خلال ٦ فصول، وتوصل إلى عدد من التوصيات، منها تأكيد أهمية إجراء دراسات وبائية على عينات ممثلة للأطفال ولتلاميذ المدارس الإعدادية والمتوسطة، وطلاب الجامعات، والعمال والمواطنين، والتخطيط لبرامج وقائية من الدرجتين الأولى والثانية، ودعم البرامج العلاجية. كما أوصى بإنشاء جهاز عربي في ظل أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية لإجراء الدراسات الوبائية عن المخدرات وتنظيم دراسات وحملات لتغيير الاتجاهات نحو المخدرات، والعمل على نقل الخبرات المتصلة بأساليب الوقاية وتعاطي المخدرات.

الكتاب يقع في ٣٢٧ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ ..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

مُسابقةُ مَجلّة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150 ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة الفيصل، ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٦٠

ج١: من الأحاديث التي وردت في فضل سُنَّة الفجر:
* ما رواه أحمد ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الركعتين قبل صلاة الفجر: «هما أحب إليَّ من الدنيا جميعًا».
* وما رواه أحمد وأبو داود والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدعوا ركعتي الفجر وإن طردتكم الخيل»؛ أي لا تتركوا ركعتي الفجر مهما اشتد العذر حتى لو كان مطاردة العدو.
* وما رواه الشيخان وأحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة من الركعتين قبل الصبح».

ج٢: هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي. طبيب من العلماء. ولد في الزهراء قرب قرطبة، وإليها نسبته. اختلف المؤرخون في تاريخ مولده ووفاته، وهو أشهر من ألّف في الجراحة عند العرب، وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف. أشهر كتبه: «التصريف لمن عجز عن التأليف»، في الطب. وقد تُرجم هذا الكتاب النفيس إلى اللاتينية والعبرية، وكان له أعظم الأثر في النهضة الأوروبية مدة خمسة قرون، وهو يحوي فصولاً شائقة للعديد من العمليات الجراحية، كما حوى أشكالاً ورسومًا للآلات الجراحية التي ابتكرها الزهراوي لجراحاته. من مؤلفات الزهراوي الأخرى: تفسير الأكيال والأوزان، المقالة في عمل اليد.

نتائج مسابقة العدد ٢٦٠

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، معزة سيد أحمد قبسة، بورتسودان، السودان.
وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، بهية بنت عبدالله الأمين، حضرموت، اليمن.
وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، مامادو اندنغو، دكار، السنغال.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:
١- أمان سلامة، مدريد، إسبانيا.
٢- محمد بن حامد بن قحاص الأحمري، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٣- عثمان عبداللطيف الحاجي، دمشق، سورية.
٤- محمد بيعبي، مكناس، المغرب.
٥- إيمان توفيق توفيق أحمد، القاهرة، مصر.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:
١- تسنيم فيصل طاهر عناية، ولاية الرُستاق، سلطنة عُمان.
٢- سفيان عامر الأسدي، عمَّان، الأردن.
٣- مراد زاوي، المسيلة، الجزائر.
٤- إسماعيل حامد إبراهيم، المحرق، البحرين.
٥- ريحان محمد رمضان خير الله الأحمر، أبو ظبي، الإمارات العربية.
٦- مولاي حيدرة، تونس، الجمهورية التونسية.
٧- فاطمة محمد حريق آل مسفر الأسمري، أبها، المملكة العربية السعودية.
٨- فؤاد محمد حمام شعبي، أغادير، المغرب.
٩- عيسى عبدالرحمن كونفي، دمشق، سورية.
١٠- أحمد شاه فاضل بن ولي محمد، بيشاور، الباكستان.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
١- هاشم مجذوب أحمد نوراي، بورتسودان، السودان.
٢- فرح علي سليمان، بابل، العراق.
٣- صلاح الدين تكريتي بن عبداللطيف، الدوحة، قطر.
٤- صابرين السيد السحراوي، الدقهلية، مصر.
٥- عبدالقادر بياز بن ميسوم، الجلفة، الجزائر.

أسئلة مسابقة العدد ٢٦٣

س١: واحدة من أمهات المؤمنين. قالت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها: «فما أعلم أن امرأة كانت أعظم بركة على قومها من (......)». فمن هي؟

س٢: عالم لغوي شهير. من مؤلفاته: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، فقه اللغة، يتيمة الدهر. فمن هو؟

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٦٣
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنَامَ

يقال في الأمر الخفي قد ظهر ما يدل عليه.

والقطا نوع من الطير يأوي عادة إلى عشه في الليل، فإذا وجد ليلاً طائرًا عُرف أن أمرًا قد أفزعه.

قالوا: إن رجلاً من العرب يسمى غاطس بن خلاج سار إلى رجل يسمى الريان في قبائل حمير وخثعم وهمدان وغيرهم، ولقيهم الريان في أربعة عشر حيًا من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ثم تحاجزوا، ولكن الريان هرب في الليل مع أصحابه، وساروا يومهم وليلتهم حتى ظنوا أنهم بعدوا، فعسكروا حيث وصلوا، وأصبح الصبح فغدا غاطس إلى قتالهم فلم يجدهم في مكانهم، فجد في طلبهم، ولم يزل حتى اقترب من المكان الذي عسكر فيه الريان، ونظر الريان وأصحابه فوجدوا القطا يمر بهم طائرًا فزعًا فصاحت ابنة الريان:

آلا يا قومَنَا ارتَحلِوا وسيروا
فلو تُركَ القطَا ليلاً لناما

سيد قومه

قال معاوية بن أبي سفيان لرجل اسمه عرابة الأنصاري:
كيف أصبحت سيد قومك يا عرابة؟
أجاب عرابة: لست سيدهم يا أمير المؤمنين.

سأله معاوية: هل تنكر الأمر الواقع يا عرابة وقد جعلك قومك سيدًا عليهم؟

قال عرابة: لست بسيدهم ولكني رجل منهم، عندما تصيب أحدهم حادثة أساعده، وعندما يغضب أحدهم ويخطئ أتحمله حتى يهدأ، وعندما يحكم أحدهم بين الآخرين بالعدل أسانده وأقف في صفه، فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن فعل أقل من ذلك فأنا أفضل منه ومن فعل أكثر من ذلك فهو أفضل مني!!

فقال معاوية معجبًا: صدقت يا عرابة ولذلك فأنت بذلك تكون أفضلهم وسيدهم!!!

عدل

اشتهر القاضي العربي المسلم (شريح) بالعدل المطلق بين كل الخصوم سواء من كان منهم من علِيّة القوم أو من عامة الشعب.

ويروى عنه أن الأشعث بن قيس - وهو من كبار القوم - دخل على شريح في مجلس الحكم فقال له شريح هاشًا باشًا!

- مرحبًا وأهلاً بشيخنا وسيدنا!

وأجلسه معه، وبينما هو جالس معه إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث بصوت عال، وظهر الغضب على وجه الأشعث، لكن القاضي شريح قال له:

- قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك!

قال الأشعث:

- لا لا! بل أكلمه في مجلسي الذي أجلستني فيه أنت!

- انظر يا حضرة القاضي ماذا يقول؟ فقال له القاضي العادل شريح:

- صه! سيقوم ويقف إلى جوارك وأسمع منكما بالتساوي.

فلم يقبل الأشعث قول القاضي، فقال له في هذه المرة:

- يا أشعث لتقومَنَّ أو لآمُرَنَّ من يُقيمك!

فقام امتثالاً وقضى بينهما شريح بالحق وبعد ذلك أجلسه معززًا مكرمًا كأن لم يحدث شيء.

ابن جبير والحجاج!

يروى أن الحجاج لما أمر بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد: «إنّي وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين. الأنعام: ٧٩.

فقال الحجاج بغضب: شدوه إلى غير القبلة.
وعندئذ قال سعيد: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وجهُ الله. البقرة: ١١٥.
فقال الحجاج في صياح: كُبوهُ على وجهه!
فقال سعيد: منها خَلَقْنَاكُم وفيها نُعيدُكم. طه: ٥٥.
وسَيَعلَم الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبون. الشعراء: ٢٢٧.
فقال أحد الحاضرين في همس:
- لقد كان كلام سعيد كله بالقرآن وهذا هو الإيمان الحق...!

ليتني لم أخلق

حكي أن المنصور العباسي وجد بنفسه اشتياقًا للطواف ليلاً



بوابة جامعة الملك سعود بمدينة الرياض

استراحة العدد

بالكعبة، وبينما هو في طوافه
يحرسه عدد من رجاله سمع رجلاً منزويًا في ركن من أركان الكعبة يقول في ابتهال: رب إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، والطمع الذي لا يبقي ولا يذر في يد الضعفاء من الناس! اللهم إليك نلجأ وإليك المصير وأنت على كل شيء قدير يارب!
فأرسل المنصور إلى الرجل يدعوه ليعرف سبب ما يقول، فلما حضر قال له:
ـ ما الذي سمعتك تذكر من البغي والفساد والطمع؟
فرمقه الرجل وقال بثبات: الذي دخله الطمع وظهر منه البغي والفساد هو أنت!!
فتمالك المنصور نفسه وقال: وكيف يدخلني الطمع وكل شيء بيدي؟!
فقال الرجل: إن الله استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وجعلت بينك وبينهم أبوابًا من الحديد وحجبة معهم السلاح، ثم سجنت نفسك فيها عنهم، وأمرت ألا يدخل عليك إلا نفر يسير من خواصك، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف الفقير! فكيف تعرف أنك تحكم بالعدل وأنت على هذه الحال؟!
فبكى المنصور وراح يردد كملهوف: ليتني لم أخلق ليتني لم أخلق.

حول العالم في ٧١ يومًا

ذكرت الصحف الفرنسية أن البحار الفرنسي «أوليفيه دي كير سوزون» وطاقمه المؤلف من ٦ أشخاص حطم الرقم القياسي العالمي في الإبحار حول العالم، حيث أنهى رحلته في ٧١ يومًا و ١٤ ساعة و١٨ دقيقة و٨ ثوان على متن يخته.. وكان الرقم السابق ٧٤ يومًا و٢٢ ساعة و ١٧ دقيقة وسجله النيوزيلندي سير «بيتربليك» قبل أوليفيه بثلاثة أعوام.

وصية الشافعي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أطعِ الإله كما أمَرْ
واملأ فؤادَك بالحذَرْ
وأطعْ أباكَ فإنه
ربّاكَ في عهد الصغر
واخضع لأمك وارضها
فعقوقهاَ إحدى الكُبَر!

ضد البيع

للمرة الخامسة على التوالي يعرض اليخت الخاص بالرئيس اليوغوسلافي الراحل «جوزيف بروز تيتو» للبيع في مزاد علني ولم يجد مشتريًا له. وكان أحد أصحاب الملايين من الأمريكيين قد أعرب عن رغبته في شراء اليخت في عام ١٩٩٦م، إلا أنه عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة ولم يدفع شيئًا من ثمن اليخت الذي قدر ـ وقتها ـ بحوالي ٣ ملايين دولار وذلك لأسباب الأجواء غير المستقرة هناك!

القرب والبعد

قيل للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ يومًا: ما الفرق بين الدنيا والآخرة يا أمير المؤمنين؟
فقال: الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب.. إذا قربت من أحدهما بعدت من الآخر!

قرد نادر

عثر فريق من الباحثين الألمان في مدغشقر على نوع من القردة كان يُعتقد أنه انقرض، فقد عثر الباحثون على قرد (يزن ٨٠ جرامًا) من نوع ماكي في قطاع معزول في غابة استوائية في مدغشقر تعلو ٨٥٠ مترًا عن سطح البحر، وكان القرد الصغير يبدو سعيدًا وهو يقفز من فرع شجرة إلى شجرة أخرى في مملكته الشاسعة الأبعاد، وطالب الباحثون بالحفاظ على هذه الغابة للحيلولة دون الانقراض النهائي لحيواناتها ونباتاتها النادرة.

أكبر دولة في العالم

أشارت إحصائية سكانية إلى أن الهند ستصبح أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان متخطية بذلك الصين بحلول عام ٢٠٤٠ في حالة استمرار معدل المواليد الحالي. وذكرت الإحصائيات أن عدد السكان بلغ ٩٥٠ مليونًا عام ١٩٩٦م، وأن هذا الرقم سيرتفع إلى ١٠١٣ مليونًا في مارس/آذار ٢٠٠١ ثم إلى مليار و٢٦٠ مليونا عام ٢٠١٦. كذلك أوضحت الإحصائيات أن معدل الخصوبة في الهند يبلغ ٣٪ ومعدل وفيات الأطفال ٥٥٪ ومتوسط العمر ٦٥ عامًا.

والرد مفحم!

يروى أن أبا الضياء خطب امرأة فاستقبحته فكتب إليها: إن تنفري من قبح وجهي فإنني أريب أديب ولا ندم!
فأجابته: يا هذا لست لديوان الرسائل أريدك!

حرب المئة سنة

هي بين بريطانيا وفرنسا فجرها إدوارد الثالث ملك بريطانيا أملا في ضم فرنسا إلى مملكته، واستدان كثيراً من المال الذي لم يستطع سداده، فأفلس وأفلست حكومته.
ويعد إدوارد الثالث أول ملك يقع في الإفلاس في أوروبا وقد توفي عام ١٣٧٧م.

رينوار والمرض

تقول حياة الفنان العالمي الرسام الفرنسي رينوار (١٨٤١ ـ ١٩١٩): إنه أصيب في كبره بمرض أعجزه عن استعمال أصابعه، ولكن هذا لم يمنعه من الاستمرار في الرسم، لقد أخذ بعد ذلك يربط ريشته بأصابعه ثم يرسم، وبهذه الطريقة رسم مجموعة من أحسن لوحاته العالمية!

تباشير

يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.
وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

كلمات الغربة

ميساء حلمي صويص

الزرقاء ـ الأردن

وتؤرّقني الذّكرى
تؤلمني.. لكن أعشقها!
أشتاق إليها إن غابت
وإذا حضرت
أشتاق فيثملني العبق!

***

وتظلّ هي الذّكرى
كزهور، فوق ضريح منسي، وضعت
تنشر
عطرا جذلاً
ترسله للنّائم
وسط خبايا العتمة
يغفو

***

تخرج متقطّعة
كبدايات كلام رضيع
كبقايا سرب متبعثر
تبدو
كخطوط في وجه الرّجل العاقر
رجل قد أعياه التّعب

***

جاءتني كالدّهر تمامًا!
في ليل يسرق مني أشيائي
لا يأخذني منّي
إلا ليعود فيتركني
وكذا يترك
صوتًا داكنًا لونه
يتوارى حتّى يسكنني

***

هي مبهمة
كمقابر آلهة الموتى
كمعابد نعشقها
مع أنّا.. لا ندري
سرّ وميض الجذوة فيها!!

***

جاءتني صامتة.. تصرخ
بحروف سكون أبديّة
تأسرني بغموض لا أفهمه!!

***

تبعد عنّي
تبعد.. تبعد
أكثر من شيء يسكنني في أعماقي

أجرأ من عشق أزلي
تأتي
***
وأنا لا أملك غير فتات ثرى
من كلمات علقت
أسمعها دوما تتردد
أنا لا أملك تلك القوّة
حتّى
أسمع شيئًا فيّ يردّدها
***
لكن أبقى
وأعود لأجمع أوراقي
ذات سطور العتمة
وغبار الأزمان اللامنتهية

التعليق: ما كتبته الأخت ميساء نَصٌّ نثري يستمدّ إيقاعه من تفعيلة المتدارك التي تتردد في بعض مقاطعه، ثم يختل الوزن في مقاطع أخرى. إن مثل هذه النصوص تستمد إيقاعها الصحيح من صياغتها المتينة، ويقتضي إتقان ذلك تجربة شعرية طويلة. وهذه ليست حال الأخت ميساء وأمثالها من الشباب الذين يستسهلون كتابة ما يُسمى بقصيدة النثر، وهذا من الأوهام، إذ إن قصائد النثر الجيدة تكاد تُعَدّ على أصابع اليد الواحدة.

إن تَعَهّد النفس بقراءة شعر الشعراء المتمكنين من القدماء والمحدثين هو ما ينبغي أن يأخذ الشباب به أنفسهم في مراحل الإنتاج الأولى لكي يحصل التراكم المطلوب لصياغة نَصّ شعري شاعري -POETIQUE، تتوافر فيه قواعد الشعر العمودي إن انصرف المبتدئ إليه، وإلى الإيقاع النثري والصياغة المتينة التي صقلتها قراءة الشعر المبدع.

إن لغة الأخت ميساء بمجملها لغة تقريرية ليس فيها التميز الذي تحتاجه مثل هذه النصوص «أشتاق إليها إن غابت».

إن اللغة الصحيحة شكلاً خطوة جيدة على طريق الكتابة الشعرية المتينة، والأسلوب المقبول يَعِدُ بتطور ممكن في كتابة الآنسة ميساء شرط أن تتمهل في النشر وأن تكتب كثيراً وتقرأ أكثر مع تمنياتنا بالتقدم والنجاح في نصوصها القادمة.

د. محمد خير البقاعي

الأخ إسماعيل حقي صور، حلب، سورية:

أسلوبك جذاب، وشائق، كما أن ألفاظك منمقة ومختارة بعناية ودقة تتناسب مع موضوع مقطوعتك الحزين، ولكن مقطوعتك هذه «على مرافئ الرحيل» لا تعدو أن تكون خاطرة أدبية جميلة أملتها عليك آلامك وأحزانك وتجربتك الخاصة، حبذا لو عمّقت تلك الأحاسيس ودعمتها بمزيد من القراءات الجادة حتى يمكن أن تتضح ملامح كتاباتك وتتبلور في صورة لون أدبي مميز.

الأخ صلاح جيوشي الشناوي، بركة السبع منوفية، مصر:

يبدو أنك ربطت بين كونك مدرسًا للغة العربية وضرورة كتابة الشعر.. فهذه الكلمات في قصيدتيك «يا قدس» و«الصمت حياء» لا تزيد عن كونها خواطر نثرية مرصوصة جنبًا إلى جنب في شكل أبيات شعرية خالية من الوزن والموسيقى.. نرجو أن يحفزك هذا الكلام لإعادة حساباتك مع نفسك والتوجه إلى لون آخر من ألوان الكتابة ربما يتحقق لك خلاله النجاح والإبداع.

الأخت شيرين سيد عبدالحليم، المنيا، مصر:

قصيدتاكِ: «أخاف البوح في سري» و«جرحني الحب» ينبئان بمولد شاعرة واعدة ويبشران بمزيد من الإبداع والنجاح شريطة ألا تتعجلي ذلك. نرجو موافاتنا بقصائدك الجديدة وسوف يكون هناك فرصة لنشرها إن شاء الله.

الأخ أحمد حسن عبدالفضيل، بني سويف، مصر:

قصيدتك «موسيقى الصمت» تنبئ عن مولد شاعر واعد يمتلك إلى حد كبير ناصية اللغة ويتميز بموسيقاه العالية وليست الصامتة كعنوان قصيدتك.. ولكن يبقى أن تقوم بتجويد شعرك والاهتمام بإعادة قراءته قبل إرساله حتى تتمكن من التخلص من بعض الأخطاء العروضية واستخدام بعض الألفاظ الغريبة.. عند تكرار المحاولة والتجربة يمكن أن تجد قصائدك طريقها إلى الفوز بنشرها في مجلتك المفضلة «الفيصل».

الأخت ثريا الإمام، بورتسودان، السودان:

محاولتك الشعرية في قصيدة «ما هذه الأنباء» محاولة جادة جديرة بالتقدير والثناء، كما أنها تنبئ عن مولد شاعرة يمكن أن يكون لها شأن عظيم في المستقبل شريطة المداومة على قراءة الشعر ومحاولة تجويد إبداعاتك ليمكن نشرها مستقبلاً.

ردود خاصة

الأخ م - ح - م - الخرطوم وسط - ص.ب ٤٤٢٥٥:

نعتذر عن تلبية طلبكم لأن لهذه الأمور جهات مختصة بذلك حبذا لو تعرفتم عناوينها وراسلتموها لعلها تساعدكم في قضاء حاجتكم.

الأخ محمد رمضان علي - مصر - الإسكندرية - شارع سعد زغلول - ٦ شارع أديب:

طلبتم منا أن نختار عنوانًا لقصتكم المترجمة التي أطلقتم عليها اسم «شهيدة الحب والوفاء» وقلتم: إن هذا العنوان دمه ثقيل. وبما أن القصة مترجمة فالأولى أن تلتزم عنوان القصة المترجمة نفسه بما توحيه لك اللغة الإنجليزية حتى تتحقق الأمانة العلمية في الترجمة. ولا يحق لك أن تبدل العنوان إلا إذا أشرت إلى ذلك.

وشكرًا لرسالتك.

الأخ زايد سويد العصيمي - الطائف - الحوية - ص.ب ٢٨٩:

شكرًا لكم للأمانة التي تتمتعون بها، والأخلاق النبيلة التي تتسمون بها، ونأمل أن تقبل تلك الأعداد على سبيل الهدية من مجلتك «الفيصل» التي تعتز بأمثالك من القراء.

الأخ منير فكير عارف - بريد الكتكاته العواقية سوهاج:

نشكر لكم اهتمامكم بالكتابة إلى المجلة، والمشاركة التي أرسلتها لتنشر في باب «استراحة العدد» لم تكن على المستوى المطلوب، كما أن كتابتك السيرة النبوية بالأسلوب الذي أوردته لا يضيف جديدًا، وليتك تبذل جهدًا لإرسال ما هو أعمق حتى يأخذ طريقه إلى النشر.

الأخ عزيز ركام - جامع الحمراء - فاس الجديد - المغرب. واضح نورالدين - نهج جادة، عليزان، الجزائر:

نأمل أن ترسلا بعض مشاركاتكما التي تتناسب مع سياسة المجلة، حتى يمكن معرفة مدى ما تستطيع أن تقدماه للمجلة، لأن الحكم يصعب كثيرًا من دون الاطلاع على شيء ينبئ عن موهبتكما في هذا المجال. فمرحبًا بكما صديقين للمجلة، ودعواتنا لكما بالتوفيق لتقتحما ميدان الصحافة بخطى ثابتة إن شاء الله.

الأخ محمد علي حمد - درعا البلد - جامعة حلب:

نالت قضية الاستنساخ اهتمامًا واسعًا من المجلة، وقد كتب عنها رئيس التحرير أكثر من مرة، ونشرت موضوعات متخصصة، لذا تكتفي المجلة بما سبق أن نشرته، وتعتذر إليك من نشر موضوعك في هذا الميدان آملين أن نتلقى مشاركات أخرى قادمة، تجد طريقها إلى النشر.

والدعوات لك بالتوفيق في دراستك.

الأخ شومة الجمعي - باتنة - الجزائر:

لم يمنع صغر سنك من أن تتكبد المشاق لإرسال تحية رقيقة، إلى مجلتك «الفيصل»، فنأمل أن نكون عند حسن ظنك إن شاء الله، وما أشرت إليه من ضرورة الاهتمام بنشر الفتاوى أمر جدير بالتقدير، وأنت تعلم أن هناك بابًا ثابتًا لهذا الموضوع في كل عدد، فنأمل أن تفيد بما فيه من آراء شرعية، وترحب المجلة بتلقي أسئلة قرائها ليجيب عنها شيوخنا الأفاضل، فلهم ولكم وافر التقدير.

الأخ محمد أبو الخير - قرية فرانشو - الغربية:

لا ترى المجلة مانعًا من تشجيع الطلاب على الإبداع وإبراز مواهبهم، ولذلك خصصت بابًا يعنى بهذا الجانب، إذ ينشر باب « تباشير» إبداعات المواهب الشابة، مع تعليق لأحد المتخصصين، ولكن هذا لا يعني السطو على نتاج الآخرين كما تذكر في رسالتك، فهناك لجنة خاصة للتدقيق، فلا مجال للانتحال والسرقة، ولاسيما أن الغرض الأول لهذا الباب تعويد المواهب الشابة التزام الموضوعية والصدق ومقتضيات الأمانة العلمية.

بين القارئ والقارئ

أرجو من إخواني قراء مجلة «الفيصل» أن يساعدوني في الحصول على هذه الكتب وجزاهم الله خيرًا ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

- ديوان محمد بن عثيمين رحمه الله المسمى العقد الثمين في شعر ابن عثيمين ط٢ دار الهلال في الرياض حوالي عام ١٤٠٣هـ.
- ديوان (مع الله) للشاعر عمر بهاء الأميري.
- ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة لأحمد محرم.
- ما تيسر من روايات علي أحمد باكثير، «دم لفطير صهيون، مسمارجحا»، وغيرها.
- الألغاز النحوية أو (الأشباه والنظائر في النحو) للإمام السيوطي.
- أريد ديوانًا أو أكثر للشاعر يحيى السماوي.
- ديوان لسان الدين الخطيب الأندلسي.

عبدالله بن سليمان مفرح العمري الفيفي
بواسطة عيسى سلمان سليمان الفيفي
جيزان - فيفاء - معهد فيفاء العلمي
المملكة العربية السعودية.

أرجو من قراء مجلة الفيصل الأعزاء تزويدي بهذه الكتب التي أرجو من الله عز وجل أن تفيدني في دراستي الجامعية وهي:

- كتاب الأغاني.
- المجموعة الكاملة لطه حسين.
- ديوان الأمير عبدالله الفيصل.

العنوان:

عبدالله حسن محمد الفيفي عن طريق يسن حسن محمد
مدرسة نير الضالع المتوسطة
فيفاء - جيزان.

لديّ مجلات وكتب أود بيعها أو مبادلتها بكتب تتعلق بعلوم القرآن والتفسير أو بكتب تاريخية.

عبدالعزيز علي الصقعبي
تبوك/ت: ٠٤٤٢٨٢١٠٢.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ بسام خليل - الرياض:

صدر كتاب «دراسة في البناء الحضاري» للدكتور محمود محمد سفر عن سلسلة كتاب الأمة التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، وعنوان المركز:

ص.ب ٨٩٣ الدوحة - قطر - هاتف ٤٦٦٢٢٢.

الأخ جمال الصالح - سلطنة عمان:

كتاب «قراءة في كتاب إسرائيل شاحاك: هل اليهودية التلمودية دين؟» من تأليف د. سامي عصاصة، وهي يطلب **منه شخصيًا على عنوانه:**

Dr: Sami Assassa.
Hubert Hopf street 16
8231 Grunwald
Germany
fax: 0049- 82- 47- 34541
0049-89-6415468
Tel: 0049-89-6411881
0049-82-4734540

الأخ ناجي الحسيني - دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة:

يمكنك مراسلة معهد الإدارة العامة بالرياض على العنوان التالي:

إدارة العلاقات العامة والإعلام - معهد الإدارة العامة - الرياض ١١١٤١ هاتف ٤٧٩٠٧٣٥ - فاكس ٤٧٦٨٨٨٨/ ١٧٨٨.

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مناقشات وتعليقات

تاريخ الاستشراق وأسبابه ونتائجه



اطلعت على إطلالة العـــدد ٢٤١ التي عنوانهـا الاستـشـراق ورسالتـه الاستعمارية، وقد اتفق في الآن نفسه في أن سطرت هذه النقاط عن تاريخ الاستشراق وأسبابه ودوافعه.

جَهْلُ الغرب بحقيقة الإسلام وبسيرة النبي عليه السلام في مقدمة ما يدعو إلى هذه الخصومة. والجهل - لا ريب - من أعقد أسباب الجمود والتعصب وأشدها استعصاء. ولقد تراكم هذا الجهل على مر القرون، وقامت له في نفوس الأجيال تماثيل وأوثان يحتاج تحطيمها إلى قوة روحية كبرى كقوة الإسلام أول ظهوره. ومما زاد هذه الخصومة عدم ملاءمة المسيحية دينًا لأبنائها ممن يدَّعون أنهم مسيحيون. فالمسيحية تدعو إلى الزهد في الحياة واعتزال العالم، وإلى الكبير من العفو والمغفرة ومن المعاني النفسية السامية، مما لا يلائم طبيعة الغرب الذي عاش ألوف السنين على طريق تعدد الآلهة، والذي يدعوه مركزه الجغرافي إلى حياة الكفاح لمغالبة ظروف الطبيعة القاسية؛ فإذا قضت ظروفه التاريخية يدين بالمسيحية فلا مفر له من أن يسبغ عليها ثوب القسوة، وأن يخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة، وأن يفسد فيها هذا التناسق الروحي الذي يجعل منها حلقة في سلسلة الوحدة التي أتمها الإسلام. هذا هو سبب تعصب الغرب في موقفه من الإسلام موقفا تجافت الحبشة المسيحية عنه حين احتمى المسلمون بها أول ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى دين الله.

تاريخ الاستشراق

لا يعرف بالضبط من هو أول غربيّ عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك؟ ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها وجامعاتها، وترجموا معاني القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتلمذوا لعلماء المسلمين في مختلف العلوم، ولاسيما الفلسفة والطب والرياضيات. ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي«جربرت» الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده. و«بطرس المحترم» ١٠٩٢-١١٥٦م و«جيراردي كريمون ١١١٤- ١١٨٧» الذي أدخل حساب الأرقام إلى أوربا عن طريق الأندلس. بعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم، ونشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال - مدرسة «بارودي» العربية. وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتراها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون. ولم ينقطع منذ ذلك الحين وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا معاني القرآن الكريم، وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية؛ حتى جاء القرن الثامن عشر - وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استغلال العالم الإسلامي، والاستيلاء على أراضيه، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون مجلات متخصصة، ويُغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت من الفوضى، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مئتين وخمسين ألف مجلد، ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م وتوالى عقد المؤتمرات التي تعنى بالدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته، ومازالت تعقد حتى اليوم.

دوافع الاستشراق

الدافع الديني:

الاستشراق بدأ بالرهبان، وهؤلاء كان همُّهم أن يطعنوا في الإسلام، ويشوِّهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وهو الخصم الوحيد للمسيحية في نظرهم - دين لا يستحق الانتشار.

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراستهم العلمية، وهم قبل كل شيء رجال دين.

الهدف الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين، وهي في ظاهرها حروب دينية، وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب، فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغذوها ليزيدوها ضعفا.

الدافع التجاري:

هذا الدافع ناتج عن رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.

الدافع السياسي:

نرى الآن في كل سفارة من سفارات الدول الغربية في بلادنا ملحقًا ثقافيًا يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة، فيتعرف أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته.

الدافع العلمي:

من المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها، وهؤلاء يمثلون القلة ولم يكونوا يعتمدون الدسّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته. على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحًا ولا مالا، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي
دمشيت - ٣١٧٢١ - طنطا - مصر

نافذات وتعليقات

الحجاج بن يوسف والديمقراطية الغائبة



قرأت تعليق الأخ تركي المحيا المنشور بالعدد (٢٤٤) بعنوان حول الحجاج بن يوسف وأعرض ما يلي:

من المعروف أن الحجاج ليس شخصية تاريخية محبوبة، وقد اقترن اسمه بالظلم والتعسف، ولكن تتابع الأحداث التاريخية، وتدافعها في تلك الفترة التاريخية المهمة (نهاية القرن الأول الهجري) جعلته في قلب الظروف والأحداث الجسام، فساهم بشخصيته القوية، وفكره العميق الثاقب، وإقدامه ودهائه بشهادة الجميع، وفصاحته التي كانت مضرب الأمثال، إلى جانب قمعه الشديد المبالغ فيه في بعض الأحيان، في فرض الأمن والاستقرار في الأصقاع والأمصار كافة، وهو شرط أساسي لقيام حضارة ورقي وتمدن.

ورد في التعليق الآنف الذكر "... أن العراق كانوا أهل شقاق وفتنة..." والحق أنني أتحفظ على صحة هذه العبارة، فما حصل في رقعة العراق الجغرافية في تلك الفترة من حروب واضطرابات متطاولة ممتدة على عقود طويلة من الزمن، لسنا في مقام تفصيلها أو التعرض لها، وتقرير أحقية جهة على أخرى، وما يعنينا هو نتائجها السلبية المدمرة على نفوس السكان فيها، من التفرقة والفتنة والتشرذم وعدم الاتفاق، ولو حاولنا رسم صورة سياسية مختصرة قبل تولي الحجاج ولاية العراق لوجدنا مدينة الكوفة تعاني من آثار الهياج الناجم عن الاضطرابات الدامية التي ثارت أيام المختار بن أبي عبيد الثقفي. ت:٦٧هـ، كما أن الخوارج كانوا معسكرين خارج أبواب البصرة وقد ظهرت فيهم فرقة جديدة هي الأزارقة من أتباع نافع بن الأزرق الذي قتل عام ٦٥هـ، تكفر كل من يخالفها، ويأبى الإيمان برأيها، وتهدر دمه.

قال المؤرخ محمد بن علي بن طباطبا)(١٢٦١-١٣٠٩م) في كتاب "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" ص/١٢٠:

وكانت تلك الأيام، أيام فتن، وذلك أن مروان كان خليفة بالشام ومصر مبايعًا جالسًا على كرسي الملك، وعبدالله بن الزبير خليفة بالحجاز والبصرة مبايع، ومعه الجنود والسلاح، والمختار بن أبي عبيد بالكوفة، ومعه الناس والجنود والسلاح، وقد أخرج أمير الكوفة عنها وصار هو أميرها يدعو إلى محمد بن الحنفية».

وورد في التعليق أيضًا "... إن إقامة ساعة من العدل خير من تجييش الجيوش لفتح إقليم واغتنام عدو..."

ولا أحسب أحدًا يغض الطرف عن نتائج الفتوحات الإسلامية الواسعة في عهد الحجاج وغيره من العهود، وقد مهدت لنشر ألوية الإسلام الخفاقة، فأصبح الناس على اختلاف أديانهم وعجمتهم يدينون بشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) يخفق القلب والوجدان لسماعها، ولا أظن أحدًا يتناسى فضل الفتوحات في امتداد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والتي كرّمنا الله بتنزيله قرآنًا عربيًا مبينًا بها، هذه اللغة الخالدة التي جعلت أعلام الحضارة الإسلامية من أطراف الصين والهند انتهاء بالأندلس يكتبون ويدونون بها آثارهم الفقهية والعلمية الخالدة، فتركوا لنا تراثًا عربيًا إسلاميًا لا ينضب، ما فتئ أبناء عصرنا يحاولون استكناه رموزه وفض معلوماته.

ومن المهم عند التعرض لأي شخصية تاريخية مهمة الإحاطة بكل جوانبها وعدم الوقوع في (الانتقائية) أو التركيز على جانب واحد وإهمال ماعداه وتقويمها بشكل موضوعي منطقي بهدف إبراز الوجه المشرق للأمة الإسلامية، وبهدف إبراز الحقيقة وحدها. بحلوها ومرها، وتقديمها إلى الأجيال الجديدة العطشى للعلم والمعرفة الحقة.

د. محمد فؤاد الذاكري
حلب - سورية

حول مصطلح الشرق الأوسط، والشرق الأدنى، والشرق الأقصى



شاع في القاموس السياسي ـ الجغرافي، منذ أكثر من نصف قرن؛ مصطلح «الشرق الأوسط» و«الشرق الأدنى» و«الشرق الأقصى». وهي مصطلحات غربية؛ نشأةً ومنظوراً. وقد راج منها ـ بشكل خاص ـ مصطلح «الشرق الأوسط» عَلَمًا على بلادنا العربية. شأن أكثر البدع السياسية التي يفصِّلها الغرب حسب أمانيه، وعلى مَدِّ مصالحه الضاربة في أعماق ثروات الشعوب وأراضيها!

وقد لاحظت ما يعتسفُهُ الكتَّاب والعاملون في حقول الإعلام ـ صحافة وبثًا ـ من جوْر في النسبة إلى هذه المصطلحات. مرجعُهُ إغفال قواعد العربية وتجاوزها! فيقولون مثلاً: قضية شرق ـ أوسطية" ـ كذا ـ دون إسقاط حرف واحد عند النسبة إليها!. ولو عُدنا إلى قواعد العربية في النسبة للاسم المركب؛ لوجدنا قاعدةً سهلةً، وصيغةً سائغة. فقد قالت العرب: «حَضْرَمي» نسبة إلى حضرموت على وزن «فَعْلَلي» ولم يقولوا: حضرموتي. كما نقول نحن: شرق ـ أوسطي!. وقالوا: «عَبْشمي» من عبد شمس على الوزن نفسه ولم يقولو: عبدَ شمسي.

قياسًا على ذلك نستطيع أن نقول في النسبة للشرق الأوسط «شَرْقَطي» على وزن «فَعْللي» بعد دمج الجزأين في لفظ واحد، وإسقاط بعض الحروف فنقول مثلاً: قضية شَرْقطية. عوضًا عن شرق ـ أوسطية»!

وكذا نقول في النسبة للشرق الأدنى «شَرْقَدي» والشرق الأقصى «شَرْقَصي». كما نقول «عَبْشمي» و«دَوْشمي» عندما ننسب إلى عبد شمس، ودوّار الشمس وهما كثيرا الورود في أبحاث علمي الأحياء والكيمياء.

واستطرادًا نسمِّي قارتي «آسيا وإفريقية» إذا أردنا دمجهما باسم واحد «أسريقية». والنسبة إليها «أسْرَقي» على وزن فَعْللي، و«أسريقي» على وزن «إفريقي» كأننا ننسب إلى إفريقية.. وندع للذائقة اللغوية تسويغ إحدى النسبتين، ورواجها في الأقلام والإعلام. وكلٌّ منهما أيسر من النسبة الشائعة «آسيوي ـ إفريقي».

وإذا كان الظرف يقتضي تقديم إفريقية على آسية قلنا" «أفْراسيا» نحتًا من إفريقية وآسيا. والنسبة إليها «أفْروي» كأننا ننسب إلى آسيا «آسيوي» وليست «أفرو ـ آسيوي» كما هو في الخطأ الشائع.

فنقول مثلاً «المؤتمر الأفْروي» دلالة على أنه إفريقي آسيوي.

و«المؤتمر الأسْرَقي» دلالة على أنه آسيوي إفريقي.

وكذا «الشعوب الأفروية» و«الشعوب الأسْرَقية» وربما طاب لبعضنا أن يقول: «الشعوب الآسريقية» على وزن «الإفريقية».

نخلص من ذلك؛ إلى أنَّ توظيف اللغة، واستنباط قواعدها، فيما يُسْتَحْدَث من ظروف ومُسَميات. إنما هو رِفْدٌ خيِّرٌ من اللغة، ييسر علينا تداولها، وليس عقبة في طريق تقدمنا. كما يزعم أهل الأهواء من أعداء هذه اللغة! ويقيني أن هذه الصيغ سوف تأخذ طريقها إلى الانتشار.. لتغني أصحاب الشأن عن تلك المقاطع الفجَّة المصطنعة.

وإني لأرجو من أولي الأمر من رجال العربية وعشاقها ـ وما أكثرهم ـ ألاَّ يدخروا في خدمة هذه اللغة الكريمة، والسعي إلى تقدمها، وألاَّ يلقوا سمعهم إلى طنين الزنابير الهائجة حول أسوارها. من أذناب الاستعمار وخدَّامه فليست «نصائحهم» المنمّقة؛ إلا وساوس أبالسة، ودسائس فاضحة مفضوحة تعرِّي زيف جُناتها، وتكشف أيَّة حيات خبيثة، تنفث سمومها في معين لغتنا حتى لا نسيغ ماءها ولا نرد ينبوعها؟!.

وإنه لمن القصور الشائن؛ أن نعرض عن هذا النبع الفيّاض، ونحن أظمأ ما نكون إليه فلننهل من عذب بلسمه رحيقًا ثرًّا ثريًا كوثريًا. فلن نظمأ إلى غيره أبدا.

وفي خضمٍّ هذه الدسائس، علينا أن نتمسك بـ «العالم العربي» اسمًا مميزًا لنا. عَلَمًا على بلادنا. وإطارًا لها، لا نرضى به بديلاً، لأنه ليس اسمًا جغرافيًا لأرض محددة تقطنها كتلة بشرية فحسب. وإنَّماهو صيغةٌ مغموسة في وجدان الأمة. تنعقد فيها ثقافتنا، وحضارتنا، وأصالتنا وتاريخنا، وآمال حاضرنا، ورؤى مستقبلنا. ومعالم ماضينا، وتراث علمائنا. إنّه ـ العالم العربي ـ رمز هويتنا. وعَلَمٌ على وجودنا الحضاري في الزمان والمكان. فلا نتبدل به اسمًا جديدًا، ولا نورد المصطلحات المستحدثة، إلا حيث دعت الضرورة.

يجب أن تبقى الأسماء والأعلام التي تعيش في وعي الأمة، وتنبض فيها أصالتها وثقافتها حيةً في حاضرها، لأنها رموز شخصيتها في ماضٍ وفي حاضر. ولعلَّه من السذاجة الظنُّ أنَّ الحفاظ على هذه الأسماء يحمي الأمة. ولكن من السذاجة أيضًا أن ننسى أسماءنا وعنواناتنا. وننزلق وراء مصطلحات لا تمثل موقعنا من الأرض والحضارة!

إنَّ الوقوع في مصطلحات «غيرنا» فخٌّ خطير.. بل هو أولى الخطا إلى التغيير، وضياع الطريق تحت أقدامنا. وما أكثر المصطلحات التي تعبر عن أماني المستعمرين ورؤاهم، ونحن نتداولها بلا نقد ولا تمحيص! وكما بيّن د. زيد بن عبدالمحسن الحسين في إطلالته النافذة القيمة من العدد «٢٢٥» إذ قال: «وإنَّ هناك كثيرًا من المصطلحات التي نتداولها، وتعبر عن قيم ورؤى غربية؛ لا تجد مثل هذا الاهتمام ـ من التمحيص ـ بل إنه تمَّ استيعابها في إطارنا الثقافي. دون أدنى تفكير في أبعادها ومراميها!.».

ولا شكَّ أن اصطلاح «الشرق الأوسط» وتابعيه هو من هذه المصطلحات ذات الرؤية الغربية التي تم استيعابها لا في إطارنا الثقافي فحسب. بل في قاموسنا السياغرافي» أيضًا على الرغم من الطابع التسلطي الذي ينطوي عليه!..

ولكنَّا نحن بالمثل نطلق مصطلح «الغرب» على دول أوروبا مجتمعة. فلماذا كان مصطلحهم استعماريًا تسلطيًا؟! ومصطلحنا جغرافيًا محضًا!.

وللإنصاف لا يخلو مصطلحنا من معنى التمايز والمباينة. أما طابع التسلط في مصطلحهم فليس في مجرد التسمية ابتداءً. فكلُّ الشعوب تحدد موقع بلادها.. شرقًا أو غربًا. شمالاً أو جنوبًا من موقع غيرها بالنسبة إليها. لكن ما رافق هذا المصطلح من أطماع ومشاريع، وخطط ظاهرة وباطنة، أصبح مشروطا بها، ومشروطة به. كل ذلك جعله موسومًا بطابع التسلط الاستعماري.

ومنذ اتفاقية «سايكس بيكو» بين قطبي الاستعمار، إذ ذاك، فرنسا وبريطانيا والعالم الغربي يرجم بشهب هذه المشاريع، في أوقات مختلفة، تخفت حينًا، وتنشط أحيانًا في صور ومسميات متباينة ولكن مضمونها واحد؛ هو تحقيق أطماع الاستعمار وأمانيه تحت مظلة الشرق الأوسط.. ولكن رجوم المغرب لا تصل إلى أرض إلا وهي خابية منطفئة. وآخر هذه الرجوم مؤتمر قطر الاقتصادي الذي حاولت فيه إسرائيل اختراق حصن العالم العربي من ثغرة الشرق الأوسط.

وإذا كان لابد من صياغة للشرق الأوسط فلتكن من صنعنا نحن - شعوب هذه المنطقة - ولتكن كما نريده نحن، لا كما يريدونه (هم) حتى يخدم أجيالنا. ويضمن مستقبل أمتنا. وهذه أمانة قادتها ومفكريها وعلمائها.

إن التحذير مما ينطوي عليه مصطلح «الشرق الأوسط» ومفهومه. لا يلغي استعمال المصطلح والنسبة إليه بصورة لغوية صحيحة. إذ لابدَّ للغة أن تلبِّي حاجة الأمة مهما كانت الأفكار الطارئة عليها. ونحن إنما نصحح لغتنا في التعبير عن أفكار طارئة ومضمونات جديدة، سواء أكانت خيرًا مرغوبًا فيه، أم شرًا يجب تلافيه.

لقد اخترع القرآن الكريم - في عصر التنزيل - مصطلحات جديدة. من ألفاظ قديمة لم تكن ترمز إليها في لغة العرب، قبل التنزيل القرآني، من مثل؛ الكفر - النفاق - الفسوق - فلم تكن دلالاتها اللغوية الجديدة التي صبَّها القرآن الكريم في أوعيتها - ذريعةً للوقوع بها. كما لم يكن تحريمها ذريعةً لإلغائها، وإبطال استعمالها. وفي هذا الإيضاح فيصلٌ حاسم. في استعمال مصطلح نرفض مضمونه.

«أ» اختصارًا للسياسي - الجغرافي

أكرم محمود قنوص

دمشق - سورية

نعم، حتى لا نكون في الصفوف الخلفية



نمتاز بحوث د. زيد الحسين بقدرتها الفائقة على إثارة اهتمام القراء، وجذب انتباههم، وإيقاظ فكرهم، وتحريك عواطفهم ووجدانهم، ولها قدرة كبيرة على إثارة روح التواصل الفكري والعلمي والثقافي بين القراءوكاتبنا المتميز، وشحذهم بأسلوب د. زيد البليغ والمتفرد، وهو أسلوب الأدب العلمي أو«العلمي المتأدب»، حيث تمتزج البلاغة الأدبية والتشويق مع دقة الصياغة العلمية، وعرض الحقائق واضحة جلية، وفوق كل ذلك بقدرتها على إثارة روح التطلع والأمل نحو المستقبل انطلاقًا من الوعي بالماضي والحاضر، وإلى آفاق المستقبل المنشود، وذلك المستقبل الذي يغار عليه د. زيد غيرة تحمد له.ومما يزيد إعجابي بتلك المقالات الرائدة قابليتها للتطبيق العلمي والميداني، ووضع أفكارها موضع التنفيذ، وبذلك يوظف العلم توظيفًا رشيدًا في خدمة أهداف الأمة، وفي تحقيق آمالها العراض، وطموحاتها في التنمية والقوة والمنعة والعزة والارتقاء والرخاء والنهضة والعمران، وفي إعادة بناء الإنسان العربي على أساس من العلم والدين القويم.

ونحن، وإن كنا نطوف في رحاب الماضي مع د. زيد ونتأمل في حاضرنا، لا نحرص على ذلك من أجل التباهي والتغني بأمجاد الماضي وانتصاراته وإنجازاته، ولكن لنتخذ من ذلك حافزًا ودافعًا وقوة وعزمًا وإرادة نحو اقتحام المستقبل بأسلحة العصر، لتتبوأ أمتنا العربية الإسلامية مكانتها اللائقة في عالم تتلاطم فيه الأمواج، وتسعى قواه الكبرى لطمس معالم الهويات الصغرى تحت دعاوى «العولمة» أو الشراكة أو ما أشبه ذلك. فالمهم هو ماذا سيكون عليه الغد القريب والبعيد؟ وما الذي ننتظره من شباب الأمة؟

جاء في إطلالة العدد رقم ٢٥٩: «إن الترجمة ليست ضرورة حضارية للدول المتخلفة فحسب، وإنما لها أهميتها القصوى للدول المتقدمة أيضًا، التي تحرص على معرفة ما أحرزته الدول المنافسة لها في الميادين المختلفة».

ونحن ندرك، أننا نعيش في عصر ثورة المعلومات أو الانفجار المعرفي الهائل. ومن هنا تبدو أهمية حركة ترجمة التراث العلمي الطبيعي والإنساني،ونقل حضارة العصر إلى لغتنا العربية. والحقيقة أن المقالة تفجر موضوعًا غاية في الأهمية، وذلك لأن نشاط الترجمة ليس منعزلاً عن غيره من الأنشطة، وإنما يدخل في نطاق ما يمكن أن نسميه التنمية العلمية والتنمية الثقافية والتنمية الفكرية والعقلية والتوعية والإرشاد، والتنمية المهنية؛ فحركة الترجمة ليست من قبيل الترف. من أجل ذلك أرى في مثل هذه المقالة أمل المستقبل، وتطلعات الشباب والوعي بالحاضر، وقضاياه المعاصرة مما يضعه في مصاف رواد الشباب العربي العظام في أيامنا هذه، ويجعله داعية من دعاة الإصلاح والتقدم، وأتفق معه فيما ذهب إليه من أن حصول نوع من الانفجار المعرفي أو الازدحام المعرفي أو تكدس المعرفة وتضخمها، إلى جانب سرعة التقدم العلمي والتقني بما يفوق سرعة التطور في الجانب المعنوي والروحي والأخلاقي من حضارة العصر، مما يجعل المخترعات التقنية تفقد صوابها، وتطيش وتعيث في الأرض فسادًا وتدميرًا.

ونظرًا لوحدة المعارف وترابطها وتقاربها واتصالها وتفاعلها فإن الدعوة إلى الترجمة يلزم أن تشمل أمَّات كتب الطب والعلوم والأحياء والطبيعة والتقانة

«التكنولوجيا»، وكذلك المجلات والدوريات، إلى جانب أمّات الكتب الإنسانية أيضًا، العلوم الإنسانية هي التي تربي ضمائر الناس، والضمائر أعظم قدرًا وشرفًا من كل الاختراعات المادية.

ونظرًا لضخامة مشروع الترجمة الذي يدعو إليه د. زيد مشكورًا فإنني أقترح إنشاء هيئة قومية عليا على مستوى العالم العربي كله، تختص بحركة الترجمة، لا يكون من بين أهدافها الربح المادي، ويعمم إنتاجها وينشر في كل أقطار العالم العربي، ذلك لأن التجربة تعلمنا أن جهود الأفراد الذاتية، لا تكفي لتحقيق هذا الهدف القومي النبيل. وللترجمة فوائد كثيرة، منها: إسهامها في حركة الرقي والتقدم والازدهار والنهضة والتنمية المنشودة، وتحقيق القوة والمنعة والاستقلالية والتحرر من التبعية، والحصانة، والتسلح بسلاح العصر ألا وهو العلم ومناهجه، إلى جانب كون المعرفة غاية في ذاتها، وخاصة المعارف الحديثة. العلم أداة التنمية والتقدم والرخاء، والثروة البشرية أعظم ثروات العصر قاطبة.

وأشكر نيابة عن جمهور القراء الكاتب في وضعه شروطًا للترجمة الصائبة والمنشودة، بحيث لا تترجم القصص والروايات الرخيصة ثقافيًا أو المثيرة للغرائز، أو الكتب الصفراء، أو تلك التي تشجع على العنف والعدوان والجنس والإباحية والشهوات، أو التي لا يقصد منها سوى مضيعة الوقت، وإنما الاهتمام بترجمة أمّات الكتب الحديثة.

واللغة العربية قادرة على استيعاب كل علوم العصر وفنونه وآدابه ومعارفه ومنجزاته، ولا يمكن أن نظل عالة على الغرب، نستورد منه ما نشاء من العلم والثقافة والتقانة، ولا يمكن أن نظل مستهلكين للزاد العلمي والثقافي والمعرفي، ولا يليق بأمة لها أمجادها الخالدة أن يبقى علماؤها مجرد نقلة عن الغرب، ومقلدين إياه ينتظرون ما تتفتق عنه قريحته، بل إن بعضهم يشعر بالانبهار إزاء ثقافة الغرب، ومن هنا كانت الدعوة لإقامة علم عربي أو علم إسلامي تنبع قوانينه ونظرياته وحقائقه من واقعنا الإسلامي والعربي من صميم البيئة العربية والإسلامية، وتدور بحوثه حول الشخصية العربية والهوية العربية والبيئة العربية بخصوصيتها الفريدة. وفي رأيي المتواضع ألا تكون مجرد ترجمة حرفية أو نصّية لما يقع عليه الاختيار، وإنما تكون عملاً أشبه بالتحقيق العلمي مقرونًا بشروح لمعاني المصطلحات ومدلولاتها، وليس من الضروري الالتزام بأن اللفظة الأجنبية لا بد أن يقابلها لفظة عربية واحدة، وإنما المهم هو نقل المعنى مشروحًا وواضحًا تحاشيًا للغموض والإبهام، وذلك الغموض الذي يدفع للنفور من مطالعة الكتب المترجمة على هذا النحو، ولكن المطلوب هو الفهم والاستيعاب والهضم والتمثيل، ثم إخراج المادة في ثوبها متحلية بالموسيقى اللغوية في العربية. وفي الوقت الذي نبارك فيه هذه الدعوة للاهتمام باللغة العربية، لا ندعو للانغلاق على الذات، وإنما لابد من إتقان اللغات الأجنبية جنبًا إلى جنب مع حركة الترجمة الواسعة والمنشودة، وفي الوقت نفسه حين نعتز ونفخر ونحترم ونصون لغتنا، فإننا لا ندعو للتعصب أو التحيز، وإنما ندعو إلى احترام الآخرين وانتماءاتهم. فنحن أهل حضارة تقوم على أساس التعاون والأخذ والعطاء والتواصل الثقافي، وتحتاج هذه النهضة العلمية والثقافية، أن تخصص لها الاعتمادات المالية السخية، وأن نفعل ما فعله أجدادنا العباسيون حين كانوا يقدرون ترجمة الكتاب بوزنه ذهبًا، ولذلك نجحوا في نقل التراث اليوناني والروماني للعربية، وأضافوا إليه وحرروه مما كان عالقًا به من شوائب الكفر والإلحاد، وصبغوه بالأخلاق الإسلامية، وبروح القرآن الكريم والحديث الشريف. علينا أن نفعل ما فعله العباسيون.

والمستقرئ لتاريخ الحضارات يلمس أن حركة الترجمة كانت دائمًا الأساس الذي بدأت به الحضارة، فالحضارة الإسلامية، حين حققت عالميتها، بدأت بترجمة التراث اليوناني والروماني، ومزجته بحضارات الشرق القديم، وبعلوم القرآن الكريم، ثم كانت حضارة إنسانية عالمية كانت الأساس الذي أقامت عليه أوربا حضارتها الراهنة، وهي تلك الحضارة التي اعتمدت على ترجمة التراث العربي إلى لغتها؛ فالترجمة ليست من قبيل الترف العلمي، وإنما هي ضرورة حتمية حتى لا نتخلف عن ركب حضارة العصر على حد تعبير أستاذنا د. زيد الحسين.

الترجمة ضرورة لعبور الفجوة التي تفصلنا عن الدول المتقدمة، التي لا تقف هي بدورها عند حد معين من التقدم، وإنما تسير سيرًا متواصلاً نحو مزيد من التقدم، ولذلك علينا أن نسرع الخطى في حركة التقدم لتعويض ما فات. الترجمة بوابة التنمية، وإطلالة على نافذة الغرب وعلومه.

اللغة العربية تمتاز بالغنى والثراء والمقدرة على الاشتقاق، وهي الإطار الذي تتبلور فيه الشخصية الإسلامية والعربية، والهوية الذاتية، وهي جزء من كيان الشخصية العربية، وهي معيار من معايير التقدم الحضاري، وسبق لها أن احتوت حضارة الرومان واليونان.

فالترجمة لا تعني التغرب أو التفرنج أو الاغتراب عن اللغة الأم، وإنما تعني الإضافة إليها وتنميتها وتوسيع آفاق استخدامها في الحقول كافة.

واللغة، كما تورد المقالة هي وعاء الإبداع والابتكار، وهي من الوسائل الناجحة، بل هي وعاء الفكر الإنساني كله، وهي عون كبير للتفكير المادي والرمزي، ومن هنا فإن إصرار بعض الجامعات على تدريس مواد مثل الطب والهندسة أو الصيدلة باللغات الأجنبية إجراء مرفوض ولا مسوّغ له سوى الرغبة في احتكار المعرفة والخضوع للغات أخرى. إذ ما الفرق بين أن يكتب الطبيب تذكرة الدواء بالعربية أو الإنجليزية ما دام الدواء نفسه اسمه مكتوب عليه بالعربية؟ هل يدخل ذلك ضمن الحفاظ على سر المهنة أم إنه من باب التباهي والتعالي والتفرد؟ والترجمة تؤدي إلى اتساع قاعدة الإفادة من المواد المترجمة، وذلك لسهولة الاستيعاب باللغة الأم وسهولته، ولذلك فالمأمول أن يتم طبع كل ما يترجم على نطاق واسع ونشره وتوزيعه لتعميم النفع من جهود الترجمة. وهناك حركة مباركة تقوم بها بعض الجامعات السعودية ومن بينها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «لأسلمة العلوم» الحديثة وتأصيلها إسلاميًا، والبحث عن أصولها الإسلامية في طيات التراث الإسلامي، والترجمة المطلوبة ليست ترجمة ألفاظ وكلمات جوفاء، وإنما ترجمة حضارة العصر العلمية. وأسلافنا يدعوننا للأخذ بالأسباب، والتأمل والتبصر، وبالتدبر والتفكير والتعقل و«من عرف لغة قوم أمن شرّهم» ولا يمكن أن نترك الانفصام قائمًا بين العربية وعلوم العصر، واللغة العربية قادرة على استيعاب كل علوم العصر. وفي العصر الحديث اهتم محمد علي باشا الكبير في مصر بحركة الترجمة، وكلف العلماء ترجمة الكتب في عصره، وفي الوقت نفسه أوفد البعثات إلى أوربا لسرعة اللحاق بركب الحضارة الحديثة.

والأمثلة على قدرة العربية على استيعاب العلوم الجديدة كثيرة في القديم والحديث، ففي الحديث نجح علماء النفس العرب في ترجمة كثير من الاختبارات والمقاييس العقلية والنفسية والتربوية و«الإكلينيكية»، ولكنها لم تكن مجرد ترجمة، وإنما تعريب، واستبدال الأمثلة العربية من واقع البيئة بتلك الغربية كما حدث في ترجمة اختبارات الذكاء The intelligence Tests

واختبارات الاتجاهات العقلية Nental attitude Tests واختبارات الميول والاهتمامات in- tests of terests وكذلك اختبارات المهارات skill tests

إلى جانب ذلك ترجموا بنجاح وبتصرف، كثيراً من الاختبارات التشخيصيةdiagnostic tests ونجحوا في ترجمة كثير من المصطلحات الجديدة على العربية وقياسها من ذلك:

ذهان فصام الشخصيةschizophrenic psychosis

عصاب الهستيرياhysterical Nerurosis

فقدان الذاكرة Amnesia

التبول غير الإرادي ليلاً ونهاراًEnuresis

الاكتئابDepression

البارانويا «الذُّهان الهذائي» Paranoia

مرض الزهايمرAlzherimer disease

الحصر أو القلق Anxiety

توهم المرض «الوسواس» Hypochndria

الوسواس القهريObsessive - Compulsive

الخور أوالضعف Asthenia

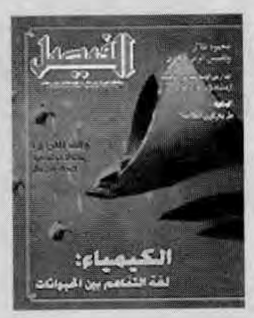
عصاب الصدمة Traumatic nerurosis

وغير ذلك من المصطلحات والمفاهيم التي باتت واضحة ومنتشرة في مجتمعنا العربي.

ولكن الاختبارات لم تستعمل بصورتها الغربية، وإنما تم أولاً إعادة صياغتها بما يتفق مع الثقافة العربية، ثم أعيد تقنينها Standardization أي إيجاد معايير لتفسير درجاتها مستمدة من البيئة العربية، حيث لا يجوز أن تقارن طفل القرية المصرية بطفل كليفورنيا أو نيويورك، وإنما نقارنه بأقرانه، من القرية نفسها، ومن الجنس نفسه، والسن نفسها. ولذلك فالمأمول أن تكون جهود الترجمة على هذا النحو الواعي والقابل للتطبيق تعميماً للفائدة والنفع من جهود علمائنا،وخاصة الشبان منهم، وبعد فكلما قرأت المقال القيم للدكتور زيد تفتق الذهن، وطافت به الأفكار والآراء والمشاعر والعواطف والآمال العراض، نظراً لما يمتاز به المقال من الخصوبة والثراءوالتركيز، فتحية لهذا القلم الفياض وتحية لصاحبه ولأسرة الفيصل الموقرة بكاملها.

د. عبدالرحمن العيسوي

وتحامل الرشيد على المغاربة



بادئ ذي بدء تحية طيبة أخوية لأسرة الفيصل يتقدمها رئيس التحرير حفظ الله الجميع.

وتحية خاصة للأستاذ عبدالله بن سليم الرشيد، وأشد على يده لحرصه الشديد على اللغة العربية التي تعد عنصراً من عناصر شخصيتنا العربية الإسلامية، وهو كاتب موضوع «الخطأ في كتابة الأعلام بالعدد٢٥٧» وبحكم تعاملي اليومي مع هذه اللغة بوصفي معلم في المرحلة الابتدائية ارتأيت مطالعة الموضوع للاستفادة منه لعلي أحذرخطأ ينبه عليه الكاتب فوجدت نفسي بريئاً من جملة الأخطاء التي عدّدها الكاتب مشكوراً، وما لفت انتباهي في مقاله هو إلصاق معظم هذه الأخطاء بالمغاربة (الجزائريين - والتونسيين - الليبيين - الموريتانيين - المغاربة) كتابة وقراءة لا أدري أكان هذا الحكم القاسي ناتجاً عن دراسة ميدانية أجريت، أم عن مقالات معنعنة لا تستند إلى الواقع من جهة، وتتميز بالشمول في الحكم من جهة ثانية؟!.

أقول سيدي الكريم إن الضعف في اللغة العربية والانحطاط في المستوى اللغوي واقع لا محالة سواء هنا في بلاد المغرب أو هناك في المشرق، وما المؤتمر الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ قرابة عامين إلا الدليل على ذلك، وكان بعنوان: «الضعف اللغوي لدّى الجامعيين»

كذلك الحكم الشمولي الذي أطلقه الكاتب على كل المغاربة ليس صحيحاً في معظمه لدى العامة، فما بالك بفئة المثقفين. فكيف يعقل أن يُقال (صفية بن زقر) أو (ليلى بن جابر) فعندنا يُقال فلانة بنت فلان، فكيف يجمل بالنخبة أن تقول هذا!! أما عن إثبات همزة الوصل في أسماء مثل اعويمر ـ اخليفة. فهذا القول أشاطرك الصحة فيما ذهبت إليه نطقاً لا كتابة إلا عند القليل، فواو الكلمة عُويمر متحركة ليست ساكنة حتى يؤتى لها بهمزة لا أصل لها فيها.

ثم أُريد أن أوضح موضوعاً كثيراً ما يثار ضدنا وعلى وجه الخصوص نحن أبناء الجزائر وهو أننا لا نحسن العربية ولانتحكم فيها بالقدر المطلوب. فهذا إجحاف في حقنا من قبل إخواننا في المشرق.

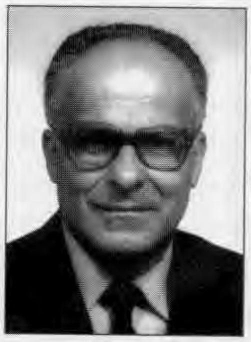
فعلى الرغم مما تعرضنا له طوال قرن ونيف من الزمن خلال الاستعمار الفرنسي (١٨٣٠-١٩٦٣م) من طمس لكل مقومات الشخصية الجزائرية من لغة ودين وتاريخ وعادات وتقاليد، إذ عمدت فرنسا خلال احتلالها للجزائر إلى محاولة نشر المسيحية وذلك بإغلاق المساجد وتحويلها إلى كنائس، وجهدوا من جهة أخرى إلى محاربة اللغة العربية، والتضييق عليها ووضع العراقيل لمنعها من أداء دورها الحضاري، وذلك بإغلاق المدارس والزوايا وحصر نشاطها مقابل نشر الثقافة الفرنسية، كل هذا من أجل سلخ الجزائريين من شخصيتهم وطمس هويتهم العربية، إلا أنه على الرغم من كل ذلك، خاب أملهم، فما إن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الاستقلال حتى هبّ أبناء الشعب للتعلم، وشيدت الدولة المدارس في كل مكان، وبنت المساجد في كل المدن والقرى.

نعم، الضربة كانت قاسية طوال مدة الاحتلال، لكن الشعب كان أقوى فعرف كيف يرفع شعار التحدي، ويحافظ على أصالته ولله الحمد. وماقيل عن الجزائر يقال عن بقية دول المغرب العربي في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية.

بياز عبدالرزاق
ص.ب ٤٠٧ عين وسارة ١٧٢٠٠
الجلفة - الجزائر.

على موعد

تصورات مستقبلية للمدرسة العربية



ياسر الفهد

لعلنا لا نغالي إذا قلنا: إن مستقبل مجتمعنا العربي إنما يتقرر في المدرسة، وإن كل شيء يعتمد في المحصلة النهائية على مدى نجاح نظمنا التربوية في تخريج جيل جديد متقدم، ليس علميًا وحسب، بل وأخلاقيًا أيضًا.

ولكن المشكلة أن الطرائق التعليمية في جميع أنحاء العالم لا تتطور، كما تتطور الحقول الأخرى في الحياة. منذ سنوات كانت عملية تغيير شرايين القلب المعطوبة، محفوفة بأخطار جسيمة؛ أما اليوم، فقد أصبحت أشبه ما تكون بالعملية الجراحية العادية، ولا سيما في الدول المتقدمة.

ومنذ سنوات كان كثير من العمليات الجراحية مثل استخراج الحصى يستلزم شق البطن، فأصبح بالإمكان الآن إجراؤها بالتنظير دون سيلان نقطة واحدة من الدم.

وهذا التقدم الهائل في الطب الجراحي، مثلاً، ماذا يناظره في الحقل التعليمي؟!

الجواب عن ذلك يدعو إلى التشاؤم، لأن ما تمّ إحرازه في مجال التربية والتعليم بفضل التجديد والإصلاح والتحديث يكاد لا يمسّ صميم العملية التدريسية.

وربما يعود أهم أسباب ذلك إلى تمسك التربية بمفهومات وأفكار تقليدية تمسكًا لا يفسح المجال للتمعن وإعادة النظر. ولا بد بالطبع من تجاوز هذا الوضع، ومن استنباط صيغ تربوية جديدة تضع التعليم في طريق التطور السريع.

وسأورد هنا بعض الأفكار والتصورات المبدئية التي إذا تم تطويرها وتجسيدها بشكل إجراءات عملية، فقد تشكل بعض الإسهام في تطوير المدرسة العربية:

- إن الدوام المدرسي الطويل يشكل عبئًا ثقيلاً على التلميذ، ويجعله يشعر بأن التعلم واجب مفروض عليه، بدلاً من أن يكون حقًا من حقوقه؛ لذلك، فإن تخفيف قيود هذا الدوام، في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، تخفيفًا لا يصل إلى حد الدوام الاختياري، كما في بعض كليات الجامعة، هو أمر مفيد جدًا في نظري.

- إن بعض المقررات الدراسية، كما في التاريخ والرياضيات، مثلاً تتضمن تفاصيل دقيقة ومتشعبة جدًا ينساها الطالب مع مرور الزمن ولا يفيد منها شيئًا، ومثل هذه التفاصيل ترهقه، وتشكل عبئًا على ذاكرته، ويتم حفظها على حساب معلومات أساسية أخرى أكثر منها أهمية بكثير، بسبب محدودية ذاكرة التلميذ.

لذلك فإننا نعتقد أن من الأجدى التركيز في المناهج والمقررات الدراسية على الحقائق الكبرى المهمة والخطوط العريضة البارزة، وترك التفاصيل الدقيقة لمرحلة الدراسة المتخصصة.

- إن من الأمور البالغة الأهمية أن يقترن التعليم في المدارس بأكبر قدر من المتعة، لذلك فإن من الضروري تزويد المدرسة العربية بتسهيلات جديدة تجلب الطالب إلى حظيرة التعليم وتجعله يقبل عليه من تلقاء ذاته، ورغبة منه فيه، لا تنفيذًا لأوامر الوالدين والمجتمع، بالإضافة طبعًا إلى التسهيلات القديمة المعروفة مثل الرحلات المدرسية والوجبات الغذائية والجوائز والألعاب وشهادات الثناء.

- لابد من إيجاد ترتيبات تسمح للطالب المتفوق النابغ أن يجتاز أكثر من صف في العام الواحد، بدلاً من تقيده بالقيود الزمنية التقليدية. وكذلك الحال بالنسبة إلى الطالب المتأخر دراسيًا، الذي يجب أن يتاح له البقاء أكثر من عام في الصف الواحد، دون أن يعد ذلك رسوبًا يجعله يشعر بالإحباط والفشل.

وليس من الضروري أن تتم هذه الترتيبات ضمن شروط ما يسمى بالتعليم التفريدي الذي يتقدم فيه كل طالب وفقًا لسرعته الخاصة، لأن هذا يستلزم نفقات مالية باهظة جدًا وتعديلاً أساسيًا في نظم التعليم.

- لابد من تحسين طرق الامتحانات الحالية كي يعكس الامتحان قدرات الطالب الحقيقية، وحتى تكون معلومات الطالب، لا المصادفة أو الحظ، هي التي تؤهله للنجاح أو الرسوب.

- ينبغي أن يزداد التركيز على تعليم القيم السامية والمثل النبيلة حتى تغدو المدرسة واحة أخلاقية يستلهم منها الطالب مبادئ التعامل النزيه. وبتعبير آخر، فإن بناء شخصية الطالب يجب أن تسير جنبًا إلى جنب، بل تسبق تزويده بالمعلومات والحقائق.

- يجب على المدرسة أن تكسب الطالب القدرة على مساعدة نفسه وجعله قادرًا على الاستمرار في التعلّم دون أستاذ.

وبذلك يتحول هذا الأستاذ مع الزمن إلى (مشرف) بدلاً من أن يبقى المحور الأساسي في عملية التعليم.

كانت هذه مجرد أفكار قليلة متواضعة تحتاج إلى كثير من التطوير حتى يمكن تطبيق فحواها على أرض الواقع. وهناك غيرها كثير مما يمكن طرحه لإخراج التربية من بوتقة جمودها التقليدي، وتسريع وتيرة تقدمها.